الجـــامـــعـــة الإسلامـــية – غــزة

شؤون البحث العلمي والدراسات العليا

كـــلـيــــة الآداب

ماجستير التاريخ

The Islamic University–Gaza

Deanship ofResearch & Postgraduate Affairs

Faculty of Arts

Master of History



جهود دولة المماليك في تحرير الأسرى

(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

Mamluk State Efforts In The liberation of Captives(648-923h / 1250-1517m)

إعدَادُ البَاحِثِ

مصعب إسماعيل محمد هشلمون

إشراف

الدكتور/ غسان محمود أحمد وشاح

قُدمَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِفِي التاريخ الإسلامي بِكُليةِ الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

محرم/١٤٣٩هـ -أكتوبر / ٢٠١٧م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

جهود دولة المماليك في تحريرالأسرى

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

Mamluk State Efforts In The liberation of Their Captives(648-923h / 1250-1517m)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	مصعب إسماعيل هشلمون	اسم الطالب:
Signature:	مصعب إسماعيل هشلمون	التوقيع:
Date:	٢٠١٧/١٠/٠٢م	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza



ج س غ/٣٥/

٢٠١٧/١٠/١١م

الرقم: Ref:

التاريخ: Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **مصعب إسماعيل محمد هشلمون** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

جهود دولة المماليك في تحرير الأسرى (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء ٢١ محرم ١٤٣٩هـ، الموافق ٢٠١٧/١٠/١١م الساعة الثانية عشر صباحاً، في قاعة مؤتمرات مبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	**مشرفاً و رئيساً**	....
د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة	**مناقشاً داخلياً**	....
د. عبد الحميد جمال الفراني	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم <u>التاريخ</u>**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،



عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على جهود دولة المماليك في تحرير الأسرى في ذلك الزمن، ومن ثم نقل هذه الجهود إلى كل من يمكن أن يقدم للأسرى من جهد في سبيل تحريرهم، إضافة إلى إيصال هذه الجهود إلى أسرى المسلمين الذين يرزحون تحت ظلم السجن والسجان في كل السجون أينما كانوا.

منهج الدراسة : اتبع الباحث المنهج الوصفي التاريخي.

نتائج الدراسة:

- اهتم الإسلام في مصادر التشريع حول الأسرى وقضيتهم، بل أوجب على المسلمين أن يفكوا قيدهم ويرجعوهم إلى أهليهم.
- بذل المماليك جهوداً كبيرة ليكون الأسرى في أحسن أحوالهم.
- لم يعتبر الأسير فقط لأنه أُسر في الحرب؛ بل كل من سُجن عند العدو وكان أسيرا، وعملت الدولة على إطلاق سراحه.
- مهما كانت مكانة الفرد عالماً أو امرأة أو مجاهداً أو قائداً في الدولة، فإن له دوراً يجب أن لا يغفل عنه.
- إن ذروة الاهتمام بالأسرى هي ذروة قوة الدولة، وذروة الضعف بقضيتهم هي ذروة الضعف عند الدولة.

توصيات الدراسة:

- إن الدراسات والكتب التي عنيت في قضية الأسرى معدودة؛ ولذلك لابد من الاعتناء بكل ما يقدم في هذا الجانب، والعمل على ايصال الجهد المبذول في فكاك الأسرى زمن المماليك لكل فرد من أفراد الأمة العربية والإسلامية ليعلم ما أهمية الأسير.
- إن كل ما يقدم في هذا الجانب هو جهد حقيقي لرفع معنويات الأسرى داخل السجون ؛ فهو بذلك يشعر بمن يقف جانبه وأنه ليس وحيدا فلا بد من تقديم كل ما يُستطاع في جانب خدمة الأسرى
- لابد من البعد عن الصراعات الداخلية لأنها تصرف الجهود المبذولة لتحرير الأسرى إلى غير ذلك من أمور بعيدة عن هذا الأمر
- العمل على تحرير الأسرى يجب أن لا يتوقف حتى لو ضعفت الدولة أو قصرت، فعلى الجهود أن تبقى حتى لو على العمل الفردي
- إن فتوى العلماء على دعم وتشجيع وتحريض وحث الدولة والعامة على تحرير الأسرى لا تقل أهمية عن العمل العسكري في تحرير الأسرى فلا بد أن يبقى صوت العلماء صادحا في تحرير الأسرى.
- كثير من حقوق الأسرى مهضومة لعدم وجود المُطالب بها أو من يتابعها فعلى الدولة أو من يقوم بأمر الأسرى أن تعمل على تخصيص الكوادر العاملة على المطالبة بحقوقهم وتوصيلها لهم.
- كان لأبطال المسلمين أروع صور البطولة في فداء الأسرى وتحريرهم.

كلمات مفتاحية: دولة المماليك، الأسرى، تحرير الأسرى، قضية الأسرى في الإسلام.

Abstract

Study aim: this study aims toshed some light on the Mamluks’ efforts in liberating the captives at that time. This is intendedtohighlight these efforts to those involved in this field nowadays in order to liberate the captives, in addition to the delivery of these efforts to the Muslim captives who are suffering under the oppression of the prison wherever they are.

Study methodology: The study implementedthe scientific methodology in data collection and analysis.

Study results:

- Islam has paid a great attention in the Islamic legislation resources to the captives’ issue.Furthermore, it has been made obligatory on Muslims to liberate those captives and ensure their return.
- Mamluks made great efforts to provide the captives with the best possible conditions.
- Captivity concept was not limited to those captured during wars, but was expanded to include any person who was imprisoned in the enemies’ prisons, wheer the state has worked to release him.
- No matter what the role of an individual is, being a scientist, a woman, a Mujahid, or a leader in the state, he/she should fulfill his/her duty, especially in the field of research.
- The peak of a state power comes from its care to the captives, and vice versa.

Study recommendations:

- There are limited studies and resourcesconcerning the captives’issue. There is need to expose them and take care of all the offers in this regard. This includes the efforts made to liberate the captivesin the Mamluks’ time in order to make every individual in this Ummah aware bout the importance of this issue.
- Every effort that is made in this aspect is an importantcontribution that helps to raise the morale of the captivesin their prisons. This makes themrealize the support of their people, and that they are not alone and that theydeserve everything possible to serve their needs.
- Internal conflicts should be avoided because they disturb the efforts that are made to liberate the captives.
- Working on liberating the captives should not stop even if the state experienced some weakness or deficiencies.Efforts should be maintained even if they were mainly individual ones.
- The fatwa of scholars regarding the obligation of liberating the captives, and doing whatever it needs including support, encouragement,and incitement of the public and official authorities is not less important than the possible military action that may be required to liberatethecaptives. The scholarssound in this regard must be kept significant.
- Many of the prisoners' rights are denied due to the lack of their claimers. Thus, the state and the concerned people have to appoint sufficient man power in this regard in order to claim and deliver the captives’ rights.
- The Muslim heroes have showed greatstoriesin the field of liberating the captives and paying the required ransoms.

Keywords: Mamluk state, captives, liberating the captives, the issue of captives in Islam.

الإهداء

- إلى والديَّ الفاضلين حفظهما الله.
- إلى الشهداء المُنتقين.
- إلى إخواني الأسرى فرج الله كربهم جميعاً.
- إلى المجاهدين الذين كان لهم الفضل بعد الله في خروجي للحرية.
- إلى مدرسيّ الأكارم.
- إلى زوجي الكريمة.
- إلى إخواني وأخواتي وأهلي جميعاً.
- إلى كل من وقف بجانبي وساندني وعمل على إنجاح هذا العمل.

إليهم جميعاً... أهدي هذه الرسالة

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله ﷺوبعد: يقول الله تعالي﴿**وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[البقرة: ٢٣٧]

أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من كان له فضل في إتمام هذه الرسالة خاصا بذلك الدكتور الفاضل / غسان محمود وشاح ؛ والذي لم يترك وسعا إلا وقدمه لي فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء، والشكر موصول للجنة المناقشة _ العلماء الأفذاذ _ فضيلة الدكتور إبراهيم احمد أبو شبيكة رئيس قسم التاريخ والآثار في الجامعة الإسلامية والمناقش الداخلي للرسالة، وفضيلة الدكتور عبد الحميد جمال الفراني أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الأقصى والمناقش الخارجي للرسالة، كما وأتقد بالشكر الجزيل إلى الجامعة الغراء الجامعة الإسلامية بكل طواقمها على ما تبذله من جهود لدعم مسيرة العلم .

الباحث/ مصعب الهشلمون

قائمة المحتويات

المقدمة:

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على الحبيب محمد ﷺ.

تعد دولة المماليك التي قامت عام (١٢٥٠م=٦٤٠هـ) من أكثر الدول الإسلامية التي شهدت اشتباكاً مباشراً مع الأعداء، فقد خرجت من رحم الدولة الأيوبية، وقامت على أنقاضها؛ لذلك فقد ورثت مهمة مواجهة أخطر عدوين على الإسلام وهما المغول والصليبيين، فالمتتبع لتاريخ هذه الدولة سيجد عشرات المعارك خاضها المماليك دفاعاً عن الإسلام والأرض والمقدسات؛ لذلك شهدت هذه الحالة المستمرة من الاشتباكات بروز ظاهرة الأسرى عند العدو، من أجل ذلك واجهت دولة المماليك جهوداً عظيمة لفكاك الأسرى، سواء كانوا من المسلمين أو غير المسلمين فلم تفرق، وتنوعت الجهود فمنها جهود سياسية وعسكرية واقتصادية؛ بل هناك جهود من العامة ومن العلماء، كل ذلك يصب في اتجاه تحرير الأسرى الذين شغلوا حيزاً كبيراً في الشريعة الإسلامية من قرآن وسنة، وفتاوى الفقهاء كل ذلك يدفع بقوة لتحرير الأسرى .

أهمية الموضوع

١- قلة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تناولت هذا الموضوع على الرغم من اهميته.

٢- إظهار موقف الشريعة الاسلامية من فكاك الاسرى المسلمين .

٣- إبراز جهود المماليك الرسمية في سبيل فكاك الاسرى.

٤- إبراز الجهود غير الرسمية في دولة المماليك لإنقاذ الاسرى مثل جهود العلماء والابطال والعامة .

منهج الدراسة

لقد استخدم الباحث منهج البحث التاريخي

تقسيمات الدراسة

لقد احتوت الدراسة على المقدمة وأربعة فصول وخاتمة ثم ثنيت بأهم المصادر والمراجع.

أما المقدمة فقد احتوت على نبذة مختصرة عن الموضوع ثم أهمية الموضوع ومنهج الدراسة وتقسيمات الدراسة وأهم المشكلات التي واجهت الباحث وكيف تغلب عليها.

- أما الفصل الاول فقد تحدث عن مفهوم الأسير وموقف الشريعة من الأسير عند العدو.
- وتناول الفصل الثانيأحوال الأسرى عند العدو وعند دولة المماليك.
- وعالج الفصل الثالث جهود دولة المماليك في فكاك الاسرى.
- وناقش الفصل الرابع الجهود الاخرى المبذولة في فكاك الاسرى في دولة المماليك.

الفصل الأول
مفهوم الأسير وموقف الشريعة من الأسير عند العدو

المبحث الأول
تعريف الأسير

أولًا: الأسير لغةً:

هو مأخوذ من الإسار الذي يُشدُّ به الشيء كالحبل أو السلسلة، فيقال أسر يأسره، أي شدّه بالإسار لِئلا يفلت، وسُمّي كل أخيذ أسير وإن لم يؤسر[١].

ويوصف بلفظ أسير كلٌ من الرجل والمرأة فيقال: رجل أسير وامرأة أسير، فيستوي فيه المذكر والمؤنث ويجمع الأسير على أُسارى[٢].

الأسر: الشدّ بالقيد، من قولهم أسرت القتب(الحبل)، وسُمي الأسير بذلك ثم قيل لكلِّ مأخوذ ومقيد وإن لم يكن مشدودًا، ويتجوز به فيقال أنا أسير نعمتك، وأسرة الرجل من يتقوى به[٣]، وهو مأخوذ من يأسره أسرًا وإسارًا، أي شدّه بالإسار، وهو ما يُشد به والجمع أُسر، يقال: أسرت الرجل أسرًا وإسارًا فهو أسير ومأسور والجمع أسرى أو أسارى[٤].

ثانيًا: الأسير اصطلاحًا:

هم الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء[٥]، وقيل أيضًا: هو من يظفر به المسلمون من الحربيين إذا دخلوا دار الإسلام بغير أمان[٦]، والأسير في اصطلاح القانون الدولي: هو كل شخص يؤخذ لا لجريمة ارتكبها وإنما لأسباب عسكرية[٧]، **ومن التعريف** يتضح أن الأسرى هم الرجال الذين يقعون في قبضة عدوهم أحياء وفي حالة الحرب، ويطلق أسرى الحرب على الأعداء المحاربين الذين أظهروا العداوة للإسلام وصمموا على محاربته بالعمل، فسقطوا في أيدي المسلمين المجاهدين الذين أرادوا إعلاء كلمة الله تعالى، ومن خلال هذا التعريف يدخل كل من يحمل السلاح ضد الإسلام، وهو قادر على الحرب، سواء أكان

---

(١) الرازي، مختار الصحاح (ج١/١).
(٢) ابن منظور، لسان العرب (ج٥/٧٦)
(٣) الأصفهاني، معجم المفردات ألفاظ القرآن (ص١٣)
(٤) ابن منظور، لسان العرب (ج١/١٠٤)
(٥) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته (ج٨/٥٩١٠)
(٦) الكاساني، بدائع الصنائع(٧/١٠٨).
(٧) الزحيلي، آثار الحرب (ص٤٠٣).

جنديًا أصليًا، أو متطوعًا، أو مرتزقًا، أو جاسوسًا.

ولا بد للدارس في مجال تحرير الأسرى وخاصة في الدولة الإسلامية أن يذكر وضع الأسرى قبل ظهور الإسلام، وكيف كانت الأمم السابقة تتعامل مع الأسرى، حيث كان الأسرى قديمًا ليس لهم أية حقوق، فتارة يُذبحون، وتارة يُقدّمون قرابين للآلهة، ويؤخذون عبيدًا ويباعون ويشترون، وعلى سبيل المثال عامل الفرس[(١)] ، والإغريق[(٢)] الأسرى بطريقة بشعة ونكلوا بهم وصلبوهم وقتلوهم[(٣)].

---

(١)**الفرس:** بلاد فارس هي الاسم التاريخي للمنطقة التي قامت عليها الإمبراطوريات والدول الفارسية، وتقع هذه الإمبراطورية الفارسية شرق شبه الجزيرة العربية، وتأسست عام ٥٠٩ ق.م على يد قورش، وكان من أعظم قادتها كسرى الثاني وسايروس ومن ثم داريوس، وقد أسسوا إمبراطورية ضموا إليها حضارات شاسعة وبلادًا كثيرة منها بلاد العراق وسوريا ومصر وآسيا الصغرى (تركيا حاليًا) إضافة إلى أجزاء من الهند. وقد تكونت الإمبراطورية الفارسية حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد (وكبرت على يد الملك كسرى الثاني الذي كان من أعظم الملوك وهو الذي أسس الإمبراطورية الفارسية التي شهدت أكبر توسع لها في عهد خلفه داريوس العظيم).

واستمرت هذه الإمبراطورية في التوسع فبدأت تمتد من حدود ليبيا إلى حدود الهند والسند ومن حدود تركيا إلى جنوب مصر والسودان لتكون بذلك أول إمبراطورية في التاريخ تضم كل منطقة الشرق الأدنى والأوسط وأصبحت واقعة تحت حكم رجل واحد هو ملك الفرس أوالشاهنشاه أي ملك الملوك.

وكان ملوك الفرس من أعظم ملوك الأرض في قديم الزمان ودولتهم وترتيبهم لا يماثلهم في ذلك غيرهم وهم أربع طبقات: الفيشداذية، والكيانية، والأشغانية، والأكاسرة وكان يقال لهم الساسانية. انظر: أبو الفداء، تاريخ أبي الفداء (ص٥٠).

(٢)**الإغريق:** هو مصطلح عربي يشير إلى (اليونانيين القدماء)، ويطلق عليهم أيضًا "الهيلينيون"، وهي مجموعة عرقيّة موطنها الأصلي (اليونان وقبرص)، والمناطق القريبة من البحر الأبيض المتوسط. في الألفية الثانية قبل الميلاد، قامت عدة قبائل بالنزوح من الشمال إلى اليونان، وعند استقرارها هناك قامت بالتأسيس لحضارة على نمط الحضارة "الكريتية"، فأصبحوا قوّةً ضاربة في منطقة "بحر إيجة"، وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد، استولى الإغريق على المنطقة وانتزعوها من أيدي الكريتيين. كانت وحدات القبائل الإغريقيين قد تمكنوا في الأرض، وقاموا بتشكيل وحدات سياسيّة مستقلة، يطلق على كل وحدة اسم بولس (الدولة أو المدينة). بلغت الحضارة الإغريقية أوج عظمتها وازدهارها خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، بالتزامن مع ظهور مدن مهمة كـ(إسبرطة وأثينا)، والعديد من المدن التي يشهد لها بمدى قوتها ونفوذها، كما ازدهر مفهوم الديمقراطيّة والفنون والعلوم على اختلافها. انظر: عكاشة، اليونان والرومان، (ص٣٤).

(٣) عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية (ص٩١).

وبسبب الحروب بين الشعوب كثرت حالات الأسر وحالات السبي، حيث يصبح الأسير بدون حرية، ينفذ أوامر آسره وليس له من أمره شيء؛ ويتوقف ما يتمتع به الأسير من حق وفقًا لما يراه آسره، وتعددت أساليب التعامل مع الأسرى من دين لآخر، ومن مجتمع لآخر، ومن زمن لآخر[(١)]، وكان الأسير يستخدم للتسلية، وكانوا يُهانون دون أدنى سبب ويُقتلون لأتفه الأسباب[(٢)].

وتعاملت القبائل العربية مع أسرى الحرب بشكل مفرط، وسُبيت النساء والذرية والرجال، وكانوا يُقتلون في بعض الأحيان، أو يُستَرقّون أو يباعون عبيدًا، ولم يكن هناك إطلاق سراح دون مقابل، بل كان الأسرى عبارة عن رافد اقتصادي للقبيلة المنتصرة، وإحدى الدعامات الاقتصادية في ذلك الوقت.

والأسرُ في الإسلام مشروع، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: **﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[(٣)].

ومن هذه الآية يتضح لنا أن الإسلام شرع الأسر وفقًا للمصلحة، وقال تعالى: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[(٤)].وقوله تعالى: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾**[(٥)].

وهنا المقصود: قاتلوهم حتى إذا أكثرتم فيهم القتل، وبعدها يكون الأسر؛ لأن المقصود بالوثاق هو الأسر، والأسر في حروب المسلمين قليل؛ لأن المسلم لا يأسر عدوه إلا في نهاية المعركة[(٦)].

وفي حال أسر أي شخص لا بد من توافر ثلاثة شروط :

---

(١) زكي، الحرب والسلام (ص٢٠٥).

(٢) الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص٧٥)

(٣) [التوبة: ٥]

(٤) [الأنفال: ٦٧].

(٥) [محمد: ٥].

(٦) الزحيلي، آثار الحرب (ص٤٣٠).

أولًا- أن يكون مقاتلًا: ولا يجوز أسر أي شخص كافر ما لم يقاتل المسلمين، فالكفر ليس تهمة تبيح الأسر، وثبّت رسول الله ﷺ هذا المفهوم من خلال توصياته لأمرائه الذين كان يرسلهم للفتح بتخيير أهل البلاد المفتوحة بثلاثة خيارات: الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وروى مسلم في صحيحة عن سليمان بن بريدة عن أبي موسي الأشعري[1] عن أبيه قال: **(كان رسول الله ﷺ، إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: "اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم الذي يجري على المسلمين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم)**[2].

قال الشوكاني: "وفي هذا دليل على أنه يشرع للإمام إذا أرسل قومه إلى قتال الكفار ونحوهم أي يوصيهم بتقوى الله وينهاهم عن المعاصي المتعلقة بالقتال كالغلو والقتل والمثلة وقتل الصبيان، وفيه دليل على وجوب دعاء الكفار إلى الإسلام قبل المقاتلة"[3].

---

(١)**أبو موسى الأشعري:** عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ. حدث عنه: بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وزيد بن وهب، وأبو عثمان النهدي، وأبو عبد الرحمن النهدي، ومرذة الطيب، وربعي بن حراش، وزهدم بن مضرب، وخلق سواهم. وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ. أقرأ أهل البصرة، وأفقههم في الدين. قرأ عليه حطان بن عبد الله الرقاشي، وأبو رجاء العطاردي. ففي "الصحيحين"، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا. وقد استعمله النبي ﷺ ومعاذًا على زبيد، وعدن. وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة. وقدم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبي ﷺ وحمل عنه علمًا كثيرًا. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، (ص ص١٨١-١٨٢).

(٢)[مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/باب تأمير الامام والأمراء، ٣/٧٠٢: رقم الحديث ١٧٣١].

(٣)الشوكاني، نيل الأوتار (ص١٥٥٦).

ثانيًا– أن يكون المقاتل كافرًا: قال تعالى: **﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(١).

وهنا تؤكد هذه الآية أن المقاتل الكافر يجوز أسره(٢)، ويزول الأسر بزوال السبب وهو الكفر، وقال الشوكاني: "اتركوهم وشأنهم فلا تأسروهم ولا تحصروهم(٣)".

ويدلل على ذلك ما رواه ابن كثير أن الخوارج(٤) احتجوا على علي ﷺلأنه حَكم الرجال، ومحا اسمه من الإمارة، وأنه يوم معركة الجمل(٥) قتل الأنفس الحُرم، ولم يقسم الأموال والسبي، فرد عليهم علي ﷺ: "إن في السبي عائشة أم المؤمنين(٦) فإن قلتم إنها ليست لكم بأم فقد كفرتم، وإن استحللتم سبي أمهاتكم فقد كفرتم"(١).

---

(١) [التوبة: ٥]

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ص٥٦٨).

(٣) الشوكاني، فتح القدير (ج٢/٤٣٥).

(٤)**الخوارج:** فرقة ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الهجري، وبالذات في مناسبة حرب صفين التي دارت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة الشرعي من جهة، وبين معاوية بن أبي سفيان، الذي كان يحاول الاستئثار بهذا الأمر لنفسه من جهة أخرى، حيث رأى معاوية: أن عليًا سيربح الحرب لو استمرت، فأمر _بمشورة من عمرو بن العاص_ برفع المصاحف، الأمر الذي انجر إلى التحكيم. وكان أولئك المعترضون على قبول علي للتحكيم هم أنفسهم الذين كانوا قد أجبروه عليه من قبل، كما اعترفوا به هم أنفسهم، كما صرحت به النصوص التاريخية الكثيرة جدًا، وهذا ما يكذب ما يدعيه البعض من أن الخوارج كانوا هم المعارضين للتحكيم من أول الأمر. نعم إن هؤلاء قد حكموا على علي عليه السلام بالكفر لأجل قبوله التحكيم الذي أجبروه هم عليه، كما كفروا الخليفة الثالث عثمان بسبب بعض المخالفات التي صدرت عنه في السنين الأخيرة من خلافته، هذا فضلًا عن تكفيرهم طلحة والزبير وعائشة وغيرهم. ثم إنهم خرجوا على علي عليه السلام وحاربوه، وكان من جملة ما احتجوا به لحربهم إياه أن قالوا: "زعم أنه وصي فضيّع الوصيّة" كما ذكره اليعقوبي، نعم وهؤلاء بالذات وأتباعهم هم الذين سموا بالخوارج. الشهرستاني، الممل والنحل (ج١/١١٤).

(٥)**معركة الجمل:** هي معركة وقعت في البصرة عام ٣٦هـ/ ٦٥٦ م بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والجيش الذي يقوده الصحابيان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام إضافة إلى أم المؤمنين عائشة التي قيل إنها ذهبت مع جيش المدينة في هودج من حديد على ظهر جمل، وسميت المعركة بالجمل نسبة إلى ذلك الجمل. ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج٣/٢٤١-٢٤٢).

(٦)**عائشة:** هي بنت أبي بكر الصِّدِّيق بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشية التيمية، المكيَّة النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي ﷺ أفقه نساء الأمَّة على الإطلاق، وأمُّها أمُّ رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك، بن كنانة (توفيت =

ثالثًا– أن يكون سبب قتالهم إعلاء كلمة الله: وهي أن يكون القتال خالصًا لوجه الله وليس من أجل السيطرة، ومد النفوذ، وسفك الدماء، والاستيلاء على خيرات الأمم الأخرى، أو استعباد الناس وإذلالهم مثلما كان بين الأمم السابقة للإسلام، فالإسلام دين سلام لا حروب، فعن أبي موسى الأشعري[٢] قال: جاء رجل إلى النبي ﷺفقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانة، فمن في سبيل الله؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سيبل الله"[٣].

ويشترط هذا إذا كان القتال من جانب المسلمين، أما إذا كان الهجوم من الكفار، فلا وجود لهذا الشرط ؛ لأن مبدأ الدفاع عن النفس حق مقر في الشريعة الإسلامية وواجب على المسلم؛ لأنه يحافظ على المسلم وعلى الدولة الإسلامية[٤].

وعند الحديث عن الأسر والأسرى لا بد أن نتكلم عن من لا يجوز أسره، ومنهم:

١- الرسُل: وهم من يكلفون بحمل الرسائل من ملوكهم وحكامهم إلى غيرهم من الملوك والحكام في دول أخرى، مثلما كان يفعل الرسول ﷺعندما أرسل الرسل إلى الملك كسرى[١] والنجاشي[٢] وملك الغساسنة[٣] بالشام

=

سنة ٥٨ هـ/٦٧٨م). ابن سعد: الطبقات الكبرى، (ج٨/٥٨)؛ والذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء (ج١/٥٤).

(١)ابن كثير، البداية والنهاية (ج٤/٣٠٠).

(٢)**أبو موسى الأشعري:** عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ. حدث عنه: بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وزيد بن وهب، وأبو عثمان النهدي، وأبو عبد الرحمن النهدي، ومرذة الطيب، وربعي بن حراش، وزهدم بن مضرب، وخلق سواهم. وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ. أقرأ أهل البصرة، وأفقههم في الدين. قرأ عليه حطان بن عبد الله الرقاشي، وأبو رجاء العطاردي. ففي "الصحيحين" عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا. وقد استعمله النبي ﷺ ومعاذًا على زبيد، وعدن. وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة. وقدم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبي ﷺ وحمل عنه علمًا كثيرًا. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ص ص١٨١– ١٨٢).

(٣) الشوكاني، نيل الأوطار (ص٥٥٦).

(٤) توجري، أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي (ص٤٥).

والمقوقس[٤] صاحب الإسكندرية.

=

(١) كسرى الثاني أو خُسرو الثاني (٥٩٠ – ٦٢٨)، المعروف أيضًا بلقب برويز ومعناه (المظفر)، كان ملك الدولة الساسانية في بلاد فارس. كان ابن هرمز الرابع، وحفيد كسرى الأول. بدأ خسرو عهده بمحاولة الحفاظ على السلام ببيزنطية، وكان صديقًا للإمبراطور البيزنطي موريس، ولكن لما قتل موريس سنة ٦٠٢م قرر خسرو الانتقام لصديقه، فغزا سوريا وآسيا الصغرى، وفي عام ٦٠٨م كادت قواته تدق أبواب العاصمة نفسها القسطنطينية، وهو كبير الفرس المجوسي الذي كان يعتقد أنه إله البشر وسيدهم، يأتيه خطاب من الرسول ﷺ يدعوه للإسلام، مع عبد الله بن حذافة السهمي، فبمجرد أن يسمع أن الرسول قد بدأ الخطاب باسمه قبل اسم كسرى، فيمزق الكتاب ويقول بغضب: "عبد من عبادي يبدأ كتابه بنفسه قبلي"، ويطرد السفير، فلما وصل الخبر إلى النبي ﷺ قال: [مزق ملكه]، فيدعو على كسرى أقرب الناس عليه "شيرويه" ابنه الكبير فيقتله، ثم ما يلبث أن يُقتل هو، ثم يُقتل من قتله، حتى تمزق ملك كسرى فأخذه المسلمون وفتحوا بلاده. نص رسالة الرسول ﷺ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس). ابن الاثير، الكامل في التاريخ (ص ص ٤٣٠–٤٣٣).

(٢)**النجاشي** واسمه أصحمة ملك الحبشة. معدود في الصحابة ﷺ وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده من يصلي عليه؛ لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ص٤٢٩)

(٣)**الغساسنة:** الغساسنة إحدى قبائل العرب التي أسست إمارة قوية متحالفة مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية المعروفة ببيزنطة أو الروم في سوريا، يعود أصلها إلى الأزد، وأطلق عليهم الغساسنة لأنهم استقروا في (تهامة) جنوب المملكة العربية السعودية حاليًا قرب عين ماء اسمها "غسان" فأطلق عليهم هذا الاسم قبل تأسيس دولتهم في الشام، بدأت هجرات الغساسنة من جنوب الجزيرة العربية عقب انهيار سد مأرب في اليمن وبعد السيل العرم، في أواخر الألف الأول قبل الميلاد. و كان استقرار قبائل الغساسنة في جنوبي سوريا في بصرى. ثم أصبحت عاصمتهم الجابية بمرتفعات الجولان اليوم، ظلت المملكة الغسانية موالية للبيزنطيين حتى الربع الأول من القرن السابع الميلادي عندما أسقط المسلمون مملكتهم عقب معركة اليرموك سنة ٦٣٦م، وكان جبلة بن الأيهم ملكهم، دخل إلى قلبه الإيمان فأسلم ثم كتب إلى الخليفة عمر ﷺ يستأذنه في القدوم عليه، سُرّ عمرُ والمسلمون لذلك سرورًا عظيمًا. العيسي، تاريخ الغساسنة (ص ص١٦–١٧)

(٤)**المقوقس:** المقوقس في التاريخ الإسلامي هو عظيم القبط في مصر في فترة ما قبل الفتح العربي الإسلامي لمصر وأثناءه. لم تكن كلمة "المقوقس" اسمًا لرجل، إنما كانت لقبًا أو اسمًا لوظيفة، فهي كلمة يونانية معناها المفخم أو المبجل، كما نقول اليوم: صاحب الجلالة أو السمو، أو عظمة السلطان أو فخامة الرئيس. وقد ظهر هذا اللفظ أول ما ظهر في تاريخنا في رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، ثم
=

الرسل مفردها رسول وهو مبعوث، أي شخص يحمل الرَّسائل أو ينقل رسالة شفوية أو يقوم برحلة قصيرة لتوصيل رسالة (ويستوي فيه الواحد وغيره): - كان رسولَ خير، - أوفد المتمردون رسولين للتفاوض، - هَمَّ رُسُل دولتنا للتفاوض. (الفيروز أبادي: القاموس المحيط (ج١، ص ١٥٢٧)

٢- الدبلوماسيون:كلمة يونانية الأصل، استخدمت بعد الإمبراطورية الرومانية وكانت تعني مهمة حفظ الوثائق التي كانت تتضمن الاتفاقات الخارجية، وكانت تلك الوثائق تعرف باسم (الدبلوما) وعرف القائم عليه باسم (الدبلومات). ثم تطور مدلول اللفظ حتى شمل المعنى الموجود في المعنى الحالي. (عطية الله، أحمد: القاموس السياسي، ص٦٤٣):

فكان للرسل حصانة، لا يمكن أسرهم ولا قتلهم وفق الأعراف المتبعة في ذلك الوقت، حيث روى أبو داود عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي[1] **عن أبيه قال: (سمعت رسول الله ﷺحين جاءهُ رسولا مسيلمة الكذاب بكتابه يقول لهما: وأنتما تقولان مثلما يقول؟ قالا: نعم؟ فقال: "أما والله، لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما)**[2]. والواضح من الحادثة أن رسل الأعداء المرسلين إلى بلاد المسلمين مؤمّنون وفق أعراف الدولة الإسلامية[3].

=

عاد إلى الظهور مرة أخرى في أحداث فتح مصر. هو أيضًا البطرك كيرس أو سايروس اليوناني وقد كان بطريرك ملكاني متوليًا كرسي كنيسة الإسكندرية المصري في القرن السابع، وأحد واضعي عقيدة المشيئة الواحدة، وآخر حاكم بيزنطي لمصر، وقد كان هيرقليوس (هرقل) إمبراطور بيزنطة قد عينه واليًا على مصر وبطريرك على كنيسة الإسكندرية سنة ٦٣١ ضد رغبة الأقباط الذين كانوا يتبعون المذهب اليعقوبي. وقد توفي حوالي سنة ٦٤١ م. ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٢٦٢/١).

(١)**سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي**، أبو يزيد، وجد عبدالحميد بن يزيد، قال البخاري وأبو حاتم: له ولأبيه صحبة، وهو راوي حديث "من لقي الله لا يشرك به شيئًا، وإن زنى، وإن سرق" رواه أحمد. ابن حجر: الإصابة، (ص٥٢٧).

(٢)[الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب المغازي والسير، ٥٤/٣: رقم الحديث ٤٣٧٧].

(٣) الجزري، جامع الأصول (ج٦٥٢/٢).

المبحث الثاني
موقف الشريعة الإسلامية من الأسير

أولًا- موقف الشريعة من الأسير المسلم:

١- **القرآن الكريم**:﴿**ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[١]، يتضح من هذه الآية أن القرآن يوبخ المسلمين لتركهم أسراهم في أيدي عدوهم، وهذه الآية نزلت في بني إسرائيل خاصة، ولكن فيها تنبيه وتأكيد وجوب استنقاذ الأسرى وحرمة تركهم في قبضة عدوهم[٢].

٢- **السنة النبوية**: وجاءت السنة النبوية مؤكدة ضرورة العمل على إنقاذ الأسرى المسلمين وفك أسرهم من قبضة الأعداء، وجاءت الأحاديث على ذلك كثيرة، وفي حديث أبي موسى الأشعري ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: **(فُكُّوا الْعَانِيَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ)**[٣]، وفي رواية أخرى: **(فكوا العاني، وأجيبوا الداعي، وعودوا المريض)**، وتحدث الحديث صراحة على وجوب فك الأسير والعمل على تخليصه.

وفي حديث حبان بن أبي جبلة[٤] أن رسول الله ﷺ قال: **(إن على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسيرهم ويؤدوا عن غارمهم)**[٥]، وجاء في الحديث الذي أخرجه البيهقي في سننه عن عثمان بن الأخنس[٦] قال: أخذت من آل عمر بن الخطاب هذا الكتاب كان مقرونًا بكتاب الصدقة الذي كتب للعمال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المسلمين والمؤمنين من قريش ويترب ومن تبعه فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة دون الناس

---

(١) [البقرة: ٨٥].

(٢) الطبري، تفسير الطبري (ج٢/٣٨٠).

(٣)[ابن حنبل:مسند الإمام أحمد، حديث أبي موسى الأشعري، ٤١٣/٣٢: رقم الحديث ١٩٦٤١).

(٤)حبان إسماعيل بن عياش بن نعيم توفي سنة ٥٦هـ، وقيل إنه حاز المائة وكان رجل صالح، (ابن حجر: تقريب التهذيب، ص٣٤٠).

(٥)[ابن منصور :سنن سعيد ابن منصور، باب ما جاء في الفداء، ٣٤١/٢: رقم الحديث ٢٦٣٥].

(٦)عثمان بن محمد بن عثمان بن الأخنس بن شريق، وقيل إن حديثه ضعيف ولكنه مؤيد بحديث الصحيفة الذي أخرجه البخاري في صحيحه. المزي، تهذيب الكمال (ج٥/٤٢٥).

المهاجرين من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين)، ودل الحديث على لزوم العمل على فك الأسرى المسلمين من أيدي الأعداء وأن يتكاتف المسلمون فيما بينهم وينصر بعضهم بعضًا، وهذا ما يميز المسلمين عن غيرهم.[١]

٣- إجمـاع العلمـاء: أجمعت الأمة وعلماؤها على وجوب العمل على إطلاق سراح أسرى المسلمين من قبضة عدوهم، وتحريم التقاعس عن ذلك، ودليلهم على ذلك ما ذكرنا من القرآن الكريم والسنة النبوية، ولنا فيما قال عمر بن الخطاب ﷺنبراس في هذا المجال، حيث قال: (لأن أستنقب رجلًا من المسلمين من أيدي الكفار؛ أحب إليّ من جزيرة العرب)[٢].

وبعد الاطلاع على تفسير الآية والأحاديث التي ذكرناها سابقاً، أصبح معلومًا بالضرورة لكل المسلمين أن إنقاذ الأسرى هو من صميم الدين الإسلامي، فلا بد للجميع أن يجمع عليه[٣].

وعن شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] -رحمه الله- قال: (فكاك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذلك المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات)[٥].

ومن خلال فهمنا للقرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة وعلمائها، فإن للأسير المسلم حقًّا على المسلمين بردّه إلى أهله بكافة السبل والطرق التي تؤدي إلى تحريره، ونذكر منها:

١- إطلاق سراح أسرى المسلمين بالقوة والقتال:

قال تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾[٦]، وجاءت الآية الكريمة موضحة للمؤمنين ضرورة رفع الظلم عن المسلمين ومنكرة عليهم ترك القتال وترك الضعفاء دون نصرة، والآية تأمر بالقتال من أجل كل مستضعف مسلم وقع عليه ظلم، فالأحرى بالمسلم أن يرفع الظلم عن أخيه المسلم الذي وقع في

(١)[البيهقي: السنن الكبرى، باب العاقلة، رقم الحديث ١٦٨٠٨]

(٢) أبو يوسف، الخراج (ص١٢١).

(٣) ابن العربي، أحكام القرآن (ج٢/٤٤٠).

(٤)**ابن تيمية:** وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس النميري ولقبه «شيخ الإسلام» ولد يوم الإثنين ١٠ ربيع الأول ٦٦١هـ / ١٢٦٢ م أحد علماء الحنابلة. (الذهبي: تذكرة الحفاظ (ج٤/١٤٩٦)؛ والذهبي: ذيل العبر (ص ٨٤)؛ وموسوعة السياسة (ص٢٢).

(٥) ابن تيمية، مجموعة فتاوى ابن تيمية (ج٢٨/٦٣٥).

(٦) [النساء: ٧٥].

قبضة العدو أسيرًا، ويقول القرطبي في تفسير هذه الآية: إن الله يأمر المؤمنين بالجهاد لتخليص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفرة المشركين، الذين يفتنونهم في دينهم ويمارسون عليهم أقسى أنواع العذاب والتنكيل؛ فتؤكد هذه الآية وجوب الجهاد لإعلاء كلمة الله وإظهار الدين ورفع الظلم عن الضعفاء من المسلمين وتخليص الأسرى من أيدي المشركين(١).

وفي قصة أبي بصير(٢) بعد صلح الحديبية(٣) **(جاء إلى رسول الله ﷺ مسلمًا؛ فأرجعه الرسول ﷺ لقريش وفقًا لبنود صلح الحديبية، فقتل أبو بصير أحد آسِريه وهرب منهم وجاء إلى رسول الله، وقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك؛ قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد)**(٤).

وفي هذه الحادثة خير دليل على جواز تخليص الأسير من آسره بالقتال، حيث أقر رسول الله ﷺ قتل أبي بصير لأحد آسريه وفك نفسه من الأسر، وهنالك دلائل كثيرة على أن رسول الله ﷺكان حريصًا على إخراج الأسرى من الأسر، فورد عن ابن هشام أن الرسول ﷺ وهو بالمدينة قال: **(مَنْ لِي بِعَيّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ**(٥)

---

(١)القرطبي، تفسير القرطبي (ج٥/٢٧٩).

(٢)**أبو بصير**: أبو بصير هو عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي، مشهور بكنيته، هرب من الكفار في هدنة الحديبية إلى رسول الله ﷺ فطلبته قريش ليرُدَّه الرسول ﷺ إليهم، ولمَّا علم أن الرسول ﷺ سيردُّه خرج إلى سِيفِ البحر، واجتمع إليه كلُّ مَنْ فرَّ من المشركين. ابن عبد البر: الاستيعاب (ج٣/١٤٥)؛ وابن الأثير، أسد الغابة (ج٣/٤٥٤).

(٣)**صلح الحديبية**: في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة خرج ﷺ من المدينة ومعه ألف وأربعمائة من المسلمين قاصدًا مكة للعمرة، ولما وصل إلى الحديبية علم أن قريشًا ستمنعه من دخول مكة. فأرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان ﷺ إلى مكة ليخبر قريشًا أنه لم يأتِ لقتال. فبعثت قريش سهيل بن عمرو إلى الرسول ﷺ فتم الاتفاق على صلح عُرِفَ بصلح الحديبية،ابن كثير، السيرة النبوية (ج٣/٣٢٠).

(٤)[البخاري: صحيح البخاري،الشروط/ الشروط وفي الجهاد والمصالحة، ١٩٣/٣: رقم الحديث ٢٧٣١].

(٥)**عياش بن ربيعة**: عَيَّاش بن أبي ربيعة ، واسمه عمرو، ويلقب ذا الرُمْحين ابن المغيرة القرشي المخزومي، ابن عم خالد بن الوليد بن المغيرة. يُكْنَىَ أبا عبد الرّحمن، وقيل: يُكْنَى أبا عبد الله، وابنه الحارث بن عياش، وأمّ عياش هي أم الجلاس أسماء بنت مُخَرّبة بن جَنْدَل، وكان هشام بن المغيرة قد طلقها، فتزوّجها أَخوه أَبو ربيعة بن المغيرة، وعياش هو أخو عبد الله بن أبي ربيعة لأبيه وأمّه، ولما هاجر إلى المدينة قدم عليه أَخواه لأُمه أَبو جهل والحارث ابنا هشام، فذكرا له أَن أُمه حلفت أَن لا يدخل رأسها دُهْن ولا تستظلُّ حتى تراه، فرجع معهما، فأَوثقاه وحبساه بمكة، وكان رسول الله ﷺ يدعو له. (ابن الاثير، أسد الغابة (ص ٩٧).

وَهِشَامِ بْنِ الْعَاصِي[1]**؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ**[2]**: أَنَا لَك يَا رَسُولَ اللهِ بِهِمَا، فَخَرَجَ إِلَى مَكّةَ، فَقَدِمَهَا مُسْتَخْفِيًا، فَلَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ طَعَامًا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ اللهِ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ هَذَيْنِ الْمَحْبُوسَيْنِ -تَعْنِيهِمَا- فَتَبِعَهَا حَتّى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا، وَكَانَا مَحْبُوسَيْنِ فِي بَيْتٍ لَا سَقْفَ لَهُ فَلَمّا أَمْسَى تَسَوّرَ عَلَيْهِمَا ففك قيودهما، ثُمّ حَمَلَهُمَا عَلَى بَعِيرِهِ وَسَاقَ بِهِمَا للمدينة)**[3]، ومن هذه الرواية نرى حرص رسول الله ﷺ على استنقاذ الأسرى مهما كان هذا الثمن كبيرًا ومهما بلغت خطورته.

٢- إطلاق سراح المسلمين بالمال:

أقرت الشريعة الإسلامية وجوب مفاداة أسرى المسلمين بالقتال انطلاقًا من القاعدة الشريعة (إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، وإن لم يقُم الإمام بذلك وقع الإثم على جميع المسلمين؛ لأنها من فروض الكفاية إذا قام بها البعض تسقط عن الجميع[4].

---

(١)**هشام بن العاص:** هو هشام بن العاص السهمي، الرجل الصالح المجاهد ابن أخت أبي جهل، وهي أم حرملة المخزومية، وقد مضى قول النبي ﷺ: ابنا العاص مؤمنان.. كان هشام قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة، ثم رد إلى مكة إذ بلغه أن النبي ﷺ قد هاجر ليلحق به، فحبسه قومه بمكة. ثم قدم بعد الخندق مهاجرًا وشهد ما بعدها. وكان عمرو أكبر منه -لم يعقب-، قالوا لعمرو بن العاص: أنت خير أم أخوك هشام؟ قال: أخبركم عني وعنه، عرضنا أنفسنا على الله، فقبله وتركني. قال سفيان: قتل يوم اليرموك أو غيره شهيدًا ﷺ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ص٧٩).

(٢)**الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي:** أخو خالد بن الوليد. شهد بدرًا مشركًا، فأسره عبد الله بن جحش، وقيل: أسره سليك المازني الأنصاري، فقدم في فوائده أخوه خالد وهشام، وكان هشام أخا الوليد لأبيه وأمه، فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم، فجعل خالد لا يبلغ ذلك، فقال له هشام: ليس بابن أمك! والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت. ويقال: إن النبي ﷺ قال لعبد الله بن جحش: لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه الوليد- وكان الشكة: درعًا فضفاضة، وسيفًا وبيضةً. فأبى ذلك خالد وأجاب هشام، فأقيمت الشكة بمائة دينار، فسلماها إلى عبد الله بن جحش. فلما افتدى أسلم، فقيل له: هلا أسلمت قبل أن تفتدي؟ قال: كرهت أن تظنوا بي أني جزعت من الإسار. فحبسوه بمكة. وكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا لهم من المستضعفين المؤمنين بمكة، ثم أفلت من إسارهم ولحق برسول الله ﷺ، وشهد مع النبي ﷺ عمرة القضية. وقيل: إن الوليد لما أفلت من مكة وسار على رجليه ماشيًا، فطلبوه فلم يدركوه، فنكبت إصبعه، فمات عند بئر أبي عنبة- على ميل من المدينة. (ابن الأثير، أسد الغابة، ص ١٢٢).

(٣) ابن هشام، سيرة ابن هشام (ج١/٤٧٦).

(٤) القرطبي، تفسير القرطبي (ج٥/٢٩٧).

ويكون تكاليف فداء أسرى المسلمين من بيت مال المسلمين؛ لأن الحديث جاء عامًا يشمل جميع المسلمين، حيث قال رسول الله ﷺ: **(فُكّوا العاني)**، وإذا لم يكن في بيت مال المسلمين ما يكفي من المال، يُجمعُ من المسلمين كلٌ قدر استطاعته لتنفيذ ذلك[1].

٣- إطلاق سراح أسرى المسلمين مقابل إطلاق سراح أسرى الكفار:

وذلك من خلال عملية تبادل الأسرى، حيث يقوم الإمام في الدولة الإسلامية بعقد صفقة تبادل للأسرى مع الدولة المعادية لدولة المسلمين، بموجبها يُطلق سراح أسرى المسلمين الموجودين عند العدو، ويطلق سراح أسرى الكفار الموجودين عند المسلمين، وقد أجاز جمهور الفقهاء عملية تبادل الأسرى لما فيها من خير لأسرى المسلمين وعائلاتهم وذويهم، وما تعود به من نفع على الدولة الإسلامية[2].

وبعد هذه الدراسة المستفيضة لموقف الشريعة الإسلامية من الأسير المسلم عند العدو، يتبين مما سبق أن الشريعة الإسلامية ممثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، أي بمصادر تشريعها الأربعة، جاءت مناصِرةِ وداعمة للأسير وحاثّة على إطلاق سراحه بكل الوسائل الممكنة والسبل المتاحة كافة وإخراجه من أيدي العدو، لما في ذلك من مصلحة عامة للمسلمين وللأمة الإسلامية، وخاصة للأسير نفسه ومحيطه الاجتماعي المقرب من أمٍ وأبٍ وأختٍ وأخٍ وزوجته وأبنائه، حيث يزيل إرجاع الأسير الهمّ والغم والحزن عن الأسرة، ويعيد لها توازنها واستقرارها وتكون أسرة فاعلة، لذلك لا بد من إطلاق سراح أسرى المسلمين وخاصة في فلسطين، حيث يوجد الآلاف من الأسرى يقبعون في سجون الاحتلال الإسرائيلي، ولا بد من إعطاء قضية الأسرى اهتمامًا كبيرًا من قبل ولاة الأمر والمجتمع، لما لها من أثر كبير في عودة الصفاء للأسرة والمجتمع.

ثانيًا- موقف الشريعة من أسير العدو:

إن الإسلام دين رحمة ودين للبشرية كافة، وقد شمل الجزئيات والكليات، وكان بمثابة منقذ للبشرية من جهلها وعبوديتها واستقواء القوي على الضعيف وتجاهل الحقوق بشكل عام، فكان هذا الدين عبارة عن مشكاة في وسط الظلام وضوء يستنير ويسترشد به كل ضالٍ، فكيف لهذا الدين أن يظلم الأسرى؟

---

(١) انظر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج٣٢/٦٠).

(٢) المغربي، مواهب الجليل (ج٣/٣٥٩)؛ وابن قدامة، المغني (ج١٣/٤٤-٤٥).

فأمر المسلمين بمعاملة الأسرى معاملة إنسانية رحيمة، ودعا إلى إكرامهم والإحسان إليهم، وأثنى على من يحسن معاملتهم جميل الثناء[1].

ودعا الإسلام إلى إنصاف المظلوم، وإخراج الناس من الكفر إلى الإيمان، وتعزيز الرحمة والعدالة ونشرها، ونقل البشرية من الهمجية في التعامل مع الأسير إلى رحمة وألفة ورأفة حال به والإحسان إليه، وقد أمر الله المسلمين بالإحسان إلى الأسرى المشركين[2]، ووضع الإسلام تشريعات خاصة بالأسرى، ووردت نصوص القرآن كثيرة في هذا المضمار وزخرت السنة النبوية بالأحاديث الشريفة الحاثة على معاملة الأسرى معاملة حسنة تليق بالأسير كإنسان، يقول الله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[3]، ومن هذه الآية يتضح أن الله سبحانه وتعالى يَعِد الأسرى الذين في قلوبهم الخير بالعفو والعافية، فالأولى بالمسلمين أن يكونوا رحماء بالأسرى، ويجب على المسلمين تقديم الطعام للأسير وتفضيله على أنفسهم، وأن يكون طعامًا جيدًا وكميته كافية لإطعام الأسير، وذلك استجابة لأمر الله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾[4]، وقال ابن كثير: "قال ابن عباس كان أسراهم يومئذ مشركين، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء ويطعمونهم الطعام وهم يشتهونه ويحبونه"[5].

وأوصى النبي ﷺ أصحابه بمعاملة الأسرى معاملة حسنة فقال: **(اسْتَوْصُوا بِالأَسْرَى خَيْرًا)**[6].وقال رسول الله ﷺ:**(أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِيَ، قَالَ سُفْيَانُ وَالْعَانِي الْأَسِيرُ)**[7].

ونهى رسول الله ﷺ عن تعذيب الأسرى وإهانتهم، وفي حادثة أسرى يهود بني قريظة حين رأى رسول الله الأسرى موقوفين في العراء في ظهيرة يوم شديد الحرارة، فخاطب المسلمين

---

(١) السيد سابق، فقه السنة (ج٢/٦٨٧-٦٨٦).
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج١٩/١٢٦).
(٣) [الأنفال: ٧٠].
(٤)[الإنسان: ٨-٩].
(٥) ابن كثير، تفسير ابن كثير (ج١٤/٢١٠).
(٦) الطبراني، المعجم الكبير (ص٩٧٧).
(٧) البخاري، صحيح البخاري (ج٧/٦٧).

المكلفين بحراستهم: "لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السيف، وقيلوهم واسقوهم حتى يبردوا"(١).

وكان الصحابة ﷺيمتثلون لأوامر النبي ﷺ ويحسنون إلى أسراهم، وشهد الأسرى على إحسان الآسرين لهم بأنفسهم، حيث مدح أبو عزيز بن عمير وكان من أسرى بدر: [كنت مع رهط من الأنصار حين قفلوا، فكانوا إذا قدموا طعامًا خصوني بالخبز وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله إياهم بنا، ما يقع في يد رجل منهم كسرة إلا نفحني بها؛ قال: فأستحي فأردها على أحدهم فيردها علي ما يمسها](٢)، وقيل للإمام مالك: [أيعذب الأسير إن رجيَ أن يدل على عورة العدو؟ قال: ما سمعت بذلك، وأنكر الرسول ﷺ هذا الفعل، فعندما ضرب الصحابة غلامين من قريش كانا أسيرين في أحداث بدر، قال لهم ﷺ: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقًا، والله إنهما لقريش]، وعلى الرغم من أن الغلامين كانا يمدان الجيش بالماء(٣).

وقد أقر الإسلام أنه لا بد من تقديم كسوة للأسير تقيه حر الصيف وبرد الشتاء، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ من حديث جابر ﷺأنه يوم بدر أُتي بالأسارى، وأُتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر رسول ﷺ فوجد قميص عبد الله بن أبي بن الحارث يقدر عليه فكساه إياه، كما ورد أنه ﷺ كساه بعضًا من ملابسه(٤).

ويجوز لولي الأمر أن يعفو عن الأسرى ويمنّ عليهم بإطلاق سراحهم بما يتوافق مع مصلحة الدولة الإسلامية، أو فدائهم حيث أجمع العلماء على أمر الفداء، وجاءت الآية الكريمة موضحة ذلك في فداء الأسير غير المسلم في دولة الإسلام، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾(٥)، وفي تفسير هذه الآية التي نصت صراحة على أن للمسلمين في ساحة المعركة مع الكفار الحق في إعمال السيف في رقابهم، وبعد إنهاكهم ووصولهم إلى درجة

---

(١) الشيباني، السير الكبير (ج٢/٥٩١).

(٢) الطبري، تاريخ الطبري (ج٢/٢٩)؛ وابن كثير، البداية والنهاية (ج٣/٣٠٧).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٤/٦٨).

(٤) الهندي، حقوق الأسرى (ص٢٠٥).

(٥)[محمد: ٤].

التسليم يقبض عليهم ويقيدون ويحفظون حتى تضع الحرب أوزارها، وعند ذلك يحق للمسلمين إطلاق سراحهم بالمنّ عليهم أو مفاداتهم بالمال.[1]

حيث يمكن للدولة الإسلامية ممثلة بالحاكم بإطلاق سراحهم منًّا عليهم، وحكم رسول الله ﷺ في كثير من غزواته بالعفو عن الأسرى، وأكبر شاهد على ذلك يوم فتح مكة حينما قال رسول الله ﷺلأهله وعشيرته حين اجتمعوا في المسجد: [ماذا ترون أني فاعل بكم؟]. قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخٍ كريم. قال: **(اذهبوا فأنتم الطلقاء)**[2]، ومدح القرآن الكريم العافين في قوله تعالى: **﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[3]، وكان العفو من شيم المصطفى ﷺ حيث إنه أطلق الأسرى لأسباب بسيطة أو لتدخل رجل من المؤمنين لصالح الأسير طالبًا حريته، وقد تمنى رسول الله ﷺ حياة أحد الكفار الموتى ليتدخل ليطلق سراح أسرى بدر، وهو المطعم بن عدي[4]، ويدل ذلك على ما للعفو من قيمة سامية في الشريعة الإسلامية، وتكون سببًا في إسلام الأسرى.

ويجوز للأسير غير المسلم عند المسلمين أن يفدي نفسه بالمال، مثلما حصل مع أسرى غزوة بدر، أو يفدى بأسير مسلم عند الكفار، ولم يقف الرسول ﷺ عند هذا الحد، بل جعل التعليم شرطًا للفداء، كما فعل مع أسرى بدر حين فداهم بتعليم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة[5].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٤/٨٠).

(٢) البيهقي، السنن الكبرى (ج٩/١١٨).

(٣)[المنافقون: ١٤]

(٤)**المطعم بن عدي:** هو رجل من قريش من بني عبد مناف، والد الصحابي الجبير بن مطعم، عاش في زمن النبي ﷺ، ولكنه توفي ولم يعتنق الإسلام ورغم ذلك فإن له في نفوس المسلمين احترامًا كبيرًا، لمواقفه الداعمة للمسلمين في بداية الدعوة، فقد كان أحد الستة الذين نقضوا صحيفة المقاطعة لبني هاشم والتي كتبت وعلقت في الكعبة، وهو الذي أجار النبي لدى رجوعه من الطائف عندما رفضت قريش دخوله مكة، ومن مناقبه المحمودة للإسلام أنه عندما كشفت قريش أمر بيعة العقبة الثانية وقامت بمطاردة المبايعين بعد أدائهم الحج، وتمكنت من القبض على سعد بن عبادة، ربطوه ودخلوا فيه إلى مكة، لكن المطعم ومعه الحارث بن الحرب خلصوه من أيدي القرشيين لأنه كان يجير قوافلهم المارة بالمدينة فرجع فلم يمسه سوء، توفي المطعم في مكة قبل غزوة بدر وله نيف وتسعون سنة. ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج١/٢١٠)؛ وابن هشام، السيرة النبوية (ج١/٣٨٠).

(٥) البيهقي، السنن الكبرى (ج٩/٨٩).

يتبين مما سبق أن الشريعة الإسلامية أعطت للأسير غير المسلم في أيدي المسلمين حقوقًا كثيرة كفلها الدين الإسلامي للأسير، من مأكل ومشرب وملبس ومأوى ومعاملة حسنة وحفظ نفسه بعد انتهاء المعركة، وإطلاق سراحه إما بالمنّ أو بالفداء، ويكون مؤمّنًا على نفسه في حدود الدولة الإسلامية، ويكرم إلى أن تحين ساعة الإفراج عنه، وهذا يدل على أن الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية كانا مصدرًا للحرية وركيزة من ركائز صيانة الحقوق، وإن كان هناك بعض التجاوزات في بعض الأحيان مع الأسرى فهو نابع من الفهم الخاطئ للآسر، أو من الظروف المحيطة بعملية الأسر.

سنتحدث فيالمبحث التالي عن حياة الأسير المسلم عند العدو وشرح أصناف العذاب والاضطهاد وأنواعه كافة التي قد يتعرض لها، وآلية التعامل معها، وموقف الشرع في آلية التعامل معها، وكيف للأسير التخلص منها، وكيفية الصبر عليها.

المبحث الثالث

حياة الأسير المسلم عند العدو

إن المسلم كباقي أفراد البشر يمكن أن يقع في الأسر، وهذا ناتج طبيعي للحروب التي تقع بين الأمم، والحروب عبارة عن عمل مشترك بين جيشين أو أكثر، ولا يستطيع جيش من الجيوش المتحاربة أن يتجنب أضرار الحرب وعواقبها سواء أكان منتصرًا أم مهزومًا.

ووقوع الأسر على بعض أفراد الجيش في الغالب هو أمر واقع، ويكون هناك أسرى في الطرف المنتصر والطرف المهزوم، والجيوش تضع في حساباتها هذه النتائج وتقدر الخسائر قبل بدء المعركة وبعد نهايتها.

وما ينطبق على الأمم غير المسلمة بالضرورة ينطبق على الأمة المسلمة، وكما يقع في يد المسلمين أسرى من الأعداء يقع في يد الأعداء أسرى من المسلمين، وكما تطبق قوانين الدولة الإسلامية الآسرة على أسرى العدو يطبق العدو قوانينه على أسرى المسلمين الواقعين تحت سيادته، وكما أن الأحكام تجري على الأسرى الذين يأسرهم المسلمون، فلا بد أن تكون هناك أحكام مقابلة تتعلق بالأسرى المسلمين الذين يقعون في قبضة العدو، فهم بمجرد أسرهم يكونوا قد خرجوا – ولو مدة معينة – من يد الدولة الإسلامية إلى يد غيرها، وصاروا تحت سلطان عدوهم الذي يعاملهم بمقتضى قواعده وتقاليده، ولا شأن له بأحكام الإسلام وتقاليده.

إن أسر المسلم عند العدو من أشد أنواع المصائب عليه وأشدها هزيمة على نفسه، وخاصة إذا كانت عملية الأسر ناتجة عن معركة حربية، حيث يُنحّى المقاتل المسلم عن ميدان المعركة قسرًا، إضافة إلى تجريده من سلاحه ومصادرة حريته وتكبيله بالقيود من عدوّه دون حول له ولا قوة، وهم الذين يحددون حريته، ويضعون القيود على تصرفاته، وإذا كان الأسير المسلم ينتظر ساعة الخلاص من هذا القيد، والتحرر منه، فلا بد أن يواجه وضعه في الأسر والحياة بحرية مسلوبة ولو إلى حين الفرج، وبما أنه أصبح أسيرًا في يد العدو فربما يباع ويشترى ويسترقّ ويباع على أنه رقيق، وقد يقع في يد مشرك بعد البيع فيتم استرقاقه، إلى أن يأذن الله له بالخلاص، ويبقى الأسير المسلم حرًّا وليس عبدًا؛ لأنه أُسِر وهو حرّ، وإذا اشتراه مسلم سواء فرد أو دولة فعلى المسلم أن يخلي سبيله، وذلك من خلال المنّ عليه بإطلاقه أو من خلال دفع ما يُدفع ثمن تحريره وفداء نفسه[١]، وقد قال المغيرة بن شعبة في الحرّ المسلم يأسره العدو، فيشتريه

---

(١) الشيباني، شرح السير الكبير (ج١/١٠٣٤).

الرجل من المسلمين: إنه لا يكون رقيقًا، وعليه أن يسعى للرجل في الثمن الذي اشتراه به حتى يؤديه إليه[1]، ولقد توافق الإمام مالك[2] مع هذا الرأي[3]، وأيضًا كان رأي أبو حنيفة[4]، يصب

---

(١) ابن قدامة، المغنى (ج١/٤٩٤).

(٢)**أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني** (٩٣-١٧٩هـ / ٧١١-٧٩٥م) فقيه ومحدِّث مسلم، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي. اشتُهر بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي وتثبُّته فيه، وكان معروفًا بالصبر والذكاء والهيبة والوقار والأخلاق الحسنة، وقد أثنى عليه كثيرٌ من العلماء منهم الإمام الشافعي بقوله: «إذا ذُكر العلماء فمالك النجم، ومالك حجة الله على خلقه بعد التابعين». ويُعدُّ كتابه "الموطأ" من أوائل كتب الحديث النبوي وأشهرها وأصحِّها، حتى قال فيه الإمام الشافعي: «ما بعد كتاب الله تعالى كتابٌ أكثرُ صوابًا من موطأ مالك». وقد اعتمد الإمام مالك في فتواه على عدة مصادر تشريعية هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان، والعرف والعادات، وسد الذرائع، والاستصحاب.

وُلد الإمام مالك بالمدينة المنورة سنة ٩٣هـ، ونشأ في بيت كان مشتغلًا بعلم الحديث واستطلاع الآثار وأخبار الصحابة وفتاواهم، فحفظ القرآن الكريم في صدر حياته، ثم اتجه إلى حفظ الحديث النبوي وتعلُّمِ الفقه الإسلامي، فلازم فقيه المدينة المنورة ابن هرمز سبع سنين يتعلم عنده، كما أخذ عن كثير من غيره من العلماء كنافع مولى ابن عمر وابن شهاب الزهري، وبعد أن اكتملت دراسته للآثار والفُتيا، وبعد أن شهد له سبعون شيخًا من أهل العلم أنه موضع لذلك، اتخذ له مجلسًا في المسجد النبوي للدرس والإفتاء، وقد عُرف درسُه بالسكينة والوقار واحترام الأحاديث النبوية وإجلالها، وكان يتحرزُ أن يُخطئ في إفتائه ويُكثرُ من قول «لا أدري»، وكان يقول: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه». وفي سنة ١٧٩هـ مرض الإمام مالك اثنين وعشرين يومًا ثم مات، وصلى عليه أميرُ المدينة عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ثم دُفن بالبقيع. الذهبي: سير أعلام النبلاء (ج٧/١٥٠).

(٣)مالك، المدونة الكبرى (ج٣/١٧).

(٤)**أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ** (٨٠-١٥٠هـ / ٦٩٩-٧٦٧م) فقيه وعالم مسلم، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي. اشتهر بعلمه الغزير وأخلاقه الحسنة، حتى قال فيه الإمام الشافعي: «من أراد أن يتبحَّر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة»، ويُعد أبو حنيفة من التابعين، فقد لقي عددًا من الصحابة منهم أنس بن مالك، وكان معروفًا بالورع وكثرة العبادة والوقار والإخلاص وقوة الشخصية. كان أبو حنيفة يعتمد في فقهه على ستة مصادر هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والعُرف والعادة.

وُلد أبو حنيفة بالكوفة ونشأ فيها، وقد كانت الكوفة إحدى مدن العراق العظيمة، ينتشر فيها العلماء أصحاب المذاهب والديانات المختلفة، وقد نشأ أبو حنيفة في هذه البيئة الغنية بالعلم والعلماء، فابتدأ منذ الصبا يجادل مع المجادلين، ولكنه كان منصرفًا إلى مهنة التجارة، فأبوه وجده كانا تاجرين، ثم انصرف =

في نفس السياق[1]، ويعامل العبد المسلم إذا وقع في الأسر نفس المعاملة، فإن سيّده أولى بدفع المال عنه، وأشار الإمام مالك إلى ذلك حين سُئل عن رجل حاز المشركون غلامه ثم غنمه المسلمون، قال الإمام مالك: صاحبه أولى به بغير ثمن ولا قيمة ولا غرم، ما لم تصبه المقاسم، فإن وقعت فيه المقاسم يكون الفلاح لسيده بالثمن إن شاء[2]، أما إذا دخل رجل من المسلمين إلى بلاد الكفار واشترى العبيد فإن سادتهم يأخذونهم بالثمن الذي يبيعون به لا قيمتهم الأولى[3]، ويتضح لنا أن الأسير المسلم هو في ذمة إخوانه وعليهم بذل السبل كافة لإخراجه من قبضة العدو كي يعود حرًّا إلى ديار المسلمين.

وطوال فترة بقاء الأسير المسلم في الأسر فإن الدولة الآسرة ستمارس عليه أشكال العذاب والضغط كافة، وفي بعض الأحيان سوف يتعرض لكل صنوف العذاب مجتمعة وإكراهه على ما لا يحب، وربما يصل الأمر إلى القتل إذا لم يستجب لأوامر العدو. وتتنوع أساليب ضغط الأعداء على الأسير المسلم حسب الحاجة التي يريدها الأعداء منه، حيث يُعذّب حتى يفشي أسرار الدولة التي بحوزته وأسرار الجيش الذي يحارب معه، وفي بعض الظروف يُكره على القتال معهم، وفي بعض الأحيان يُضغط عليه لترك الإسلام والكفر، ويبيح الإسلام للأسير التجاوب في بعض الظروف للضغط وفي أحيان أخرى لا يجيز له ذلك، وحسب ما يطلبه منه الأعداء، ويرجع تحليل الاستجابة لهم وتحريمها إلى حدة الخطر الناتج عن ذلك، وما يترتب عليه من ضرر يقع على المسلمين، فقد أجاز الإمام الأوزاعي[4] للأسير المسلم أن يسلّم عنقه

=

إلى طلب العلم، وصار يختلف إلى حلقات العلماء، واتجه إلى دراسة الفقه بعد أن استعرض العلوم المعروفة في ذلك العصر، ولزم شيخه حماد بن أبي سليمان يتعلم منه الفقه حتى مات حماد سنة ١٢٠هـ، فتولى أبو حنيفة رئاسة حلقة شيخه حماد بمسجد الكوفة، وأخذ يدارس تلاميذه ما يُعرض له من فتاوى، حتى وَضع تلك الطريقةَ الفقهيةَ التي اشتُق منها المذهب الحنفي. أبو زهرة،أبو حنيفة حياته وعصره وآراؤه وفقهه(ص١٤).

(١) الطبري، اختلاف الفقهاء، كتاب الجهاد (ص ص١٨٩-١٩٠).

(٢) السيوفي، تنويل الحوالك على شرح موطأ مالك (ج٢/١٠).

(٣)مالك، المدونة الكبرى(ج٣/١٦-١٧).

(٤)**الأوزاعي**: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي، كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات وقيل: كان مولده ببعلبك، حدث عن: عطاء بن أبي رباح، وأبي جعفر الباقر، وعمرو بن شعيب، ومكحول، وقتادة، والقاسم بن مخيمرة، وربيعة بن يزيد القصير، وبلال بن سعد، والزهري، وعبدة بن أبي لبابة، ويحيى بن أبي كثير، وأبي كثير السحيمي اليمامي، وحسان بن عطية، إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، ومطعم بن المقدام، وعمير بن هانئ العنسي، ويونس بن ميسرة ومحمد بن إبراهيم التيمي.الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٧/١٠٨ – ١٠٩).

للقتل كي لا يمثلوا به، بينما لم يجِز الإمام سفيان[١] ذلك بسبب أنه يساعدهم في قتل نفسه[٢]، ويجوز للأسير المسلم أن يتجاوب مع العدو بما يحفظ عليه حياته دون أن يلحق الضرر بجوهر الدين، ولنا في قصة عبدالله بن حذافة[٣] خير مثال، حيث قاوم الأعداء وتمسك بدينه، ولكنه أخذ بالتقية فيما دون ذلك، وقد قبل منه عمر اتجاهه وأيده[٤]، وذكر أن عبدالله بن حذافة أسره الروم فجاؤوا به إلى ملكهم، فقال له: تَنَصَّر وأشركك في ملكي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، فعرضوه للعذاب الشديد، ولما يئسوا منه، قال له الملك: قبِّل رأسي وأنا أطلِقُك، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين، قال نعم: فقبَّل رأسه، فأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب: حُقّ على كل مسلم أن يقبّل رأس عبدالله وأنا أبدأ، فقام فقبّل رأسه[٥].

وفي بعض الأحوال يكره الأسير على الكفر، فلا بأس إن كان الأمر لا يتجاوز نطق اللسان به وقلبه يقر غير ذلك وإيمانه القلبي راسخ، فتجوز مجاملتهم باللسان ما دام القلب

---

(١)**سفيان الثوري:** ابن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكذا نسبه ابن أبي الدنيا عن محمد بن خلف التيمي، غير أنه أسقط منه منقذا والحارث، وزاد بعد مسروق حمزة، والباقي سواء. وكذلك ذكر نسبه الهيثم بن عدي، وابن سعد، وأنه من ثور طابخة، وبعضهم قال: هو من ثور همدان، وليس بشيء. هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب "الجامع". ولد سنة سبع وتسعين اتفاقًا، وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده، المحدث الصادق: سعيد بن مسروق الثوري. ومات سنة ست وعشرين ومائة.الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٧/٢٣٠ – ٢٣١).

(٢) الطبري، اختلاف الفقهاء (ص١٦٧)

(٣)**عبد الله بن حذافة:** بن قيس بن عدي، أبو حذافة السهمي. أحد السابقين هاجر إلى الحبشة، ونفذه النبي ﷺ رسولًا إلى كسرى. وله رواية يسيرة. [ص:١٢] خرج إلى الشام مجاهدًا، فأسر على قيسارية، وحملوه إلى طاغيتهم، فراوده عن دينه، فلم يفتتن. حدث عنه سليمان بن يسار، وأبو وائل، ومسعود بن الحكم، وأبو سلمة بن عبد الرحمن. قال البخاري: حديثه مرسل. وقال أبو بكر بن البرقي: الذي حفظ عنه ثلاثة أحاديث ليست بمتصلة. وقال أبو سعيد بن يونس، وابن منده: شهد بدرًا. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٢/١١–١٢).

(٤) ابن كثير، تفسير ابن كثير (ج٢/٥٨٨).

(٥) ابن العربي، أحكام القرآن (ج١/١٠).

ينبض بالإيمان[1]، ومن صور إكراه الأسير إكراهه على الإدلاء بمعلومات استخبارية تفيد العدو، وتجعل العدو متفوقًا على المسلمين، بحيث يستطيع جيش العدو الانتصار على الجيش المسلم من خلال هذه المعلومات، ومن هذه الناحية فإنه لا يجوز للأسير الإفصاح عن هذه المعلومات حتى وإن قتل في سبيل ذلك؛ لما لها خطر على المسلمين وديار الإسلام[2]، والأسير المسلم قد يجبر على أن يشارك في القتال مع العدو ضد المسلمين، وفي هذه الحالة يمكن له بشرط أن يعود إلى ديار الإسلام حسب ما أورد الإمام الطبري[3]، ولكن جمهور العلماء لم يجِز ذلك؛ لأن العدو إذا حقق النصر على المسلمين فلن تكون له قيمة عند الأعداء ولن يكون فيه خير[4]، وحال إجبار الأسير المسلم على الاشتراك في القتال ضد عدو للمسلمين وعدو للدين وهو أسير عندهم لا ينبغي له ذلك إلا أن يخاف على نفسه من قبل أهل الحرب[5]، وروى عكرمة ابن ابي جهل[6] أنه أسلم قوم بمكة، ولم يمكنهم الخروج،فلما كان يوم بدر أخرجهم المشركون معهم كرهًا، فقتلوا، فنزل قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ**

---

(١) السيوفي، الأشباه والنظائر (ص٤٧).

(٢) الطبري، اختلاف الفقهاء (ص١٩٥).

(٣)المرجع السابق ، ص١٩٥.

(٤)المدني، المدونة (ج٣/٣١).

(٥) التاج، ابن الجليل(ج٣/٣٨٦).

(٦)**عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي** (١٣هـ -٦٣٤م): من صناديد قريش في الجاهلية والاسلام. كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ، تحولت إلى عكرمة رئاسة بني مخزوم بعد مقتل أبيه أبو جهل في غزوة بدر، وكان من رؤوس الكفر والغلاة فيه، فرزقه الله الإسلام. فقد عهد رسول الله ﷺ إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سماهم، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عكرمة بن أبي جهل، فركب عكرمة البحر، فأصابهم عاصف، فقال أصحاب السفينة لمن في السفينة أخلصوا، فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا هاهنا، فقال عكرمة لئن لم يُنجّني في البحر إلا الإخلاص ما يُنجّيني في البرّ غيره، اللهم إنّ لك علي عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه، أني آتي محمدًا حتى أضع يدي في يده، فلأجدنّه عفوًا كريمًا. وأسلمت زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة يوم الفتح، فقالت يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فآمنهُ فقال رسول الله ﷺ هو آمن فخرجت في طلبه، فأدركته باليمن، فجعلت تلمح إليه وتقول يا ابن عم، جئتُك من عند أوصل الناس وأبرّ الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك فوقف لها حتى أدركته، فقالت إني قد استأمنتُ لك رسول الله ﷺ قال: أنتِ فعلتِ؟ قالت نعم، أنا كلمتُهُ فأمّنَك فرجع معها. ، استشهد عكرمة بن أبي جهل في عام ١٣هـ في خلافة أبو بكر الصديق يوم مرج الصُّفَّر وقيل في اليرموك سنة ١٥هـ في خلافة عمر.الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٦/١١٥).

قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[١][٢]، وفي حال ضُغط على الأسير أن يحارب مع العدو ضد عدو آخر له وهو عدو للمسلمين، فكان رأي الإمام بعدم جواز ذلك؛ لأن وظيفة المسلم القتال من أجل رفع راية الإسلام ونقل الناس من الكفر إلى الإسلام، وفي هذه الحالة يكون قد ساعد الأعداء الكفار على الكفار، وهذا لا يجوز للمسلم لأن ملة الكفر واحدة[٣]، ويجوز فقط للمسلم في حال الدفاع عن نفسه فقط[٤]، وفي غالب الأمر يجوز للأسير للمسلم فقط الاشتراك مع الأعداء للضرورة أو من أجل إطلاق سراحه فقط لا غير، ولكن يكره الاشتغال بما يقويهم على القتال[٥]، ويرى الشافعي أن جماعة من المسلمين وقعوا في الأسر وأراد الكفار أن يشركوهم في قتال أعدائهم المشركين مثلهم، فقال: يجوز قتالهم، ورُوي عن الزبير[٦] أنه هو وأصحابه، في بلاد الحبشة[٧] قاتل مع جيشها ضد غزاة للحبشة

---

(١) ابن العربي، أحكام القرآن (ص١١٨٠).

(٢) [النساء: ٩٧-٩٩].

(٣)مالك، المدونة الكبرى (ج٣/٣٢).

(٤) الصفاني، التاج المذهب شرح ضمن الاجار (ج٤/٤٤٢).

(٥)ابن قدامة، المغني (ج٨/٤٨٣).

(٦)**الزبير بن العوام:** ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله، أبو عبد الله ﷺ، أسلم وهو حدث، له ست عشرة سنة، وروى الليث، عن أبي الأسود، عن عروة قال: أسلم الزبير، ابن ثماني سنين، ونفحت نفحة من الشيطان أن رسول الله أخذ بأعلى مكة، فخرج الزبير وهو غلام، ابن اثنتي عشرة سنة، بيده السيف، فمن رآه عجب، وقال: الغلام معه السيف، حتى أتى النبي ﷺ، فقال: "ما لك يا زبير؟"، فأخبره وقال: أتيت أضرب بسيفي من أخذك، وقد ورد أن الزبير كان رجلًا طويلًا إذا ركب خطت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين. روى أحاديث يسيرة.

حدث عنه بنوه: عبد الله، ومصعب، وعروة، وجعفر، ومالك بن أوس بن الحدثان، والأحنف بن قيس، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومسلم بن جندب، وأبو حكيم مولاه، وآخرون، اتفقا له على حديثين، وانفرد له البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بحديث. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١/٤٢).

(٧)**أرض الحبشة:** هي أرض هاجر إليها بعض المسلمين الأوائل من مكة إلى بلاد الحبشة؛ بسبب ما كانوا يلاقونه من إيذاء من زعماء قريش وكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة في رجب من العام الخامس بعد البعثة، وكانوا أحد عشر رجلًا وأربع نسوة، ثم بلغهم وهم بأرض الحبشة أن أهل مكة أسلموا، فرجع بعضٌ منهم إلى مكة فلم يجدوا ذلك صحيحًا، فرجعوا، وسار معهم مجموعة أخرى إلى الحبشة، وهي الهجرة =

كانوا مشركين، وهنا يتضح أنه يمكن للأسير للمسلم أن يقاتل مع المشركين ضد مشركين آخرين، ولكن يحرم على الأسير المسلم أن يشترك في حرب مع المشركين ضد المسلمين؛ لأنه يؤدي إلى تقوية الكفار على المسلمين[1].

ومن خلال الاطلاع على حياة الأسير المسلم عند العدو، فإن العدو يتبع الصور والأشكال كافة للوصول إلى معلومات عن المسلمين، ما يعرض الأسير للضغط والتعذيب كي يدل على عورات المسلمين، أو أن يقاتل مع المشركين ضدهم، أو أن يُجبر على ترك الإسلام واعتقاد ملة الدولة الآسرة له، ومن المعلوم أن إدلاء الأسير بمعلومات تفيد العدو وتصيب المسلمين بالضرر هو شيء في غاية الخطورة، فليحرص الأسير على تفاديه على قدر طاقته، وإن كانت ستؤدي هذه المعلومات إلى إيقاع هزيمة بالمسلمين؛ فإنه لا يجوز للأسير الإدلاء بها، حتى إن وصل الأمر إلى قتله، كما ذهب إلى ذلك الكثير من الفقهاء، ولكن تبقى قدرة الأسير على التحمل مختلفة من أسير إلى آخر، ولا يكلِّف الإنسان المسلم أكثر مما يطيق، ومن صور إجرام العدو في الأسرى الموجودين بحوزته استخدامهم دروعًا بشرية للحماية من الجيش المسلم ولإيقافه عن التقدم في المعركة، وعندما حاصر المسلمون مدينة الروم ومنعوا عنهم الماء، قام الروم باستخدام الأسرى المسلمين لإحضار الماء لهم، وكان الجيش المسلم لا يستطيع رمي الأسرى خشية إصابتهم، وفي هذه الحالة أجاز أبو حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري الرميَ في حصون المشركين وإن كان فيهم أسارى المسلمين وأطفالهم، ولكن إذا كان في ذلك هلاكهم كفّوا عن الرمي، إلا إذا خاف الجيش المسلم من الهزيمة فيجوز الرمي وتَجِب الدية[2] عند إصابة الأسرى[3]، ويرى الأوزاعي أنه إذا تحصن الكفار بأولاد المسلمين كفّوا عن رميهم، فإن برز أحد منهم رموه، عملًا بقوله: ﴿**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾، ومن خلال الآية وموقف العلماء يتضح لنا أن موضوع أخذ الأعداء للأسرى دروعًا =

الثانية، وكانوا اثنين وثمانين رجلًا ونساؤهم وأبناؤهم. الحموي، ياقوت: معجم البلدان (ج٤/ ١٤٧) ، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج٧/ ٢٢٨).

(١)الشافعي،الأم (ج٤/١٩٨).

(٢)**الدِّيَةُ**: المالُ الذي يُعطَى وليَّ المقتول بَدَلَ نفسِه؛ فهي واجبة في قتل الخطأ على عاقلة القاتل، وهم عصبته، وهم الأب، والأجداد من جهة الأب، والإخوة الأشقاء والإخوة من الأب وأبناؤهم، والأعمام وأبناؤهم، وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد.ابن عثيمين: الشرح الممتع (ج١١/٧٧).

(٣) العيني، شرح الكنز (ج١/٢٥٢).

بشرية وآلية التعامل معهم من قبل الجيش المسلم تقدّر بقدرها والموقف الذي تقع فيه، وتترك للقائد المسلم أن يقرر متى يرمي العدو، ومتى يكفّ عن الرمي، ويرجع ذلك إلى أمر المعركة، فيجوز لقائد الجيش الكفّ عن الرمي كي يصون حياة المسلمين من الأسرى، وفي الوقت نفسهلا يسمح لجيش الكفار بالتقدم على الجيش الإسلامي، وفي هذه الحالة يكون الرمي واجبًا وإن أدى إلى قتل المسلمين الذين في أيديهم، وفي الواقع الحرب تجرّ ويلاتها على الأبرياء وعلى المحاربين سواء بسواء، وكان عمر بن الخطاب ﷺمدرسة في هذا النهج، حيث كان يترك لقواته تقييم الموقف والتصرف وفق مجريات المعركة بما يتناسب وسياسة الحرب العامة من فتح القلاع وفك الحصار وبدء الهجوم، ومن حق القائد أن يقرر ما يرى دون الرجوع إلى الإمام، ويدل على ذلك عندما استشار أبو عبيدة بن الجراح[(١)(٢)] خليفة المسلمين عمر بن الخطاب في ملاحقة جيش العدو، فكتب إليه عمر: (أنت الشاهد وأنا الغائب، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإن رأيت الدخول إلى الدروب صوابًا فابعث إليهم السرايا، وضيّق عليهم مسالكهم، وإن طلبوا إليك الصلح فصالحهم)[(٣)]، فهنا نرى أن عمر بن الخطاب أطلق يد قائده في المعركة بحكم وجود القائد في الميدان وغياب الخليفة عنه.

---

(١)**أبو عبيدة بن الجراح** عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، القرشي الفهري المكي. أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم [ص:٦] السقيفة، لكمال أهليته عند أبي بكر يجتمع في النسب هو والنبي ﷺ في فهر، شهد له النبي ﷺ بالجنة، وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة. روى أحاديث معدودة وغزا غزوات مشهودة.

حدث عنه العرباض بن سارية، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة الباهلي، وسمرة بن جندب، وأسلم مولى عمر، وعبد الرحمن بن غنم، وآخرون.

له في "صحيح مسلم" حديث واحد، وله في "جامع أبي عيسى" حديث، وفي "مسند بقي" له خمسة عشر حديثًا.

وكان أبو عبيدة موصوفًا بحسن الخلق، وبالحلم الزائد والتواضع. قال محمد بن سعد: حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، قال عمر لجلسائه: تمنوا، فتمنوا، فقال عمر: لكني أتمنى بيتًا ممتلئًا رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح.

وقال ابن أبي شيبة: عن يونس، عن الحسن، قال رسول الله ﷺ: "ما من أصحابي أحد إلا لو شئت أخذت عليه، إلا أبا عبيدة". الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١/٥-٦-٧).

(٢) القعاد، محمود عباس:عبقرية عمر (ص١٣٤).

(٣) المرجع السابق، ص١٣٤.

وكان رسول الله ﷺ ينهى عن قتل الصبيان والنساء بشكل عام، ولكنه في غزوة الطائف[1] بما روي عن إسماعيل بن عياش[2] رمى رسول الله ﷺ أهل الطائف بالمجانيق[3] فقيل له: يا رسول الله إن فيها النساء والصبيان، فقال الرسول: هم من آبائهم)[4].

ومن أهم واجبات الدولة الإسلامية حماية الأسرى المسلمين والعمل على المحافظة على حياتهم، ولكن هذا الواجب يتم من خلال دراسة المصلحة العامة للمسلمين وفي ظلها ولا

---

(١)**غزوة الطائف:** وكان منصرف رسول الله ﷺ من حنين إلى الطائف، لم يرجع إلى مكة، ولا عَرَّجَ على شيء إلا غزو الطائف قبل أن يقسم غنائم حنين وقبل كل شيء، فسلك رسول الله ﷺ على الجعرانة في طريقه إلى الطائف، ثم أخذ على قرن، وابتنى في طريقه ذلك مسجدًا وصلى فيه، وأقاد في ذلك المكان بدم، وهو أول دم أقيد به في الإسلام من رجل من بني ليث قتل رجلًا من هذيل فقتله به، ووجد في طريقه ذلك حصنًا لمالك بْن عوف النضري فهدمه، ووجد هنالك أطما قد تَمَنَّعَ فيه رجل من ثقيف في ماله فأمر بهدمه، ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير (ص ٢٤٣).

(٢)**إسماعيل بن عياش:** ابن سليم الحافظ الإمام، محدث الشام، بقية الأعلام، أبو عتبة الحمصي العنسي، مولاهم. ولد سنة ثمان ومائة.

وسمع من: شرحبيل بن مسلم الخولاني، ومحمد بن زياد الألهاني، وعبد الله بن دينار البهراني، وعبد الرحمن بن جبير بن نفير، إن صح ذلك وهو في سنن أبي داود، وضمضم بن زرعة، وتميم بن عطية العنسي، وحبيب بن صالح الطائي، وثور بن يزيد، وحريز بن عثمان. وروى أيضا عن: زيد بن أسلم، وسهيل بن أبي صالح، وأبي طوالة، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، وعمارة بن غزية، وموسى بن عقبة، وهشام بن عروة، ويحيى بن سعيد، وابن جريج، وليث بن أبي سليم، وخلق من الحجازيين والعراقيين. وهو فيهم كثير الغلط بخلاف أهل بلده، فإنه يحفظ حديثهم، ويكاد أن يتقنه، إن شاء الله. وكان من بحور العلم، صادق اللهجة، متين الديانة، صاحب سنة واتباع، وجلالة ووقار. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٨/٣١٣-٣١٤).

(٣)**المنجنيق:** هي آلة حربية تستعمل لقذف الحجارة والسهام وكل ما يمكن قذفه من أجسام بواسطة ذراع فيه كفة يتحرر تحت ضغط قوة فتل الحبال. والمنجنيق يستخدم لرمي مقذوف من مسافة بعيدة دون مساعدة المتفجرات.كان يستعمله الرومان وأخذه المسلمون عنهم وطوروه كما هو الحال في كثير من الأسلحة وخطط الحرب وغير ذلك، ولم يكن العرب من أهل الجاهلية يستعملونه، وأول من استعمله النبي ﷺ في حصار أهل الطائف.أَوّلُ مَنْ رَمَى بِالْمَنْجَنِيق، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَرَمَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَنْجَنِيقِ. حَدّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوّلُ مَنْ رَمَى فِي الْإِسْلَامِ بِالْمَنْجَنِيقِ رَمَى أَهْلَ الطّائِفِ. انظر: ابن هشام: سيرة ابن هشام (ص ص٩٢-١١٠).

(٤) ابن هشام، سيرة ابن هشام (ج٣/٤٨٩).

يتعارض معها، فإذا عارضها فإن كيان الأمة الإسلامية في دينها ووحدتها أولى من الأفراد في أمنهم وحياتهم.

ولا تستمر حياة الأسير المسلم عند العدو على وتيرة واحدة، ويرجع ذلك إلى قوة وضعف الدولة الإسلامية، فإذا كانت الدولة الإسلامية قوية فإن الأسير المسلم له حقوق عند دولة العدو خوفًا من الدولة الإسلامية، والعكس في حال كانت الدولة الإسلامية ضعيفة، فإن الأسير يقع عليه الكثير من أصناف العذاب وألوانه ويصل في كثير من الأحيان إلى قتله، ونتج عن الحروب كثير من أسرى المسلمين يقعون في أيدي العدو، فمنهم من بقي في الأسر سنوات كثيرة أو أصبح عبدًا، واطّلعوا على ثقافة العدو وعلى أسراره، وعندما يُحررون من الأسر يعودون بحصيلة معلومات عن الدولة الآسرة، وتمتع بعض الأسرى المسلمين بأوضاع خاصة، فقد ورد أن مسلمة بن عبدالملك[(١)] اشترط على ملك الروم في إحدى غزواته بناء قصر قريب من قصره ينزل به وجهاء الأسرى المسلمين فيكونون تحت رعاية الملك نفسه، فكان لهم تنزه وتعهد ومنزلة حسنة، وكانت لهم فرصة للتعرف إلى أحوال الروم وعاداتهم[(٢)].

وقد قدم بعض هؤلاء الأسرى خدمات لا تقدر بثمن للمسلمين، حيث قام الروم بإجبار أسير مسلم على التنصّر وعند دخول جيش المعتصم[(٣)] وتقدمه لفتح عمورية[(٤)]، قام هذا الأسير بالهرب والانضمام إلى جيش المسلمين ودلّهم على نقاط الضعف في

---

(١)مسلمة بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم الأمير الضرغام، قائد الجيوش أبو سعيد وأبو الأصبغ الأموي الدمشقي، ويلقب: بالجرادة الصفراء.

حكى عنه يحيى بن يحيى الغساني، ومعاوية بن صالح. وله حديث في سنن أبي داود، له مواقف مشهودة مع الروم، وهو الذي غزا القسطنطينية، وكان ميمون النقيبة، وقد ولى العراق لأخيه يزيد، ثم أرمينية. قال الليث: وفي سنة تسع ومائة غزا مسلمة الترك والسند. قال خليفة مات مسلمة سنة عشرين ومائة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٥/٢٤١).

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم (ص١٤٨).

(٣)**المعتصم**: الخليفة أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة ثمانين ومائة وأمه ماردة أم ولد، روى عن أبيه وأخيه المأمون يسيرًا، وكان أبيض، أصهب اللحية طويل القامة، مشرب اللون، ذا قوة وبطش وشجاعة وهيبة، لكنه نزر العلم، قيل: كان معه غلام في المكتب، فمات الغلام، فقال له أبوه: يا محمد، مات علامك، قال: نعم يا سيدي واستراح من الكتاب، فقال: أو إن الكتاب ليبلغ منك هذا دعوه، فكانت قراءته ضعيفة. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٠/٢٩١)

(٤)**معركة العمورية**: كانت بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية في رمضان من عام ٢٢٣م وكذلك الجيش البيزنطي بقيادة توفيل بن ميخائيل سليل الأسرة العمورية وثاني أباطرتها وأن السبب الرئيس هو رد =

سور عمورية، ما كان له الأثر المباشر في فتحها[1]،وكان مسلم بن أبي مسلم الجرمي[2][3]، وكان أسيرًا لدى الروم أُسر من ميناء طرطوس، قد اكتسب علمًا واسعًا بالروم وأحوالهم واستفاد من الأسر استفادة عظيمة، حيث نقل عن الروم بعض العلوم الإدارية وكتب تفاصيل جغرافية عن بلاد الروم[4].

ويتضح للباحث في هذا المبحث أن الأسير المسلم كان يلاقي الكثير من العذاب وإضاعة حقوقه عند العدو، ويرجع ذلك لحالة العداء القائمة بين المسلمين وأعدائهم؛ ففي غالب الأحيان يقع الأسير في يد العدو بعد المعركة ما يجعله الطرف الأضعف في المعادلة، فتسلب حريته وكرامته وتسحق معنوياته بل وقد تصل إلى القتل في كثير من الأحيان، لذا يجب على الدولة الإسلامية العمل على إخراج الأسير من قبضة العدو بالسبل والطرق كافة حتى يعود عزيزًا بين أهله وربعه، والحفاظ على دينه وإبعاده عن الافتتان بالأعداء.

= كرامة امرأة عربية تدعى شراة العلوية، وبسبب هجوم الإمبراطور البيزنطي توفيل بن ميخائيل الذي كان السابق للمعركة وقيامه بتخريبهما وأسر الكثير من النساء فساء هذا المعتصم وقرر الأخذ بالثأر. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٠/١٠٥)

(١) الطبري، تاريخ الطبري (ج٥/٢٣٩-٢٤٠).

(٢)**مسلم الجرمي:** أبو مسلم الخولاني الداراني، سيد التابعين وزاهد العصر اسمه على الأصح: عبد الله بن ثوب، وقيل: اسمه عبد الله بن عبد الله، وقيل: عبد الله بن ثواب. وقيل: ابن عبيد. ويقال: اسمه يعقوب بن عوف، قدم من اليمن، وقد أسلم في أيام النبي ﷺ فدخل المدينة في خلافة الصديق، وحدث عن عمر ومعاذ بن جبل، وأبي عبيدة، وأبي ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت ، روى عنه أبو إدريس الخولاني، وأبو العالية الرياحي، وجبير بن نفير، وعطاء بن أبي رباح، ولم يلحقوه، لكن أرسلوا عنه، قال إسماعيل بن عياش: حدثنا شرحبيل بن مسلم، قال: أتى أبو مسلم الخولاني المدينة وقد قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر، فحدثنا شرحبيل: أن الأسود تنبأ باليمن، فبعث إلى أبي مسلم فأتاه بنار عظيمة، ثم إنه ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضره، فقيل للأسود: إن لم تنفِ هذا عنك أفسد عليك من اتبعك. فأمره بالرحيل فقدم المدينة، فأناخ راحلته، ودخل المسجد يصلي، فبصر به عمر ﷺ، فقام إليه، فقال: ممن الرجل؟ قال: من اليمن. قال: ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب. قال: نشدتك بالله، أنت هو؟ قال: اللهم نعم. فاعتنقه عمر وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل. رواه عبد الوهاب بن نجدة، وهو ثقة، عن إسماعيل لكن شرحبيل أرسل الحكاية الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٤/٨-٩).

(٣) البغدادي، تاريخ بغداد (ج١٣/١٠٠).

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص٢٥).

الفصل الثاني

أحوال الأسرى عند العدو وعند دولة المماليك

المبحث الأول

حقوق أسرى العدو عند المسلمين

الأصل في العلاقات بين البشر في الغالب هي الحرب وليس السلام، فمنذ القدم وعلى مدار التاريخ تشتعل الحروب بين البشر، ولم تهدأ حتى يومنا هذا، ومن خلال قراءة بعض الدراسات يتبين أن حالة الحرب أكثر من حالة السلم، فمنذ عام (١٤٩٦) ق.م وحتى (١٨٦١) ميلادي، أي ما يقارب (٣٣٥٧) عامًا، وهي فترة زمنية طويلة جدًا، شهدت البشرية فيها (٢٢٧) عامًا من السلام مقابل (٣١٣٠) عامًا من الحروب، ويتضح من خلالها أن هناك ثلاث عشرة سنة من الحروب مقابل كل سنة من السلام[١]، ومن الطبيعي أن يترتب على هذه الحروب أسرى، والتي اختلفت معاملتهم من عصر إلى آخر واختلفت طرق أسرهم[٢]، وكانت الحرب في العصور البدائية القديمة تعبيرًا عن الرغبة في الانتقام، وتكريسًا لقاعدة الحق للقوة، والانتقام الشخصي كالعرف المتبع في المجتمعات البدائية القديمة، وكانت هذه الحالة تختلف مع التطور الحضاري وتقدم الدول، وكانت الصراعات لا تخلو من بين الأمم في التاريخ القديم، بل كانت هذه الحروب مستمرة وجعلوا لها طقوسًا وشعائر، بل كانت هناك آلهة سميت بآلهة الحرب، مثل الإله (مارس)[٣] عند الرومان[٤]و(زيوس)[١] عند اليونان والإله (مورس) عند الفراعنة[٢]، وكانت

---

(١) شكري، دراسات في القانون الدولي الإنساني(ص١١).

(٢) الشلالدة، القانون الإنساني (ص١١).

(٣) الزحيلي، أثر الحرب في الفقه الإسلامي (ص٤٠).

(٣)**مارس**(Mars): إله الحرب عند الرومان وثاني أعظم آلهتهم بعد الإله جوبيتر، وقد اقترن في وقت مبكر بإله الحرب عند الإغريق آريس واتحد معه في الأدب والفن والميثولوجيا، ولكنه كان يفوقه في الأهمية والمكانة لدى شعب أقام إمبراطوريته على الحرب والقتال. كان يُنظر إليه على أنه الجد الأسطوري لشعب روما، وقد ارتبطت به أسطورة تأسيسها، وتروي أنه اتصل بالكاهنة العذراء ريا سلفيا ابنة نوميتور ملك ألبا لونغا a، التي وضعها عمها في دير للراهبات بعد أن اغتصب العرش من أبيها، وأنجب منها التوأمين رو مولوس وريموس، فما كان من العم المغتصب إلا أن أمر بإلقائهما في نهر التيبر على سفح تل البلاتين؛ ولكن الإله مارس تدخل لحمايتهما فأرسل حيوانه المقدس، الذئبة التي أرضعتهما، فشَبَّا وتزعما رعاة المنطقة، وقام رومولوس بتأسيس مدينة روما على ضفاف التيبر استجابة لإرادة الآلهة، وصار جد الرومان المؤلّه، مثلما صارت الذئبة شعار مدينة روما في الماضي والحاضر. عثمان، معجم الأساطير اليونانية والرومانية (مج ١٧/٤٣٥).

(٤)**الرومان**: هم شعب هاجر من شرق أوروبا إلى الجزر الإيطالية ابتداء من ١٢٠٠ ق.م أي القرن الثاني عشر قبل الميلادي، وقاموا بتأسيس مدينة روما القديمة، ثم عمل هذا الشعب على تنظيم وتطوير مؤسساته السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية، وبدأ بالتوسع التدريجي وأسس دولة سيطرت في بادئ =

الحرب في العصور القديمة توجب القضاء على الخصم بشكل نهائي في ساحة المعركة وبصورة بشعة، ومن يتبقى منهم يقدَّمون قرابين للآلهة لشكرها وتقديرها من المنتصر لما حققت لهم من انتصار على العدو[٣]، ومع ذلك كانت هناك قواعد إنسانية تحكم هذه الحروب على الرغم مما يسودها من قسوة وشدة[٤]، وقد اختلفت الحضارات القديمة في تعاملها مع أسرى الحرب، حسب مدى التطور الذي وصلت إليه[٥]، حيث عانى المسلمون من هذه الحروب مثل باقي البشر، ونالهم منها ما نالهم، فوقع الكثير من المسلمين أسرى في أيدي الأعداء وبشكل كبير خاصة في الحروب الكبرى مع الأعداء في الفتوحات ومعاركها، ما كبّد المسلمين خسائر =

الأمر على شبه الجزيرة الإيطالية ثم اتسعت هذه الدولة وسيطرت على معظم العالم القديم وأصبحت حدودها شاسعة امتدت من الجزر البريطانية وشواطئ أوروبا الأطلسية غربًا إلى بلاد ما بين النهرين وساحل بحر قزوين شرقًا ومن وسط أوروبا حتى شمال جبال الألب وإلى الصحراء الإفريقية الكبرى والبحر الأحمر جنوبًا، وبذلك كانت مثالًا على مفهوم الدولة الجامعة ذات الطابع الاستعماري. العقاد، موسوعة عباس العقاد الإسلامية(مج ٥/ ٢١٠).

(١)**زيوس**: يُلقَّب عند الإغريق بـ"أب الآلهة والبشر" في معتقدات الإغريق الدينية هو أب الآلهة والبشر [فهو الذي يحكُم آلهة جبل الأوليمب باعتباره الأب الوريث. زيوس هو إله السماء والصاعقة في الميثولوجيا الإغريقية. نظيره الروماني هو جوبيتر، ونظيره في الميثولوجيا الهندوسية هو إندرا وفي الإيتروسكانية الإله تينيا. تكمن قوة زيوس في حكمه لقوى الطبيعة الرهيبة التي كان الإغريق يخشونها كالبرق والرعد والسماء الواسعة. سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية(ص١٤).

(٢)الفراعنة: كانوا ملوك مصر خلال الحقبة التاريخية القديمة، ولم يأتوا من خارج مصر، حيث يتبين من البحوث التاريخية، أن الأسرة الفرعونية الأولى نشأت داخل مصر في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، بعد أن استولى ملك مصر العليا آنذاك، على مصر التحتي، وأقام مملكة مصر الموحدة. ويشار إلى أن اسم "فرعون" أطلق في الأصل كوصف للقصر الملكي، ومعناه البيت الكبير. وابتداء من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، أصبح هذا الاسم لقبًا يطلق على ملوك مصر القديمة. بلغ عدد أسر الفراعنة ثلاثين أسرة، حكمت مصر خلال ألفين وخمسمائة عام تقريبًا. ولكنه في أواسط القرن السابع قبل الميلاد، أفلح الآشوريون في القضاء على حكم الأسرة الخامسة والعشرين، وضموا مصر إلى المملكة الآشورية عام ٦٦٤ قبل الميلاد. واستطاع الملك الأول من أسرة الفرعونية التالية طرد الآشوريين من مصر، إلا أنه بعد فترة وجيزة، وفي عام ٥٢٥ قبل الميلاد، وقعت مصر بأيدي الفرس. واستمر حكمهم فيها مائة وعشرين عامًا، حتى نجح ملوك الأسرة المصرية الثامنة والعشرين في تخليص مصر من السيطرة الفارسية. ابن كثير، الكامل في التاريخ (ج١/٧)؛ وعيد،جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، باب أصل الفراعنة (ص ٣٠).

(٣) الزحيلي، أثر الحرب في الفقه الإسلامي(ص٤٠).

(٤) الزمالي، مدخل إلى القانون الدولي الإنساني(ص٨).

(٥) فرحان، أسرى الحرب عبر التاريخ(ص١٩).

فادحة في الأرواح وأسرى بأعداد كبيرة، حيث تعرضت المناطق المسلمة لكثير من الغزوات وخاصة في أوقات الضعف التي تصيب الأمة، وسادت بعض العصور فترات مظلمة وقاسية في تاريخ المسلمين، وكانت منها المنطقة العربية والإسلامية بشكل خاص وذلك بغزوات التتار من الشرق، والصليبيين[١] من الغرب، حيث غزوا بلاد المسلمين ومارسوا فيها القتل والتعذيب بوحشية، على الرغم من أن الصليبيين أصحاب ديانة سماوية والديانات السماوية تحث على السلام ونهت عن القتل والتعذيب عما جاء في الأناجيل الأربعة؛ إنجيل متى[٢] وإنجيل حنا وإنجيل لوقا[٣]وإنجيل

---

(١)**الصليبيون:** إن الحروب الصليبية ما هي إلا فترة زمنية ولون خاص من ألوان الصراع الدائم بين الشرق والغرب، اختلف المؤرخون في تحديد أسباب الحروب الصليبية؛ منهم من يرجعها إلى أسباب دينية، ومنهم من يذكر أنها لأسباب سياسية، ومنهم من يعزوها إلى أسباب فكرية، ومنهم من يقول أسباب عسكرية وتتمثل في معركة ملاذ كرد ١٠٧١م التي انهزم فيها البيزنطيون أمام المسلمين السلاجقة. أبو الفداء، المختصر (ج٤/24)؛ والمطوي: العروس، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (ص٢٧)؛ وعاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك (ص١٨٤).

(٢)**إنجيل متى:** يصدر النصارى كتابهم المقدس بهذا الإنجيل، فهو أول كتبهم في الترتيب، وهو أطولها؛ إذ يحوي ثمانية وعشرين إصحاحًا. ويزعم النصارى أن (متى) الذي ينسب الكتاب إليه هو أحد الحواريين، وكان قبل اتباعه للمسيح عشارًا (جابي ضرائب). إلا أن النصارى لم يستطيعوا أن يبرزوا لنا دليلًا يُعتمد عليه في صحة نسبة هذا الكتاب إلى (متى)، وأقدم من يعتمدون على قوله في نسبة الكتاب إلى (متى) أحد كتابهم، ويسمى (يوسابيوس القيصري) في كتابه (تاريخ الكنيسة) حيث نقل عن أسقف كان لهيرا بوليس سنة (١٣٠) م، يدعى (بابياس)، أنه قال: (إن متى كتب الأقوال باللغة العبرانية). الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية(ص ٢١٣).

(٣) **إنجيل لوقا:** هذا الإنجيل الثالث في ترتيب النصارى لكتابهم، ويحوي أربعة وعشرين إصحاحًا. وكاتب الإنجيل في زعم النصارى هو أحد الوثنيين الذين آمنوا بالمسيح بعد رفعه، وكان رفيقًا لبولس (شاؤول اليهودي) حيث ذكره بولس في ثلاثة مواضع من رسائله، واصفًا إياه بأنه رفيقه. ولا يوجد لدى النصارى معلومات عنه سوى أنه أممي رافق بولس في بعض تنقلاته، حيث ورد اسمه في تلك الرحلات. فهو بذلك يعد شخصية مجهولة وغير معروفة ولا متميزة بعدالة وديانة، ومع هذا أيضًا لا يوجد لدى النصارى دليل يعتمد عليه في صحة نسبة الكتاب إليه. ولندرة المعلومات التي توثق نسبة الكتاب إلى لوقا المذكور يستشهد النصارى بكلام مجهول، حيث يقول القس (فهيم عزيز) في كتابه (المدخل إلى العهد الجديد) في استدلاله على صحة نسبة الكتاب إلى لوقا ما يلي: (هناك مقدمة كتبت لإنجيل لوقا فيما بين (١٦٠-١٨٠)، اسمها (ضد مارسيون) فيها يقول الكاتب عن لوقا: إنه من أنطاكية في سوريا، مهنته طبيب، وكان أعزب دون زوجة، مات وهو في سن (٨٤) في بواتييه ممتلئًا بروح القدس، وقد كتب إنجيله كله في المناطق التي تحيط بأخائيه؛ لكي يفسر للأمم القصة الصحيحة للعهد الجديد الإلهي..). الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص ٢١٥).

مـرقص[1] [2]، إلا أن رجـال الكنيسـة بـرروا عمـل ذلـك وحللـوا القتـل دون مبـرر وسـمحوا للمقاتلين باتباع كل الطرق في الحروب دون رحمة أو شفقة[3]، حيث خلفت حروبهم الصليبية ويلات ودمارًا وفسادًا كبيرًا[4]، وتنوعت طرق أسر العدو للمسلمين، حيث عامل الغزاة الأسرى المسلمين معاملة وحشية في أغلب الأوقات، فكانت جيوش الصليبيين تقتل الأسرى مثلما فعل أرنـاط[5] بـالهجوم علـى قافلـة للحجـاج المسـلمين كانـت فـي طريقهـا إلـى مكـة، ونهبهـا وأسـر كثيـرًا مـن أفرادهـا، وطلـب منـه السـلطان صـلاح الـدين فـكّ أسـرى المسـلمين[6]، وأقـدم الملـك

(١)**إنجيل مرقص:** هذا الإنجيل الثاني في ترتيب الأناجيل لدى النصارى، وهو أقصرها؛ إذ إنه يحوي ستة عشر إصحاحًا فقط. أما كاتب الإنجيل فهو في زعم النصارى رجل من أتباع الحواريين، والمعلومات عنه قليلة جدًّا وغامضة، ولا تتضح شخصيته وضوحًا يُطمئن النفس؛ إذ إن كل ما ورد عنه الإشارة إلى أن اسمه يوحنا، ويلقب مرقص، وأنه صاحَبَ بولس وبرنابا في دعوتهما، ثم افترق عنهما، ثم ذكر بولس في رسائله اسم مرقص ذكرًا مقتضبًا لا يعطي غناء في التعريف به، وورد ذكر اسمه مع بطرس حيث يقول عنه: (تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقص ابني). فهذه المعلومات يفهم منها أن الرجل مجهول؛ إذ إنها لم تعط تعريفًا بدينه، وعلمه، وأمانته، ونحو ذلك مما يجب توافر معرفته فيمن يكون واسطة لكتاب مقدس. أما الكتاب وهو الإنجيل: فأقدم المعلومات التي عزته إلى من يسمَّى مرقص ما نقله (يوسابيوس) في تاريخه الكنسي عن بابياس حيث قال: (ولقد قال الشيخ أيضًا: إن مرقص الذي صار مفسرًا لبطرس قد كتب بكل دقة كل ما تذَكَّره من أقوال وأعمال الرب، ولكن ليس بالترتيب؛ لأنه لم يسمع الرب ولم يتبعه، ولكن كما قلت قبلًا عن بطرس الذي ذكر من تعاليم السيد ما يوافق حاجة السامعين، دون أن يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله، وهكذا فصل مرقص أنه لم يعمل خطًا واحدًا في كل ما ذكره وكتبه..).الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص ٢١٤).

(٢) الفار، القانون الدولي العام (ص٤٥٠).

(٣) الزمالي، مدخل إلى القانون الدولي الإنساني (ص٥٣).

(٤) أحمد، أسرى الحرب والتزامهم في القانون الدولي (ص٨).

(٥)**أرناط:** أو رينالد من شايتون، خدم أثناء الحملة الصليبية الثانية، وبقي فيها، وحكم إمارة أنطاكية من (١١٥٣-١١٦٠). ثم بزواجه الثاني أصبح حاكمًا للأردن. ويعد أرناط شخصية مثيرة للجدل في حياته وبعد مماته، وفي سنة ثلاث وثمانين افتتح صلاح الدين بلاد الفرنج، وقهرهم، وأباد خضراءهم، وأسر ملوكهم على "حطين". وكان قد نذر أن يقتل أرناط صاحب الكرك، فأسره يومئذ، كان قد مر به قوم من مصر في حال الهدنة، فغدر بهم، فناشدوه الصلح، فقال ما فيه استخفاف بالنبي ﷺ وقتلهم، فاستحضر صلاح الدين الملوك، ثم ناول الملك جفري شربة جلاب ثلج، فشرب، فناول أرناط، فشرب، فقال السلطان للترجمان: قل لجفري: أنت الذي سقيته، وإلا أنا فما سقيته، ثم استحضر البرنس أرناط في مجلس آخر، وقال: أنا أنتصر لمحمد ﷺ منك، ثم عرض عليه الإسلام، فأبى، فحل كتفه بالنيمجاه. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٢١/ ٢٨٥).

(٦) أبو الفداء، المختصر (ج٣/٧١).

ريتشارد قلب الأسد[١] على قتل ألفين وسبعمائة من أسرى المسلمين[٢]، ولم يفِ بعهده للسلطان صلاح الدين الذي بدوره اتفق على فك الحصار عن مدينة عكا[٣] مقابل فداء الأسرى الموجودين في الحامية، ودفع مبلغ "مائتي ألف دينار"، وإطلاق سراح ستمائة أسير من أسرى الصليبيين من بينهم مائة أسير حددوهم بالاسم، وأن يرجع المسلمون صليب الصلبوت[٤]الذي استولى عليه المسلمون بعدما فتح صلاح الدين مدينة القدس، واشتدت الكراهية والعداء في العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، لم تسلم المنطقة من الهجمات، حيث كانت

---

(١)**ريتشارد الأول:** (٨ سبتمبر ١١٥٧ – ٦ أبريل ١١٩٩) ملك إنجلترا منذ ٦ يوليو ١١٨٩ وحتى وفاته. كما حكم كدوق لنورماندي (باسم ريتشارد الرابع) ودوق أقطانية وغاسكونية وسيد قبرص وكونت أنجو ومين ونانت وسيد عموم بريتاني على فترات أثناء عهده، وقد عرف بلقب ريتشارد قلب الأسد، حتى قبل تتويجه بفضل سمعته كقائد عسكري ومحارب عظيم، في عمر السادسة عشرة، قاد ريتشارد جيشه، وأخضع التمردات على عرش أبيه هنري الثاني ملك إنجلترا في بواتو، كما كان ريتشارد القائد الرئيس خلال الحملة الصليبية الثالثة، بعد أن رحل فيليب الثاني ملك فرنسا، وحقق انتصارات معقولة على صلاح الدين الأيوبي، بالرغم من عدم استطاعته الاستيلاء على القدس، كان أتباعه يعدونه بطلًا تقيًا. كما أنه من الملوك القلائل في إنجلترا، الذي غلب لقب شهرته (ريتشارد قلب الأسد) على لقب ترتيبه (ريتشارد الأول). ابن شداد، سيرة صلاح الدين(ص ٢٣٩).

(٢)المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٣)**عكا:** تأسست المدينة في الألف الثالثة ق.م على يد الكنعانيين (الجرشانيين)، الذين جعلوا منها مركزًا تجاريًا ودعوها باسم (عكو) أي الرمل الحار. أصبحت بعد ذلك جزءًا من دولة الفينيقيين، ثم احتلها العديد من الغزاة كالإغريق والرومان والفرس والفرنجة الصليبيين. دخل العرب المسلمون عكا سنة ٦٣٦م/١٦هـ بقيادة شرحبيل بن حسنة. وفي سنة ٢٠ هـ أنشأ فيها معاوية بن أبي سفيان دارًا لصناعة السفن، ومنها انطلقت أول غزوة لجزيرة قبرص عام ٨ هـ. وتوالت عليها الأحداث على مر التاريخ، ومن أشهر حكامها أحمد باشا الجزار. بلغت أوج مجدها عام ١٧٩٩م عندما أوقفت زحف نابليون الذي وصل إليها بعد أن احتل مصر، وساحل فلسطين، وحاصرها مدة طويلة ولكنه فشل في احتلالها بفضل صمود أحمد باشا الجزار، فتلاشت أحلام نابليون بالاستيلاء على الشرق، وسحب جيوشه. عكا مدينة كنعانية ثم فينيقية، ومعنى الاسم (الرمل الحارّ)، من القبائل الكنعانية التي نزلت بلاد الشام–الجرجاشيون، وكانت منازلهم شرقي بحيرة طبريا، وقد ذكر بعضهم أنهم هم الذين أسسوا عكا. وأُطلق عليها زمن الإغريق وفي فترة حكم تلمي الثاني (Ptolemais) نسبة إلى بطليموس. أما في العهد البيزنطي فقد أطلق عليها اسم (سامريتيكا) نسبة إلى السامرة. وزمن الحكم الصليبي سميت (سانت–جون– د إكار) وبقيت كذلك حتى استرجعها المماليك بقيادة الأشرف خليل بن قلاوون سنة ١٢٩١م، وعاد إليها اسمها الأصيل عكا. الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٤٤).

(٤)**صليب الصلبوت:** أخذ المسلمون صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت، ويذكرون أن فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح، عليه السلام، بزعمهم. النجدي، الدرر السينية(ج٥/٩٣).

تعـاني الأنـدلس[١]مـن الهجمـات مـن قبائـل الفـايتنج[٢] السـاكنة فـي أقاصـي الشـمال الأوروبـي، وكانت قبائل متوحشة تعيش على النهب والسرقة والقرصنة البحرية، وكانت هذه القبائل تقتل وتأسر من المسلمين، ومن أخطر هجمات هذه القبائل في سنة (٢٢٩هـ/٨٤٤م)، على مدينة أشيونة[٣] (لشبونة حاليًا)، عندما حاولوا الهجوم بسفنهم على شواطئ المدينة ولكن المقاومة حالت دون دخولهم المدينة، وفي طريق عودتهم عاثوا فسادًا وتدميرًا في قرطبة[٤] وإشبيلية

---

(١)**الأَنْدَلُس:** أو الأَنْدُلُس، المعروفة أيضًا في الخطاب الشعبي الغربي خُصوصًا والعربي والإسلامي أحيانًا باسم «إسبانيا الإسلاميَّة» أو «أيبيريا الإسلاميَّة»، هي إقليمٌ وحضارةٌ إسلاميَّة قروسطيَّة قامت في أوروبا الغربيَّة وتحديدًا في شبه الجزيرة الأيبيريَّة، على الأراضي التي تُشكِّلُ اليوم إسبانيا والبرتغال، وفي ذُروة مجدها وقوَّتها خلال القرن الثامن الميلاديّ امتدَّت وُصولًا إلى سبتمانيا في جنوب فرنسا المُعاصرة. غير أنَّ التسمية عادةً ما يُقصد بها فقط الإشارة إلى الأراضي الأيبيريَّة التي فتحها المُسلمون وبقيت تحت ظل الخِلافة الإسلاميَّة والدُويلات والإمارات الكثيرة التي قامت في رُبوعها وانفصلت عن السُلطة المركزيَّة في دمشق ومن ثُمَّ بغداد، مُنذ سنة ٧١١م حتَّى سنة ١٤٩٢م حينما سقطت الأندلس بيد اللاتين الإفرنج وأُخرج منها المُسلمون، علمًا أنَّه طيلة هذه الفترة كانت حُدودها تتغيَّر، فتتقلَّص ثُمَّ تتوسَّع، ثُمَّ تعود فتتقلَّص، وهكذا، استنادًا إلى نتائج الحرب بين المُسلمين والإفرنج. القرشي، فتوح أفريقيا والاندلس (ص٢٧٤).

(٢)**الفايتنـج:** النورمان هم أهل إسكندنافيا، وهي بلاد تضمُّ الدانمارك والنرويج وفنلندا والسويد، وقد كانت هذه البلاد تعيش في همجية مطلقة؛ فقد كانوا يعيشون على ما يُسَمَّى بحرب العصابات، فقاموا بغزوات عُرِفَت باسم «غزوات الفايكنج»، وهي غزوات إغارة على أماكن متفرّقة من بلاد العالم، ليس لها من هَمٍ إلا جمع المال وهَدْم الديار. في عهد عبد الرحمن الأوسط سنة (٢٣٠هـ=٨٤٥م) هجمت هذه القبائل على إِشْبِيلِيَة من طريق البحر في أربع وخمسين سفينة، ودخلوها فأفسدوا فسادًا كبيرًا، ودمَّروا إِشْبِيلِيَة تمامًا، ونهبوا ثرواتها، وهتكوا أعراضها، ثم تركوها إلى شَذُونة وألْمَرِيَّة ومُرْسِيَة وغيرها من البلاد فأشاعوا الرعب، وعمَّ الفزع، وهذه هي طبيعة الحروب المادية بصفة عامَّة، وشتَّان بين المسلمين في فتحهم للبلاد وبين غيرهم في معاركهم. ابن عذاري، البيان المغرب (ج٢/٨٧)

(٣)**أشيونة:** أو لشبونة تحت يد الدولة الأموية بقيادة طارق بن زياد عام ٧١٤م، وأطلق عليها المسلمون اسم لشبونة، وصارت قاعدة من قواعد الأندلس. نزلها الغاليسيون في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، واستولوا على بسيطها، وجعلوها مركزًا لغاراتهم على قرمونة، وإشبيلية، ومورون، استنجد عبد الرحمن بوالي الثغر الأعلى موسى بن قسي، وكان له الفضل في التغلب على النورمانديون وطردهم من الإقليم. ولما سقطت الخلافة القرطبية، وقامت دويلات ملوك الطوائف أصبحت لشبونة من ممتلكات المتوكل بن الأفطس، الذي ولي عليها أبا محمد بن هود. سقطت لشبونة في أيدى البرتغاليين في أواخر أيام المرابطين بالأندلس. ابن عذاري، البيان المغرب (ج٢/٨٧).

(٤)**قرطبة:** هي مدينة تقع على نهر الوادي الكبير، في الجزء الجنوبي من إسبانيا، وقد أرَّخت لها موسوعة المورد الحديثة فقالت: "أسسها القرطاجيون فيما يُعتقد، وخضعت لحكم الرومان والقوط الغربيين"، وقد قام =

وسيطروا عليها ونهبوها ودمروها وقتلوا أهلها وأعدموا أغلب الأسرى[١]، ولم يرحم المحتلون الصليبيون الأسرى في مدينة القدس وقتلوهم بوحشية حتى أنهم قتلوا إخوانهم في الدين، وكان من أول ما اتخذوه من تدابير أنهم طردوا من كنيسة القيامة جميع الكهنة، وقاموا بأسر الكهنة[٢] وتعذيبهم وقتلهم للحصول على كنوز الكنيسة والحصول على الصليب[٣]، وقد ذبح الجيش الصليبي آلاف الأسرى من المدنيين الأبرياء من سكان مدينة القدس دون أي جرم اقترفوه، فقط لمجرد الانتقام، وكانت الجثث مكدسة فوق بعضها البعض، ولم يسلم ما تبقى من الأسرى الأحياء من أبشع أنواع العذاب والتنكيل وإجبارهم على أعمال شاقة منافية لكل الأعراف الإنسانية، ولم يسلم من الأسر والذبح أحد، فالأطفال والنساء والشيوخ، ورجال الدين، والعباد، والزهاد، أكرهوهم على أبشع الأعمال، حيث أجبروهم على حمل الجثث على ظهورهم ويكدسونها بلا قبور في الأراضي الخالية، ثم يحرقونها قبل أن يُذبحوا بدورهم أو يباعوا في أسواق النخاسة[٤]. وكما أشرنا في الحديث إلى أن الأسر هو عملية ناتجة عن الحروب، وأيضًا عن طريق قطع الطريق على القوافل المسلمة مثلما فعل أرناط، وعن طريق الغارات البحرية، وعن طريق سلب المدن والقرى، وفي أحيان أخرى يكون سبب الأسر هو اختلاف الدولة الإسلامية مع حكام الدول غير المسلمة نتيجة تغير سياسة الحاكم وسياسة الدولة، ففي عهد الدولة الفاطمية[٥] عام (٤٤٦هـ-١٠٥٣م)، هادنت الدولة البيزنطية في عهد قسطنطين التاسع، وكان

=

بفتحها القائد الإسلامي الشهير طارق بن زياد، وذلك سنة ٩٣هـ/٧١١م. ومنذ ذلك العهد بدأت مدينة قرطبة تخطُّ لنفسها خطًّا جديدًا، وملمحًا مهمًّا في تاريخ الحضارة؛ فبدأ نجمها في الصعود كمدينة حضارية عالمية، لا سيما في عام (١٣٨هـ/ ٧٥٦م)، عندما أسس عبد الرحمن الداخل صقر قريش الدولة الأموية في الأندلس، وذلك بعدما سقطت في دمشق على أيدي العباسيين. المقريزي، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (ج١/١٥٣).

(١) بيضون، الدولة العربية في إسبانيا(ص ص١٩٩-٢٠٠).

(٢)**الكهنة:** عند النصارى من ارتقى إلى درجة الكهنوت، عضو يأتي في الرّتبة الثانية ما بين الأسقف والشِّدياق، له الصلاحية في إقامة المناسك. ابن منظور، لسان العرب (ج١٩/٥٠).

(٣) معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب(ص٧٨).

(٤)المرجع السابق، ص ص١٢-١٣.

(٥)**الدولة الفاطمية:** هي إحدى الدُولُ والوحيدةُ بين دُولِ الخِلافةِ التي اتخذت من المذهب الشيعي (ضمن فرعها الإسماعيلي) مذهبًا رسميًّا لها. قامت هذه الدولة بعد إن نشط الدُعاة الإسماعيليّون في إذكاء الجذوة الحُسينيَّة ودعوة الناس إلى القتال باسم الإمام المهديّ المُنتظر، الذين تنبؤوا جميعًا بظُهوره في القريب العاجل، وذلك خلال العهد العبَّاسي فأصابوا بذلك نجاحًا في الأقاليم البعيدة عن مركز الحُكم خصوصًا، بسبب مُطاردة العبَّاسيين لهم واضطهادهم في المشرق العربي، فانتقلوا إلى المغرب حيثُ تمكنوا من استقطاب الجماهير وسط قبيلة كتامة البربريَّة خصوصًا، وأعلنوا قيام الخِلافةِ بعد حين. شملت الدولة

=

بينهما تعاون مشترك، حيث أصاب مصر الوباء فطلب المستنصر بالله الفاطمي[١] المساعدة من إمبراطور القسطنطينية، فجهز الإمبراطور المؤن ليرسلها إلى مصر، ولكن أدركه الموت قبل إرسالها، فخلفته على عرش القسطنطينية الإمبراطورة ثيودورا، واشترطت لإرسال المؤن إلى مصر شروطًا رفضها المستنصر بالله، حيث اشترطت عليه لإرسالها توجيه قوة عسكرية لمواجهة السلاجقة، فرد عليها المستنصر بالله بإرسال حملة إلى الحدود البيزنطية، فانتصرت على الحدود البرية، ولكن الأسطول البيزنطي غزا السواحل السورية، وهزم الجيش الفاطمي، وأُسر قائد الجيش الفاطمي ومجموعة كبيرة من الضباط والقادة، فلجأ المستنصر إلى المهادنة معهم وأرسل إليهم القاضي أبو عبدالله محمد بن جعفر الشافعي المصريفي عام (١٠٥٥م)[٢]. وفي بعض الأحيان كان المسلمون يؤسرون وهم خالدون إلى الراحة بعد المعارك العنيفة التي خاضوها، مثلما حصل مع السلطان نور الدين زنكي بعد المعارك التي حصلت عند حصن الأكراد[٣] [٤] مع الصليبيين وأراد تطهير الحصن قبل الهجوم على طرابلس[٥]، حيث كان الحصن عبارة عن المقر الرئيس لعناصر فرسان الاسبتارية[٦]،

=

الفاطميَّة مناطق وأقاليم واسعة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، فامتدَّ نطاقها على طول الساحل المُتوسطيّ من المغرب إلى مصر، ثُمَّ توسَّع الخُلفاء الفاطميّون أكثر فضمّوا إلى مُمتلكاتهم جزيرة صقلية، والشَّام، والحجاز، فأضحت دولتهم أكبر دولةٍ استقلَّت عن الدولة العبَّاسيَّة، والمُنافس الرئيسيّ لها على زعامة الأراضي المُقدَّسة وزعامة المُسلمين. الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك(ج١٠/٩٥)

(١)**المستنصر بالله:** هو الخليفة الخامس من خلفاء الدولة العبيدية الفاطمية في مصر والثامن منذ نشأتها بالمغرب، وأشهر أحداث عصره الشدة المستنصرية أو ما يعرف في كتب المؤرخين بـ "الشدة العظمى"، وهي مصطلح يطلق على المجاعة والخراب الذى حل بمصر لمدة سبع سنوات عجاف (٤٥٧هـ – ٤٦٤هـ/ ١٠٦٥م – ١٠٧١م).

(٢) عنان، مصر الإسلامية، (ص ص١١٥-١١٩).

(٣)**حصن الأكراد:** تقع القلعة في منطقة وادي النضارة (أو وادي النصارى) في محافظة حمص، شمال غربي سوريا إلى الجنوب من بلدة مشتى الحلو السياحية وتبعد عنها مسافة ٣٠ كم. وتتوسط مدينتي حمص وطرطوس، تعد القلعة من القلاع الأثرية الجميلة في الشرق الأوسط والعالم ترقد تلة عالية بارتفاع ٦٥٠ مترًا (٢,١٣٠ قدم) شرق طرطوس، سوريا، في "فجوة حمص" الحموي، معجم البلدان (مج ٢/٢٦٤).

(٤) الصوري: تاريخ الحروب (ج٢/٩٢٨-٩٣٦).

(٥) ابن الأثير: الكامل (ج٩/١٧٩)؛وأبو شامة: الروضتين (ج١/١٢٧)؛ وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج٥/١٨٧).

(٦)**الإسبتارية:** فرسان المستشفى، والإسبتارية، والهوسبيتال، والقلعة، والقديس يوحنا، ورودوس ومالطا، والصليب الأبيض – تنظيمٌ واحد، وهم تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكيَّة منذ ميلادهم كهيئةٍ خيريَّة من تُجار إيطاليّين، وغالبيتُهم إيطاليون، شكلوا الهيئة الداعمة "رهبان مستشفى القديس يوحنا"، ثم التشكيل العسكري =

حيث خَلَد فرسان السلطان نور الدين زنكي إلى الراحة بعد المعركة والجنود في الخيام وسط النهار، فقام الصليبيون بهجوم عنيف ومباغت على الجيش ما أدى إلى إلحاق الهزيمة بقوات السلطان نور الدين، فوقع في الأسر عدد منهم وتمكن السلطان من النجاة بأعجوبة ولجأ إلى حمص[١].

ويتضح من خلال هذا الموضوع تنوع الطرق التي وقع فيها المسلمون أسرى لدى أعدائهم، حيث أشارت أغلب المصادر والمراجع إلى أن السبب الرئيس في وقوع الأسرى هو الحروب بشكل عام بكافة أشكالها البحرية والبرية والرسمية وغير الرسمية الناتجة عن المناوشات بين الجيوش من خلال اقتحام الحصون والهجوم على المدن واحتلالها وقتل أهلها وسبيهم، ولكن كان هناك بعض الظروف التي قد تحدث بها عمليات أسر مثل القرصنة في البحر، وذكرت المصادر أن عددًا من عمليات القرصنة البحرية اعتدت على السفن الإسلامية في البحر وأسرت العديد من ركابها وقتلت عددًا آخراً، وأيضًا ذكرت المصادر العديد من عمليات الاعتداء على قوافل الحجيج مثلما فعل أرناط أمير الصليبيين، وقام بأسر من فيها وقتلهم، وأيضًا الاعتداء على قوافل التجارة وأسر التجار وسرقة متاعهم وتجارتهم وخاصة في المناطق الحدودية المجاورة لبلاد الكفار، وبالأخص في مرحلة الحروب الصليبية، حيث كانت الحدود الخاصة بالدولة الإسلامية متقاطعة مع الإمارات الصليبية في بلاد المغرب العربي وبلاد الأندلس، وأدى تشابك الحدود بين الدولة الإسلامية وبلاد الغرب إلى وقوع الكثير من المسلمين في أسر تلك الدول، وكانت العلاقة في هذا الموضوع تبادلية؛ حيث كان يقع أعداء الدولة الإسلامية أسرى عند الدولة الإسلامية بنفس الطرق.

=

"فرسان مستشفى القديس يوحنا" –الإسبتارية– في عام ١١٣٠م، رايتهم حمراء عليها صليبٌ أبيض، وكان الواحدُ من فرسان المستشفى يلبِس مئزرًا أسودَ اللون، على كمِّه الأيسر صليب، نشأة منظمة فرسان الإسبتارية: انتشرت حركةُ الإصلاح الكلونية في أوروبا، وعَمَّت روحُ طلب المغفرة والتوبة على قلوب النصارى؛ لذا كان عليهم الحجُّ إلى أرض الغفران "القدس" مهد المسيح، فتقاطر النَّصارى من كل فج أوروبي؛ ليشهدوا مغفرة لهم.وول ديورانت: قصة الحضارة"، مملكة أورشليم اللاتينية (ص ٥٣٠١).

سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامية(ص٢٤٨).

(١) الصوري، تاريخ الحروب (ج٢/٧٣٢٠).

المبحث الثاني:
طرقُ أسرِ المسلمين العدوَّ

المسلمون أمة مثل باقي الأمم، لهم أهداف وطموحات يريدون تحقيقها مثل باقي الأمم، وكان همهم الأكبر نشر الدين الإسلامي ونشر التسامح بين الناس والعدل وعبادة الله الواحد القهار وحده دون إشراك أحد غيره في هذه العبودية والتسليم لله وحده، حيث إن الإنسان من طبيعته الميل إلى الإسلام وإلى الأمان، ولكن باندماجه في واقع الحياة واحتكاكه بالناس يلجأ إلى القتال إما للدفاع عن حقه، وإما لاغتصاب حقوق الآخرين.

وجاء القرآن الكريم والدين الإسلامي بشكل عام لتهذيب هذه الطباع، وعدل من سلوك المسلمين وأعطاهم الحق في الدفاع عن أنفسهم ومنعهم من العدوان على حقوق الآخرين، وكرم الله تعالى الإنسان وجعله من إنسان منتقم إلى انسان يعفو ويصفح عن الآخرين.

قال الله عز وجل: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ *وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ**﴾[١]، وقد أعطى الإسلام تعريفًا للحرب والقتال من نظرة الدين، حيث إن "كل خلاف حول الدين يؤدي إلى صدام مسلح فهو حرب"، سواء أكانت هذه الحرب بين أبناء الأمة الواحدة من نفس الجنس مثل حروب الرسولﷺمع قبيلته قريش[٢]، أو الحروب

---

(١) [الشورى: ٤٠-٤٣].

(٢)**قريش:** تنسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ومن هنا فإنّنا نرى أن أقرب القبائل نسبًا لقبيلة قريش هي الفروع الأخرى لقبيلة كنانة، فقريش هي فرع من فروع قبيلة كنانة الكبيرة، ومن ضمن أبرز الفروع الأخرى لقبيلة كنانة، بنو أسد، وقبيلة هذيل، وقبيلة عضل وغيرهم العديد من القبائل. أمّا سبب تسميتهم بقبيلة قريش فكان هناك العديد من الآراء؛ القول الأوّل وهو أنّ قريش هو النضر بن كنانة، وكان النضر يسمّى قريش الأكبر، وقد قال بهذا القول العديد من المختصين منهم النووي، والرافعي، وأحمد بن حنبل، وابن كثير، وابن إسحاق وغيرهم الكثير، أمّا القول الثاني فقد ربط تسمية قريش بالفهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وفهر بن مالك هو قريش الأوسط، وقال بهذا القول عدد آخر من المختصين منهم ابن حزم، وابن عبد البر، وابن بكار، ومصعب الزبيري، أمّا القول الثالث فكان لابن خلدون وهو من جمع بين القولين معًا، وهناك من قال بقول رابع وهو أنّهم سمّوا قريشًا نسبة إلى جدهم قريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج٢/٣٧٧).

التي قادها الخلفية الأول بعد رسول الله أبو بكر الصديق لقتال المرتدين، أو الحروب التي قادها المسلمون مع غيرهم من الأمم الأخرى مثل الفرس والروم، وجاءت نصوص القرآن الكريم مبينة لمفهوم القتال تحت مسميات عديدة من أهمها:

الجهاد: امتلأت نصوص القرآن الكريم بكلمة الجهاد، ووردت في القرآن بكثرة، والمراد من مفهوم الجهاد هوالتوسع في نشر الإسلام والدعوة إليه وحمايته(١)، وهنا المقاتل لا يقاتل من أجل القبيلة أو من أجل السلب أومن أجل الشجاعة أو الحميّة، ولكن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا وفي سبيل الله، ويكون واجبًا على المؤمنين الجهاد في سبيل الله، وهو واجب على كل الأنبياء قبل الرسول محمدﷺ ولكن دون أسرى ولا غنيمة(٢)، انطلاقًا من قوله تعالى:﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيْدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ**﴾(٣).ويأتي مفهوم الجهاد عند المسلمين أنه عبارة عن عبادة لله خالصة يتضرعون فيها لربهم ويجاهدون أنفسهم وعدوهم، وجاءت متناسِبة وطبيعةَ المجتمع البدوي القبلي عند العرب وتلبيةً لرغباتهم(٤)، ولقد ورد لفظ الحرب في القرآن الكريم للتعبير عن عدوان الكفار وسعيهم إلى القتال في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(٥)، وفي قوله تعالى﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصادًا لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ الْحُسْنى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ**﴾(٦)، وهنا القرآن يريد بمعنى الحرب القتال من أجل القتال والمنازعة فقط لا غير.

وجاءت أيضًا نصوص القرآن الكريم تحت مسمى القتال بمعنى الاحتشاد للمنازلة والقتال، وهي تدل على الاستعداد للحرب للمواجهة، وفي قوله تعالى:﴿ ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ**

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مادة (ج، هـ، د)

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن (ص٨٨٢).

(٣) [الأنفال: ٦٧]

(٤) الزرقاني، شرح الزرقاني على الموطأ (ج٢/٢٨٧).

(٥)[المائدة: ٦٤].

(٦) [التوبة: ١٠٧].

كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١)

،وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)، ومن خلال هذه الآيات يتضح أن الدين الإسلامي والقرآن جاءت فيه مصطلحات الحرب واضحة، وهذهتدل على مشروعية الحرب في الإسلام، حيث يتبع الإسلام التدرج في كل أموره حتى تصبح الأمور والنفوس متهيئة، وتحديد الوقت المناسب لها حيث قام الرسولﷺبالدعوة إلى الإسلام بين أهله وعشيرته، وكانت الأمور سلمية، ولكن مع مرور الوقت وتكوّن جماعة حول النبي تعرض المسلمون للأذى ما دفع المسلمين للدفاع عن أنفسهم للحفاظ عليها من الفتنة في دينهم، ويكون الدين لله، بمعنى أن يكون دين الله هو السائد في الأرض، واستمر الرسول يدعو إلى الدين الإسلامي في السرّ والعلن دون أن يأمره الله تعالى بالقتال، وذلك للحفاظ على المسلمين والدعوة من الضياع، وتحمل الأذى هو والصحابة الكرام حتى يقوى عود الدعوة وتكون قادرة على الرد على المعتدين عليها، ولما اشتد إيذاء الكفار للمسلمين أذن اللهلهم بالقتال في السنة الثانية من الهجرة، في قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٣)، وفي قوله تعالى:﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٤)، ومن هنا بدأت رحلة المسلمين بعد أن أذن الله لرسوله الكريم والتصريح لهم بأن يقاتلوا مَن ظلمهم، وردّ الظلم عن أنفسهم وحماية ديارهم وأهلهم ونشر الدعوة والتصدي لمحاولات فَتن المسلمين عن دينهم واسترداد حقوقهم المسلوبة من الذين اعتدوا عليهم بغير أي وجه حق، وبعدها انطلق المسلمون فاتحين بقاع الأرض محافظين على إسلامهم وعلى دولتهم وعلى حقوقهم وأرضهم وأولادهم وذريتهم وحفظ حقوق الناس، ما ترتب عليه حالة الاشتباك بين المسلمين والأعداء ووقوع قتلى وأسرى من الأعداء في أيدي المسلمين، واستند المسلمون في حروبهم إلى تقسيم الأرض إلى دار الإسلام ودار الحرب.فدارُ الإسلام، تشمل البلاد التي يسود فيها حكم الإسلام سواء أكان سكانها مسلمين أو غير مسلمين(٥).

---

(١) [البقرة: ٢١٦].

(٢) [آل عمران: ١٢١]

(٣) [الحج: ٣٩].

(٤) [البقرة: ١٩٠].

(٥) الصناني، التاج المذهب لأحكام المذهب شرح حقن الأزهار (ج٤/٤٥٨).

ودارُ الحرب، هي البلاد الخارجة عن سلطان المسلمين ويتوقع من أهلها الحرب[١].

وكانت غزوات الرسول محمد ﷺيقع فيها العديد من الأسرى، حيث كان يأمر بالإحسان إلى الأسير وكان ينهى أصحابه عن ضرب الأسير في غزوة بدر الكبرى[٢].

ولقد أبرز الرسولﷺصورة رائعة من صور صيانة المرأة في الحروب مغايرة تمامًا لممارسات الأمم السابقة للإسلام، حيث كانت عرضة للاغتصاب والإهانة والاسترقاق، حيث أكرم ابنة حاتم الطائي وعتقها من السبي وأعطاها الهدايا[٣]، ولقد أرسل النبي خالد بن الوليد[٤] إلى الكيدر بن عبدالملك الكندي[٥] ملك دومة الجندل، فأخذه أسيرًا وقدم على رسول الله ﷺفأسلم وكتب له ولأهل دومة الجندل كتابًا[٦]. يتضح مما سبق أن الرسول محمد ﷺتعامل مع الأسرى الذين وقعوا في قبضة المسلمين في عهده بصورة إنسانية مشرقة، حيث كان نور الرحمة والمحبة هو الذي يسود ذلك العصر ،فلم يكن الهدف من الحروب الإسلامية أن يستزيد المسلمون من عدد الأسرى والسبايا لتحقيق هذا الهدف، وقد انفتحت أمامهم الأقطار، ودانت لنظامهم

(١) خلاف،علم أصول الفقه (ص٢٢٨)

(٢) ابن الأثير، الكامل (ج٢/٨٣).

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة(ج١/١٣٦).

(٤)**خالد بن الوليد:** بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب. سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام، الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث. هاجر مسلمًا في صفر سنة ثمان، ثم سار غازيًا، فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة: مولاه زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة، وبقي الجيش بلا أمير، فتأمر عليهم في الحال خالد، وأخذ الراية، وحمل على العدو، فكان النصر. وسماه النبي ﷺ سيف الله، فقال: إن خالدًا سيف سله الله على المشركين. وشهد الفتح وحنينا، وتأمر في أيام النبي ﷺ واحتبس أدراعه ولأمته في سبيل الله، وحارب أهل الردة، ومسيلمة، وغزا العراق، واستظهر، ثم اخترق البرية السماوية بحيث إنه قطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وشهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء. ومناقبه غزيرة، أمره الصديق على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق فافتتحها هو وأبو عبيدة. عاش ستين سنة وقتل جماعة من الأبطال، ومات على فراشه، فلا قرت أعين الجبناء. توفي بحمص سنة إحدى وعشرين ومشهده على باب حمص عليه جلالة. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١/٣٦٦).

(٥)**الكيدر بن عبد الملك الكندي:** ملك دومة الجندل أحد نصارى العرب الذين صالحهم النبي محمد على الجزية وأخوه بشر بن عبد الملك يذكرون انه ذهب إلى الحيرة، وتعلم بها الخط، ثم رجع إلى مكة فتزوج الضهياء بنت حرب أخت أبي سفيان. ابن حجر، الإصابة (ج١/١٠٥)

(٦) البلاذري، فتوح البلدان (ص٧٢).

النفوس،فكان المسلمون لا يقومون بالهجوم إلا بدعوة أهل البلد المراد الهجوم عليه إلى الإسلام، وفي معركة القادسية[١] في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وقع عدد كبير من الأسرى من الفرس ما يفوق أربعة آلاف أسير[٢] في أيدي المسلمين.

وورد في تاريخ الدولة الإسلامية الكثير من المعارك البرية والبحرية والمناوشات وحالات الاشتباك مع الأعداء التي وقع فيها العديد من أفراد جيش العدو أسرى في أيدي المسلمون، ففي عام (٥٨٣هـ-١١٨٧م) عندما قام القائد المسلم السلطان صلاح الدين الأيوبي[٣] بفتح مدينة طبريا،ووقع في الأسر العديد من أفراد جيش العدو وكان قائدهم أرناط نفسه أسيرًا من بين الأسرى[٤]، وفي موقعة حطين[٥] انتصر الجيش المسلم على جيش العدو وأوقع فيه من الخسائر

---

(١)**معركة القادسية:** إحدى معارك الفتح الإسلامي لفارس وقعت في ١٣ شعبان ١٥هـ (١٦-١٩ نوفمبر ٦٣٦)، بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والإمبراطورية الفارسية بقيادة رستم فرّخزاد في القادسية، انتهت بانتصار المسلمين ومقتل رستم. وكانت إحدى أهم المعارك لفتح العراق. وشهدت المعركة تحالف للإمبراطور الساساني يزدجرد الثالث مع الإمبراطور البيزنطي هرقل الذي زوج حفيدة مانيانغ إلى يزدجرد كرمز للتحالف. الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج٣/٣٤٥)؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج٢/ ٢٦٢).

(٢) البلاذري، فتوج البلدان(ص٢٨٠).

(٣)**صلاح الدين الأيوبي:** السلطان الكبير، الملك الناصر صلاح الدين، أبو المظفر، يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب، الدويني ثم التكريتي المولد. ولد في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة إذ أبوه نجم الدين متولي تكريت نيابة. ودوين: بليدة بطرف أذربيجان من جهة أران والكرج، أهلها أكراد هذبانية. سمع من أبي طاهر السلفي، والفقيه علي ابن بنت أبي سعد، وأبي الطاهر بن عوف، والقطب النيسابوري. وحدث. وكان نور الدين قد أمره، وبعثه في عسكره مع عمه أسد الدين شيركوه، فحكم شيركوه على مصر، فما لبث أن توفي، فقام بعده صلاح الدين، ودانت له العساكر، وقهر بني عبيد، ومحا دولتهم، واستولى على قصر القاهرة بما حوى من الأمتعة والنفائس، منها الجبل الياقوت الذي وزنه سبعة عشر درهمًا؛ قال مؤلف "الكامل" ابن الأثير: أنا رأيته ووزنته وخلا القصر من أهله وذخائره، وأقام الدعوة العباسية. وكان خليقًا للإمارة، مهيبًا، شجاعًا حازمًا، مجاهدًا كثير الغزو، عالي الهمة، كانت دولته نيفًا وعشرين سنة. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٢١/٢٧٩).

(٤) أبو الفداء، المختصر (ج٣/٧١)

(٥)**حطين:** تم الاتفاق على الخروج الإسلامي وملاقاة الفرنجة الصليبيين في ١٧ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ بعد صلاة الجمعة، وعقب القائد صلاح الدين الأيوبي، على ذلك قائلًا: "جاءنا ما نريد ونحن أولو بأس شديد وإذا صحت كسرتهم، فطبرية وجميع الساحل ما دونه مانع ولا عن فتحه وازع"، فحاصر طبرية ستة أيام وأطبق عليها. ووضع صلاح الدين خطة عسكرية، حكيمة بالغة، تقضي بتوجه معظم القوات الإسلامية إلى المرتفعات في قرية حطين على بعد خمسة أميال غربي بحيرة طبرية فأغلقت الطريق الموصلة إلى طبرية، وبقيت قوة صغيرة في منطقة طبرية.

=

الشيء الكبير، وكانت أعداد القتلى كبيرة جدًا وأعداد الأسرى أكبر من أعداد القتلى، وكان ذلك اليوم مشهودًا لما كان فيه من رحمة، حيث أطلق صلاح الدين سراح بعض الأسرى الذين لا يستطيعون فداء أنفسهم وليس لهم أحد يدفع عنهم، وأيضًا أعفى بعض كبار السن والعجزة وكانت رحمة المسلمين تعمّ الجميع، حتى الشجر والحجر والمباني لم تتعرض لأذى أو تخريب على عكس ما فعله العدو عندما دخلوا مدينة القدس والسيطرة عليها[١]، وفي عهد السلطان المعظم تورانشاه[٢]آخر سلاطين الدولة الأيوبية هاجم لويس التاسع ملك فرنسا مصر، ودارت معركة كبيرة بين الجيش المسلم وجيش الملك لويس التاسع، وهُزم جيش الملك لويس ملك فرنسا في حين وقع عدد كبير من جيشه في الأسر، وكان الملك لويس نفسه أسيرًا في تلك المعركة وكان عدد من قادة جيشه أسرى[٣]، وفي عام (٥٦٠هـ/١١٦٤م) قامت قواتالسلطان نور الدين محمود بالهجوم على مدينة حارم وعلى مدينة بانياس[٤] وهي من ضواحي دمشق،وحاصرها

=

نظم صلاح الدين الأيوبي الجيش الإسلامي البالغ عدده ١٢ ألف جندي، بما فيهم رماة السهام النشاب (الجاليشية) وعددهم أربعمائة رامٍ للسهم، كما يلي: ميمنة الجيش: بقيادة تقي الدين عمر، ميسرة الجيش بقيادة مظفر كوكبري صاحب حران، قلب الجيش الإسلامي بقيادة صلاح الدين نفسه برفقة بدر الدين دلدرم (على عسكر حلب) وصارم قايماز النجمي على عسكر دمشق. وقال لهم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}. وتمركزوا في قرية حطين وهي قرية عربية فلسطينية غزيرة المياه وغنية بالمراعي، فالماء ضروري للحياة للجند والخيول والعشب ضروري للخيول والماشية المرافقة للجيش الإسلامي، وحرمان الصليبيين من المياه أمر ضروري لإنهاك قواهم في شهر تموزي حار ملتهب من فصل الصيف. أبو شامة، الروضتين (ج ٢/ ٨٢).

(١) ابن شداد، سيرة صلاح الدين(ص ص٦٦-٧٧).

(٢)**تورانشاه:** هو السلطان تورانشاه تولى الحكم بعد وفاة أبيه الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان سيئ السمعة في الحكم والإدارة وكان أبوه لا يرغب في توليته السلطة قتل على يد مماليك أبيه. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٢٣/١٥١)؛ والحنبلي، شفاء القلوب (ص ص٣٧٩- ٣٨٠).

(٣) المقريزي، السلوك (ج١/٣٥٦).

(٤)**بانياس:** (من أعمال دمشق وهي قائمة على ذروة جبل مشرف على قرية بانياس الجنوبية، وعلى جميع الوديان وبدء غور الأردن، وتعد الأجزاء السفلية من القلعة من عمل الصليبيين وأما أقسام القلعة وأبراجها فهي عربية صرفة، وكان في موضعها قلعة للإسماعيليين، استولى عليها الصليبيون سنة 525 هـ1130/م، ثم استطاع الأتابك عماد الدين زنكي إن يستخلصها من أيديهم سنة 527 هـ /1132م، وأقام فيها نائبًا عنه، ثم استعاد الصليبيون القلعة مرة أخرى وأقاموا فيها بعض المنشآت، وأخيرًا استطاع نورالدين محمود بن زنكي إن يحرره سنة 559هـ/1164م؛ المقريزي، السلوك (ج1/8)؛ وابن شداد الأعلاق الخطيرة (ج١/٨٦).

=

واستسلمت ووقع العديد من أمراء المدينتين أسرى في يد السلطان نور الدين محمود[١]، واستمرت جهود الأعداء في السيطرة على الديار الإسلامية وتمزيق وحدة المسلمين وتشتيت شملهم لإضعافهم، ففي سنة (٦١٥/١٢١٨م) هاجم الصليبيون مصر عن طريق الميناء ومدينة دمياط[٢][٣]، وحاولوا اقتحام المدينة ولكن المحاولة باءت بالفشل بسبب صمود أهلها واستبسالهم في الدفاع عنها، ولكن الجيش المهاجم حاولمرة أخرى من خلال اقتحام برج السلسلة بالهجوم عليه، ولكن لم تنجح المحاولة بسبب صناعة البرج وقوة تحصينه التي حالت دون قدرة القوات الغازية من السيطرة عليه، وحاول قائد الحملة "ليوبولد السادس"، وكانيلقبدوق النمسا، السيطرة عليه بنفسه وما معه من جنود ولكن لم تنجح محاولته[٤]، وفي نفس الوقت وللتخفيف من حدة الهجوم الذي يقع على مدينة دمياط ولإرباك قوات العدو قام الملك الأشرف[٥] بمهاجمة إمارة طرابلس[٦] وهدم الحصون المحيطة به.

وقام الملك المعظم عيسى[٧] بالهجوم على جيش الأعداء الموجود في

=

---

(١) ابن الأثير، التاريخ الباهر (ص١٢٥).

(٢)**دمياط:** هي بأقصى شمال مصر، وبعدها بـ ١٥ كم، يصب فرع دمياط من النيل في البحر الأبيض المتوسط عند رأس البر. يفصلها شريط ضيق عن بحيرة المنزلة، وإلى الجنوب الغربي تمتد مزارع وجه بحري (دلتا النيل) وسهولها. وهي من أجمل مدن مصر حيث تتميز بسواحلها الطويلة المطلة على النهر والبحر وهوائها العذب وطقسها المعتدل الذي ينعكس على تصرفات شعبها، فسمات الدمايطة النشاط والجدية والإتقان في العمل وكثرة الإنتاج. ويعد ميناء دمياط أحد أهم موانئ مصر فينشط استقبالًا للسفن وتتكثف فيه حركة البضائع. استخدمها المماليك منفى داخلي لبعض الأمراء الخارجيين وبعض أصحاب الآراء السياسية المغايرة للحاكم. ابن إياس، بدائع الزهور (ج١/٤٩١).

(٣) بارك، الحروب الصليبية(ص ص١٠٥-١٠٧).

(٤) الصلابي، الأيوبيين(ص١٢٥).

(٥)**الملك الأشرف:** سيف الدين برسباي (ت. ذي الحجة ٨٤١هـ/ مايو ١٤٣٧) هو السلطان الثاني والثلاثون في ترتيب سلاطين دولة المماليك. تولِى السلطان "برسباي" عرش دولة المماليك، ١ أبريل ١٤٢٢م= ٨ ربيع الآخر ٨٢٥هـ. ويُعدّ من عظام سلاطين الدولة المملوكية، وعلى يديه فُتحت قبرص. أبو المحاسن، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي(ج٣/٢٥٥).

(٦) الدواداري، كان الدرر (ج٧/١٩٨).

(٧)**المعظم عيسى:** بن محمد بن أيوب بن شاذي الدويني السلطان الملك المعظم ابن العادل المذكور هو شرف الدين عيسى بن محمد الحنفي الفقيه صاحب دمشق. ابن الأثير، الكامل(ج١٢/١٩٥).

الشام[١]، وانتصر عليهم وقتل عددًا كبيرًاوأسر أكثر من مائة فارس من قوات الداوية[٢] وأخذ الأسرى إلى مدينة القدس ونكس أعلامهم[٣]، وتمكن أيضًا من الهجوم على مدينة قيسارية[٤] والسيطرة عليها وهدم تحصيناتها وهاجم أيضًا حصن عثليت[٥] في بلادالمغرب العربي[٦].

---

(١) أبو شامة، الروضتين (ج٢/١٠٨).

(٢)**الداوية:** فرسان الهيكل، أو فرسان المعبد ويلقبون بالجنود الفقراء للمسيح ومعبد سليمان وعرفوا أيضًا أو تنظيم الهيكل، قد كانوا أحد أقوى التنظيمات العسكرية التي تعتنق الفكر المسيحي الغربي، وأكثرها ثراءً ونفوذًا، وأحد أبرز ممثلي الاقتصاد المسيحي، ودام نشاطها ما يقرب من القرنين في العصور الوسطى. ذاع صيت التنظيم في العالم المسيحي بعد أن صدقت عليه رسميًا الكنيسة الكاثوليكية سنة ١١٢٩ تقديرًا، ومضي بخطى متسارعة في القوة والنفوذ، ونمت أعداد أعضائه بصورة مطردة. وثبتت أقدام فرسان المعبد في حلتهم البيضاء المميزة بالصليب الأحمر كإحدى أمهر وأخطر الوحدات العسكرية المشاركة في الحملات الصليبية [٥] كما أدار أعضاء التنظيم المدنيون بنية تحتية اقتصادية واسعة النطاق في كافة أنحاء العالم المسيحي، ويعزى إليهم الفضل في ابتكار بعض الطرق المالية، والتي كانت بمثابة الصور الأولية لنظام المصارف والبنوك الحديث، كما شيدوا الحصون وأقاموها في كل مكان في أوروبا وفي الأرض المقدسة. ارتبط فرسان الهيكل بقوة بالحملات الصليبية، وعندما لحقت الهزيمة بالحملات الصليبية في القدس، خسر التنظيم الكثير من الدعم. وانتشرت الشائعات حول الاجتماعات والاحتفالات السرية التي يعقدونها مما أثار الريبة حيالهم، وانتهز فيليب الرابع ملك فرنسا الفرصة، إذ أثقلته ديونه المالية للتنظيم؛ وفي سنة ١٣٠٧، أُعتقل الكثير من أعضاء التنظيم في فرنسا، وأُكرهوا تحت التعذيب على تقديم اعترافات مختلقة، لينتهي مصيرهم بالإعدام على المحرقة. وقام البابا كليمنت الخامس، بضغط من الملك فيليب، بحل التنظيم سنة ١٣١٢. وعلى إثر ذلك الاختفاء المباغت لشريحة واسعة من المجتمع الأوروبي انتشرت الشائعات والأساطير حول التنظيم، والتي بسببها ظل اسم فرسان الهيكل حيًا حتى الوقت الحاضر. وول ديورانت، قصة الحضارة"، مملكة أورشليم اللاتينية (ص ٥٣١٢).

(٣) ابن الأثير، الكامل (ج٩/٦٥٦).

(٤)**قيسارية:** مدينة فلسطينية تاريخية وعريقة. تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وهي من أقدم المناطق التي سكنها البشر، تقع قيسارية إلى الجنوب من مدينة حيفا، وتبعد عنها نحو ٣٧ كم، بلغت مساحة اراضيها ٣١٧٨٦ دونما بناها الكنعانيون وسموها(برج ستراتون) وقد أطلق عليها هيرودوس الرومي اسم (قيصرية) نسبة إلى القيصر الروماني (أغسطس قيصر). الحموي، ياقوت: معجم البلدان (ج٤/ ١٤٧).

(٥)**حصن عثليت:** وهو حصن مشهور يُضرب لحصانته المثل، والبحر يكتنفه من جميع جهاته، ولم يحدّث الملوك أنفسهم بقصده، وكان السّلطان قد جرد من عكّا بدرَ الدّين رمتاش التُّركمانيّ بجماعةٍ من التركمان للنزول حوله عَلَى بُعدٍ ليحصل الأمن من جهته من أحدٍ يخرج منه، ونودي عَلَى الجلابة والمسافرين. فأُخذت عكّا وغيرها والتُّركمان مكانهم، فلمّا بلغ أهل عثليث أَخْذُ عكّا وصور وصيدا وبيروت، أحرقوا أموالهم ومتاعهم وما لم يقدروا عَلَى حمْله، وعرقبوا دوابّهم، وهربوا فِي البحر، وأَخْلوا الحصنَ ليلة أوّل شعبان. الذهبي، تاريخ الإسلام (ص١٢٥).

(٦) أبو شامة، الروضتين(ص١١٧).

واستمرت العمليات الحربية بين المسلمين وأعدائهم في جميع الأماكن التي يوجد فيها احتكاك بين المسلمين وأعدائهم في عهد الدولة الحفصية في تونس، حيث وقع العديد من الأسرى النصارى في البحر، حيث قبض عليهم القائد خير الدين بربروس[1] ورفض فداءهم، حيث كانوا من أعيان الأسبانوكان منبينهم قائد عسكري كبير، وحاول ملك إسبانيا فداء هؤلاء الأسرى وكان عددهم ستة وثلاثين أسيرًا مقابل مبلغ وقدره مائة وعشرون ألف (١٢٠.٠٠٠) دينار ذهبًا، وفضل قتلهم لإرهاب من خلفهم والتشريد بهم[2].

ومن جهة أخرى وقع في أسر خير الدين بربروس ١٨٠٠ من الأسرى النصارى، وتفاوض مع الإسبان على فك أسرهم مقابل ألف دينار من النحاس مقابل كل أسير منهم، وسُرّحوا إلى بلادهم[3].

ومن الواضح أن هناك تشابهًا إلى حد كبير بين المسلمين وأعدائهم في آلية أخذ الأسرى والتعامل معهم، حيث كانت طبيعة الأسر التي تحدد كيف يُتعامل معهم، حيث إن الأسير كان في المعارك يعامل معاملة قاسية بينما في أوقات السلم تكون المعاملة أفضل بكثير، وإن الأسرى في أوقات الحروب أكبر بكثير من الأسرى في أوقات السلم، وإن أسرى أوقات السلم كان يُفرج عنهم في أغلب الأحيان إما بالعفو أو الاتفاقيات أو عن طريق الفداء،ولكن أسرى

---

(١)**بربروس:** هو خير الدين بربروس قائد الأساطيل العثمانية؛ مجاهد بحريٌّ، اشتهر مع أخيه عروج بغزواته البحرية في سواحل اليونان وإسبانيا وإيطاليا، انتزع مدينة الجزائر من إسبانيا، وجعلها تحت سيادة الدولة العثمانية، كما غزا تونس سنة (٩٤١هـ= ١٥٣٤م)، واستولى عليها لحساب العثمانيين، واسمه الأصلي هو خضر بن يعقوب، ولقبه خير الدين باشا، بينما عُرِفَ لدى الأوربيين بباربا روسا (ذو اللحية الحمراء). وُلِدَ خير الدين بربروس في جزيرة لسبوس في اليونان، كان الأصغر في أربعة إخوة: إسحاق وعروج وإلياس ومحمد. والده هو يعقوب وهو انكشاري أو سباهي من فاردار، أمَّا والدته كاتالينا المسيحية؛ فقيل: إنها كانت أرملة قسٍّ. وقد كان خير الدين وأخوه عروج نصرانيان، ويعملان في القرصنة البحرية، ثم هداهما الله إلى الإسلام فأسلمَا، ودخلَا في خدمة السلطان محمد الحفصي في تونس، وكانا يعترضان السفن النصرانية، ويأخذان ما فيها، ويبيعان رُكَّابها وملَّاحيها رقيقًا، وقد أرسلَا للسلطان العثماني سليم الأول إحدى السفن التي أسروها فقبلها منهما، وأجزل لهما العطاء، فقويت نفسيتهما، وعمل الإخوة الأربعة كبحَّارة ومقاتلين في البحر المتوسط ضدَّ قراصنة فرسان القديس يوحنا، المتمركزين في جزيرة رودس. فريد،تاريخ الدولة العلية العثمانية(ص٢٣١).

(٢) التلمساني، الزهرة النابرة(ص١٥).

(٣) المرجع السابق، ص٢٣.

الحرب كانوا في الغالب يُقتلون نكاية بالعدو، ولشفاء صدور الجيش لما واجهه من قتال شرسولكون الانتقام عنهم من باب الإنسانية ورأفة بهم وبعائلاتهم مثلما فعل الرسولﷺفي أسرى بدر، ومثلما فعل صلاح الدين الأيوبي في أسرى فتح مدينة القدس، ومثلما فعل بعض خلفاء الدولة الأموية[1] والخلافة العباسية.

(١)**الدولة الأموية:** أو الخِلافَةُ الأُمَوِيَّةُ أو دولة بني أمية (٤١ – ١٣٢ هـ/ ٦٦٢ – ٧٥٠ م) هي ثاني خلافة في تاريخ الإسلام، وأكبر دولة في تاريخ الإسلام. كان بنو أمية أولى الأسر المسلمة الحاكمة، إذ حكموا من سنة ٤١ هـ (٦٦٢ م) إلى ١٣٢هـ (٧٥٠ م)، وكانت عاصمة الدولة في مدينة دمشق. بلغت الدولة الأموية ذروة اتساعها في عهد الخليفة العاشر هشام بن عبد الملك، إذ امتدت حدودها من أطراف الصين شرقًا حتى جنوب فرنسا غربًا، وتمكنت من فتح إفريقية والمغرب والأندلس وجنوب الغال والسند وما وراء النهر. ابن كثير، البداية والنهاية (ج١١/٦٩٧).

المبحث الثالث

أحوال الأسرى عند دولة المماليك

دولة المماليك مثلها مثل باقي الدول يوجد بها أسرى عند الأعداء، والأعداء لهم أسرى عندها، فلا بد من أن يكون هناك أمور تنظم حياة الأسرى الموجودين داخل الدولة، حيث أنشأت الدولة لهم السجون والمرافق الخادمة لهذه السجون، وفي هذا المبحث سوف نتناول أحوال الأسرى داخل حدود دولة المماليك والسجون التي يوقفون فيها وآلية التعاملِ معهم وإعطائِهم حقوقهم قدر المستطاع، وحسب الحالة السائدة في ذلك العصر، وكانت تلك المرحلة مرحلة حرب مع الصليبيين، وقد حدثت العديد من المعارك أدت إلى أسر جنود منهم وجلبهم إلى السجون، وفي سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) انتصر الأسطول الأيوبي على قوات صليبية كانت قادمة للهجوم على المدينة المنورة عبر البحر، وأُسر في تلك المعركة ١٧٠ جنديًّا صليبيًّا، و٧٠ نجارًا صليبيًّا كانوا متجهين إلى عكا على متن سفينة تحمل الخشب إلى عكا، ووُضع الأسرى في سجون القاهرة(١)، وفي سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)، قام الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي(٢) بحفر العديد من المغارات في شفير خندق قلعة حلب المواجهة للمدينة، حيث تكون هذه المغارات عبارة عن بيوت يسكن فيها هؤلاء الأسرى الصليبيون(٣)، وبعد الهزيمة التي حلت بالخوارزميين في حمص حين هاجموا حمص سنة (٦٤٤هـ/١٢١٩م)وحدثت معركة شرسة وقع

---

(١) أبو شامة، عيون الروضتين (ج٣/١٤١).

(٢)**الملك الظاهر غازي:** بن الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي أخو صاحب الشام الملك الناصر يوسف يلقب سيف الدين، وهو شقيق الناصر. كان شجاعًا جوادًا مليح الصورة كريم الأخلاق عزيزًا على أخيه إلى الغاية، ولقد أراد جماعة من الأمراء العزيزية القبض على الناصر وتمليك هذا فشعر بهم السلطان ووقعت الوحشة. وفي أول سنة ثمان وخمسين زالت دولة الناصر وفارق غازي أخاه، فاجتمع بغزة على طاعته البحرية، وسلطنوه فدهمهم هولاكو، ثم اجتمع الأخوان ودخلا البرية وتوجها معًا إلى حتفهما. وخلف غازي ولدًا بديع الحسن، اسمه زبالة، وأمه جارية اسمها وجه القمر، فتزوجت بأيدغدي العزيزي ثم بالبيسري، ومات زبالة بمصر شابا، وقتل غازي صبرًا مع أخيه بأذربيجان؛ فذكر ابن واصل أن هولاكو أحضر الناصر وأخاه وقال: أنت قلت: ما في البلاد أحد، وإن من فيها في طاعتك حتى غررت بالمغل؟ فقال: أنا في توريز في قبضتك، كيف يكون لي حكم على من هناك؟ فرماه بسهم فصاح: الصنيعة يا خوند، فقال أخوه: اسكت تقول لهذا الكلب هذا القول، وقد حضرت! فرماه هولاكو بسهم آخر قضى عليه، وضربت عنق الظاهر وأصحابهما. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٢٣/٣٥٩).

(٣) ابن الشحنة، الدرر المنتخب (ص٥١).

خلالها عدد كبير من الأسرى في المعركة وحملوا إلى مدينة حلب كي يعتقلوافيها في الأول من شهر محرم لذلك العام[١]، وامتدادًا لعهد الأيوبيين جاء المماليك لوراثة الدولة الأيوبية، وواجهالمماليك ما كانت تواجهه الدولة الأيوبية،وما زالت المستعمرات والقلاع والحصون والمدن الصليبية منتشرة في بلاد الشام وعلى حدود الدولة المملوكية وحدثت بينهم الكثير من المعارك والمناوشات التي نتج عنها العديد من الأسرى، ففي سنة (٦٦٨هـ/١٢٧٠م) وقع العديد من الأسرى في يد السلطان الظاهر بيبرس[٢] وكانوا أسرى في سجون القاهرةفأمر بقتل عدد من الأسرى الموجودين في السجون، انتقامًا من الفرنج بسبب قيامهم بقتل عدد من أسرى المسلمين، وأخذ مائة من أعيان الأسرى الصليبيين وأغرقهم في النيل[٣]، وفي سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) وصل إلى السلطان الظاهر بيبرس أن ملك الفرنج حضر إلى زيارة القدس متنكرًا فأمر السلطان جنوده بتتبع الموضوع والتأكد منه، فعندما تأكد من ذلك أمر بالقبض عليه وأُرسل إلى السلطان في دمشق وأمر السلطان بحبسه في قلعته[٤]، وفي عام (٧٩٨هـ/١٣٩٦م) ألقى الأمير قرا يوسف التركماني[٥] صاحب تبريز[٦] القبضعلى أحد أمراء

---

(١) ابن العميد، أخبار الأيوبيين(ص٣٥).

(٢)**الملك الظاهر ركن الدين بيبرس:** العلائي البُنْدُقْدارِي الصالحي النجمي لقب بـأبو الفتوح. سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي، بدأ مملوكًا يباع في أسواق بغداد والشام وانتهى به الأمر أحد أعظم السلاطين في العصر الإسلامي الوسيط. لقّبه الملك الصالح أيوب في دمشق بـ"ركن الدين"، وبعد وصوله للحكم لقب نفسه بالملك الظاهر. ولد بيبرس نحو عام ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م، حقق خلال حياته العديد من الانتصارات ضد الصليبيين وخانات المغول ابتداءً من معركة المنصورة سنة ١٢٥٠ ومعركة عين جالوت انتهاءً بمعركة الأبلستين ضد المغول سنة ١٢٧٧. وقد قضى أثناء حكمه على الحشاشين واستولى أيضًا على إمارة أنطاكية الصليبية. حكم بيبرس مصر بعد رجوعه من معركة عين جالوت واغتيال السلطان سيف الدين قطز من سنة ١٢٦٠ حيث خطب له بالمساجد يوم الجمعة ٦ ذي الحجة ٦٥٨ هـ/ ١١ نوفمبر ١٢٦٠م وتوفي يوم الخميس ٢٧ محرم ٦٧٦ هـ/ ٢ مايو ١٢٧٧ م (عمر ٥٤ سنة) بعد رجوعه من معركة الأبلستين ضد خانات المغول سنة ١٢٧٧. أحيا خلال حكمه الخلافة العباسية في القاهرة بعد ما قضى عليها المغول في بغداد، وأنشأ نظُمًا إداريةً جديدة في الدولة. اشتهر بيبرس بذكائه العسكري والدبلوماسي، وكان له دور كبير في تغيير الخريطة السياسية والعسكرية في منطقة البحر المتوسط. ابن كثير، البداية والنهاية (ص ١٦٧).

(٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج٢/٤٤٣).

(٤) العيني، عقد الجمان (ج١/١٣٧).

(٥)**قرا يوسف التركماني:** هو صاحب مدينة تبريز. العيني، عقد الجمان (ج١/١٣٧).

(٦)**تبريزُ**: بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر الراءِ وياء ساكنة وزاي»، وهذه هي الطريقة التي يُلفظ بها اسم المدينة حاليًّا باللغة الأذربيجانيَّة لأهلها وأهل كامل المُحافظة، وكذلك باللغات الإيرانيَّة جنوب القزوينيَّة، وهو على =

التتار[1] وهو أطلنش قريب تيمور لنك، وأرسله إلى الملك الظاهر فاعتقله، وكانت هذه الفعلة سببًا في تحرك تيمور لنك إلى بلاد الشام[2]، وبعد فتح جزيرة قبرص عام(٨٢٩هـ/١٤٢٥م)، وُضع عدد من أسرى الفرنجة في سجون القاهرة بعد عودة السلطان الأشرف برسباي[3] وكان من بين الأسرى ملك جزيرة قبرص نفسه وصُفّد بالحديد، وكان يركب فرسه ويرتدي زيه العسكري وخوذته وسلاحه[4]، وكان سجن خزانةشمائل يستخدم لحبس الأسرى، فقد حبس فيه

=
وزن "فِعليل". ذكر المؤرخون الأرمن القدماء المدينة باسم «تَوريژ» وهو ذات اللفظ الفهلوي الشمالي لاسم المدينة، ومن هذا الاسم برز إسمان آخران للمدينة هما: «توريز» و«تُوْري»، وقد استخدم الرحَّالة والكتَّاب القدامى كلًّا منهما على حدٍ سواء.

يُشتق اسم تبريز من كلمتين: "تب" وتعني "الحرارة"، و"ريز" وتعني "الصب بعيدًا" وتُفيد معنى "يصب بعيدًا"، وبهذا فإنَّ اسمها يعني "قاهرة الحرارة"، وبتفصيلٍ أكبر "قاهرة الحمَّى" أو "طاردة الحمَّى" أو "صبَّابة الحمَّى"، ويُقال أن سبب تسميتها على هذا النحو يرجع إلى أنَّ زبيدة بنت جعفر بنت المنصور زوجة الخليفة العبَّاسي الكبير هارون الرشيد قامت بإنشائها عام ٧٩١م بعد أن شُفيت من حمًّى شديدة ألمَّت بها فترة من الزمن وأقعدتها، عندما زارت الموقع لبضعة أيَّام فشفاها النسيم العليل والمناخ اللطيف. غير أنَّ الأدلَّة كلها تُشير إلى عدم صحَّة هذا، إذ لا وجود لأي وثيقة أو دليل يؤكد زيارة زُبيدة زوجة الرشيد إلى أذربيجان طيلة فترة حياتها، بل إنَّ الأدلَّة تشير إلى أنَّ الاسم كان معروفًا منذُ قرون عديدة قبل قيام الدولة العبَّاسيَّة، وأبرزها طريقة اللفظ الأرمنيَّة للاسم، إذ يقول الخبراء اللغويون والمؤرخون أنَّها قريبة جدًا للفظ الفهلوي الشمالي، ما يعني أنَّ المدينة، أو على الأقل المستوطنة البشريَّة التي كانت قائمة مكانها، تعود إلى عصرٍ قبساساني، بل ربمًّا قبأشكاني. الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٣٨).

(١)**التتار:** هم شعب كبير من الأمة التركية ومنهم تفرق معظم بطونها وأفخاذها، فالتتار والمغول والترك من جنس واحد وهو جنس الترك الذي تشعب منه قبائل شتى منها السلاجقة والخوارزمية والتتار والمغول، والقفجاق، والخزر وغيرهم من الشعوب، نشأ المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي، وهي أراض واسعة تنعدم فيها بعض مقومات الحياة، صرامة الطبيعة جعلت من الشعب المغولي شعبًا قاسيًا، الهمداني، جامع التواريخ(مج٢/١٦٠)؛ عبد الحليم، انتشار الإسلام بين المغول (ص ص١٣-١٤)؛ وحمدي: الدولة الخوارزمية والمغول (ص ص١٢٦-١٢٧)؛ والصياد، المغول في التاريخ (ج١/٣٠- ٣٢).

(٢) العسقلاني، أنباء الغمر (ج١/٥٠٩).

(٣)**الملك الأشرف برسباي:** سيف الدين برسباي (ت. ذي الحجة ٨٤١هـ/ مايو ١٤٣٧) هو السلطان الثاني والثلاثون في ترتيب سلاطين دولة المماليك. تولِى السلطان "برسباي" عرش دولة المماليك، ١ أبريل ١٤٢٢م= ٨ ربيع الآخر ٨٢٥هـ. ويُعدّ من عظام سلاطين الدولة المملوكية، وعلى يديه فُتحت قبرص. أبو المحاسن، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي(ج٣/٢٥٥).

(٤) **سليم**، عصر سلاطين المماليك (ج٢/٢٥٩).

الفرنج الذين أسروا من جزيرة رودس[1] سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣)[2]، في ثغر الإسكندرية قُبض على التجار الفرنج في سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، وذلك ردًا على قيام الفرنج بأسر عدد من تجار الإسكندرية، وطلب السلطان من الأسرى المقبوض عليهم أن يراسلوا ملوكهم لكي يطلقوا سراح تجار الإسكندرية، وقد استجاب ملوكهم لطلب السلطان[3]، وفي عام (٨٤٧هـ/١٤٤٣م) أُسر عشرون من رسل الفرنج قدموا إلى رودس أثناء حصار المماليك لها، وذلك من أجل التفاوض مع المماليك، وقد سجنهم السلطان الظاهر جقمق[4] بعد أن شعر أن قدومهم خدعة لتتبع أخبار الإمدادات المرسلة للحملة[5]، كما قام السلطان قيتباي[6] بسجن عشرة من أسرى الفرنج، أفرج

---

(١)**رودس:** قال القاضي عياض هو بضم أوله ضبطناه عن الصدفي والأسدي وغيرهما إلا الخشني والتميمي فإنه عندهما بفتح الراء ولم يختلفوا في الدال أنها مكسورة وقيدناه عن بعضهم في غير الصحيحين بفتح الدال وكلهم قالوا بسين مهملة إلا الصدفي عن العذري فإنه قال بشين معجمة وقيدناه في كتاب أبي داود من طريق الرملي بذال معجمة قال وهي جزيرة ببلاد الروم وفي الحديث غزا معاوية قبرس ورودس وهي في الإقليم الرابع وطولها من جهة المغرب خمسون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف ورودس جزيرة مقابل الإسكندرية على ليلة منها في البحر وهي أول بلاد أفرنجة قال المسعودي وهذه الجزيرة في وقتنا هذا وهو سنة ٢٣٣ دار صناعة الروم وبها تبنى المراكب البحرية وفيها خلق من الروم ومراكبهم تقارب بلاد الإسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتسبي وتأخذ. الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٧٣).

(٢) السخاوي، التبر المسبوك (ج١/٦١).

(٣) سليم، عصر سلاطين المماليك (ج٢/٢٥٩).

(٤)**الظاهر سيف الدين جقمق:** شركسي الأصل، اشتراه (الأشرف سيف الدين إينال العلائي) وقدمه إلى الملك الظاهر برقوق، فأعتقه واستخدمه. عاش نيفًا وثمانين سنة، وخلع بولده المنصور، برغبة منه إليه، لشدة مرضه. ومات بعد خلعه باثني عشر يومًا. وحبس في أيام الملك الناصر فرج، ثم أطلق وولي أعمال في دولتي الملك المؤيد شيخ، والظاهر قطز، إلى إن كان (أتابك) العساكر في دولة الأشرف برسباي. ولما مات الأشرف وولي ابنه العزيز يوسف استمر جقمق أتابك ومدبرا للدولة. وقام بعض المماليك فخلعوا العزيز، وولوه السلطنة، فانتظم له الأمر إلى إن توفي بالقاهرة، كان الظاهر جمقمق ملكًا عظيمًا جليلًا دينًا متواضعًا كريمًا، وكان فصيحًا بالعربية، متفقهًا. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ص٢٥٥).

(٥) السخاوي، التبر المسبوك (ص٦٢)

(٦)**السلطان قيتاباي:** ولد سنة ١٤٢١ في بلاد القبجاق وهى بلاد من أقاليم نهر الفولجا في روسيا الآن وهي كانت من أهم أسواق العبيد الذين يباعون ومن ثم يكونوا مماليك في الدولة العباسية. واشتراه سلطان مصر حينها الملك [الأشرف برسباي] وأصبح مملوكًا وأرسله ليتعلم ويتدرب مع باقي المماليك، وبعد وفاة الأشرف برسباي وصل [الظاهر جقمق] عن طريق الشراء وعين (جمدار) ثم (خاصكي) ثم أصبح (دوادار) وفى آخر الأمر أعتقه وتركه في الجيش وأخذ في الترقي إلى إن وصل (أتابك) (قائد) الجيش في عهد السلطان الظاهر تمربغا الذي عينه في هذا المنصب بعد تنصيبه سلطان مصر. ابن إياس، (ج٢/ ٩٠).

عن ثلاثة بعد إعلانهم اعتناق الدين الإسلامي[1]، وقد استخدم المماليك سجن خزانة البنود كسجن يوضع فيه الأسرى، حيث كان في السابق سجنًا سياسيًا أودع فيه الأمراء والمماليك ممن ارتكبوا جرائم قتل السلاطين والمتجاوزين الانضباط العسكري أو تجاوزات قانونية، وجرائم شرعية إضافة إلى الأسر كما أسلفنا، وقد ورث المماليك هذا السجن عن الأيوبيين الذين كانوا يستخدمونه سجنًا للأمراء، وهو في الأصل سجن فاطمي[2]مع وصول الناصر محمد[3] إلى الحكم، وأصبح هو السلطان، وقام باعتماد سجن خزانة البنود خاصًا بالأسرى فقط، ففي سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م) وبعد معركة شقجب[4] بين المماليك والمغول، استطاع المماليك أسر أعداد كبيرة من الأرمنمن تحالفوا مع المغول، فنُقلوا من الشام إلى القاهرة حيث أمر السلطان الناصر بسجنهم في خزانة البنود[5]، وعندما عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وتولى السلطنة للمرة الثالثة سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، حوّل سجن خزانة البنود إلى منازل للأسرى[6] يسكنون فيها مع عائلاتهم ونسائهم وأولادهم[7]، إلا أن الأسرى أساؤوا استعمال هذه المنازل، وتجاهروا فيها ببيع الخمر وشربه، واشتغلوا بحماية من يدخل إليهم من أرباب الجرائم[8]، وبيع لحم الخنزير وتنظيم أعمال البغاء[9]، وتوسعوا في ذلك فأصبح لخزانة البنود سوقًا منظمًا عرف

(١) الصيرفي، إبناء العصر (ص٤٤٤).

(٢) المقريزي، الخطط (ج٢/١٨).

(٣)**الملك الناصر محمد:** ناصر الدين محمد بن قلاوون، (ولد بالقاهرة في ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م- توفي بالقاهرة في ٧٤١ هـ/١٣٤١م). أصغر أبناء السلطان المنصور قلاوون، والأخ الأصغر للسلطان الأشرف خليل. ولد بقلعة الجبل بالقاهرة بعد اغتيال السلطان الأشرف خليل في ديسمبر ١٢٩٣م، اتفق الأمراء على تنصيب أخيه الصغير ناصر الدين محمد، تاسع سلاطين المماليك البحرية. لقب بأبي المعالى وبأبي الفتح، جلس على عرش السلطنة ثلاث مرات، من ٦٩٣هـ/١٢٩٣م إلى ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، ومن ٦٩٨هـ/١٢٩٩م. المقريزي، السلوك (ج٢/٤٤٢)؛ وأبو المعالي، الوفيات (ج١/٣٨٨)؛ وابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (ص٥٥).

(٤)**شقجب:** هي مدينة من مدن الشام بالقرب من حلب، وقع بها معركة بين التتار والمسلمين وانتصر فيها المسلمون وكان العلماء من أعلام جيشها. ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/١٣٥)؛ وابن خلدون، العبر (ج٥/٥٦٥)؛ وابن كثير، البداية والنهاية (ج١٤/٢٣).

(٥) العيني، عقد الجمان (ج٤/٥٠).

(٦) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/٢٥).

(٧) المقريزي، الخطط (ج١/١٨٨).

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور (ج١/٥٠٠).

(٩) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج١٠/٧٣).

باسمها، وأخذت تجاوزات هؤلاء الأسرى بعدًا آخراً، ففي ففي زمن الصالح إسماعيل بن الناصر محمدتعرض هذا السوق لهجوم من قبل العامة، فنهبت وكسرت جرار الخمر فيه، وتعرضت الجماهير الغاضبة إلى نساء الفرنج بعد فشل والي القاهرة في السيطرة عليهم وردهم، وقام السلطان الصالح إسماعيل بإصدار مرسوم ينص على ألا يتعرض أحد لأسير من أسرى الفرنج، ويهدد من أخذ لهم شيئًا بالإعدام شنقًا[١]وأمنت دولة المماليك الأسرى ولم تتعرض لهم [٢]، ورغم كل الفساد الذي كان ناتجًا من هؤلاء الأسرى إلا أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون رفض المطالب المتكررة بإبعادهم من خزانة البنود وذلك من أجل الحفاظ على العلاقات مع ملوك أوروبا، وتوفي السلطان الناصر محمد وهم لا يزالون في مساكنهم[٣] ومع كثرة الشكوى من هذه البيوت حدث في سنة (٧٤٤هـ/١٣٤٤م) أن قام الحاج الملك الجوكنداربعد أن تولى نيابة السلطنة للصالح إسماعيل بهدم خزانة البنود[٤] ومنع بيع الخمور وتتبع شاربيها، وأنشأ مكانها مسجدًا سمي باسمه، حيث جعل منها مرافق للإقامة ومساكن وطواحين جديدة[٥]، وكان الأسرى يستخدمون في الأعمال الشاقة كالحفر وتعبيد العمائر تحت إشراف الدولة، حيث يراقب هذه العمليات الأعوان والسجانون الذين يشرفون على العمل ويراقبون عملهم[٦]، واستخدم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي أسرى الصليبيين في حفر الخنادق وبناء الأسوار وقطع الحجارة، ففي سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م) بعد أن فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي معن بيت الأحزان أمر بجمع الأسرى واستخدامهم في أعمال الحفر وقطع الحجارة وترميم الطرق[٧]، وبعد فتح القدس سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، استخدم نحو ألفي (٢٠٠٠) أسير في حفر خندق عميق وإنشاء سور حول مدينة القدس، وأمرهم بتجديد الأبراج الحربية في باب العامود إلى باب المحراب (المعروف الآن بباب الخليل)، وأصلحها على أفضل ما يكون، وأنفق عليها أموالًا كثيرة كي تكون قوية وصالحة لصد أي عدوان[٨]، وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون

---

(١) المقريزي، السلوك (ج٢/٦٢٢).

(٢) لا بدوس، مدن إسلامية (ص١٥١).

(٣) المقريزي، السلوك (ج٢/٦٢٢).

(٤)**خزانة البنود:** هو عبارة عن سجن في القاهرة كان يوضع فيه الأسرى من المغول والأرمن المنقولين من الشام، وأقيم حوله منازل للأسرى ليقيم فيه الأسرى وعائلاتهم. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة (ج١/٢٥).

(٥) المقريزي، الخطط (ج١/٣١٠)؛وابن إياس، بدائع الزهور (ج١/٤٩٩)

(٦) المقريزي، المواعظ والاعتبار ج٣/٣٢٨).

(٧) الأصبهاني، البرق الشامي (ج٣/١٧٥).

(٨)العليمي ، الأنس الجليل (ج١/٣٦٢).

يستخدم الأسرى في الأعمال الشاقة بالسخرة[١] لبناء

الإصطبلات[٢] في بركة الفيل، حيث استغرق العمل فيها ما يقارب العام[٣]، وفي عام (٧١٣هـ/١٣١٣م) قام عربان الصعيد بالخروج على السلطان الناصر محمد بن قلاوون فأسر منهم عددًا كبيرًا واستخدمهم في بناء الأسوار ومقر الجسور[٤] وفي جلب العديد من الأسرى للعمل في إنشاء هذا المسجد[٥]، وكانت أحوال الأسرى تتغير من حال لحال، ففي بعض الأحيان يستخدمون للأعمال الشاقة ومرة أخرى كانوا يؤمنون على حياتهم ويتم تسكينهم في بيوت خاصة بهم، وفي أحيان أخرى يعرض عليهم الدخول في الإسلام، وفي أحيان أخرى كانوا يعرضون للقتل أو الذبح،وفي سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) قام السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بضرب عنق الأمير الصليبي أرناط صاحب الكرك بعد أسره في معركة حطين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، كما قام بإعدام عدد من الأسرى في عدة معارك بعدما أثبت أنهم من المجرمين الذين أجرموا في حق المسلمين ورفضوا الدخول في الإسلام[٦]، وفي بعض الأحيان كان الأسرى يأخذون جزءًا من حقوقهم، وفي أوقات أخرى لم يأخذوها حسب طريقة الأسر سواء كانت بالتسليم أو الحرب أو في السلم وفق اتفاقية، ووقع كثير من الأسرى الصليبيين والمغول، فمنهم الملوك والأمراء والعساكر، ومن الأسرى من كان ينقل إلى السجون ومنهم من كان يقتل على الفور حسب ما اقترفت يداه من الاعتداء على المسلمين[٧]، ففي فتح قيسارية سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٣م) قام أصحاب قيسارية بطلب العفو من السلطان الظاهر بيبرس وأطلقوا أسرى المسلمين من عندهم[٨]، ولما وصل إلى السلطان الظاهر بيبرس بأن أهل مدينة قار يبيعون المسلمين لأهل حصن عكار، فثارت ثائرة السلطان وجهز الجيوش وداهم الحصون ونهب وقتل من فيها وسبى ذراريهم[٩]، وفي سنة (٦٦٦هـ/١٢٦٤م) عندما فتحت مدينة أنطاكية أخذ منها مكاسب كثيرة وأسرى كثرًا ومالًا لا تحصى كثرته، وقسمت النقود على الجميع، وأخذ الجنود الغنائم والأمراء، ووزع الأسرى ليعملوا في خدمة أمراء الدولة، وفيما تم الصلح بين السلطان

---

(١)السخرة: يشتغل كرهًا وقهرًا بلا مقابل وبلا أجرة. ابن منظور، لسان العرب (ج٤/٣٥٣)

(٢) عاشور، العصر المماليكي(ص٤١٣).

(٣) الصفدي، أعيان العصر (ص٢٠٩)؛ والمقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٢/٢١٧).

(٤) سليم، عصر سلاطين المماليك (ج٢/٣٠٦).

(٥) المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٤/١٠٨).

(٦) ابن شداد، النوادر السلطانية (ج١/٧٠).

(٧) العيني، عقد الجمان (ج١٨/٣٤٤).

(٨) المقريزي، السلوك (ج١/٥١٠).

(٩) ابن عبد الظاهر، الروض(ص٢٥٢).

والملك التيكفور بن هيثوم صاحب بيتس وأطلق سراح ولده ثم كتبت الهدنة بينهم، وأرسل السلطان الظاهر بيبرس الهدايا إلى ملك أنطاكية وأخرج عشرين من أسرى أنطاكية وقسيسين ورهبانًا(١)، وقد كان لدولة المماليك بعمليات الأسر ظروف خاصة، فكان عندهم كثير من الأسرى وفي المقابل لهم الكثير من الأسرى عند الأعداء، فكانت تتراوح حياة الأسير عندهم بين إعطاء الأسير حقوقه وسلبها منه في حالات أخرى، ففي الحروب والنزاعات المستمرة كانت تتردى حقوق أسرى العدو، فإما يُقتل الأسرى أو يُستخدمون في الأعمال الشاقة أو يُوزعونكعبيد شبابًا وغلمانًا، وفي أوقات أخرى يبادلون بأسرى المسلمين أو يباعون في الأسواق كعبيد أو يُفدون بالمال من أبناء جلدتهم ومناخاتهم الدينية المختلفة، فتجد حياة الأسرى في غالب الأحيان في عصر المماليك –ولحالة الكره والعداء الموجودة بين القوى المتحاربة– تهدر حقوقهم، مالم تتدخل الدولة التي ينتمون إليها وتحميهم وتعقد المعاهدات والهدن والصفقات لاسترجاعهم إلى بلادهم.

---

(١) المقريزي، السوك (ج١/٥٧٤).

الفصل الثالث

دولة المماليك وجهودها في فكاك الأسرى

المبحث الأول
التعريف بدولة المماليك

لقد عانت الأمة الإسلامية من سقوط كبير؛ ما أثر في دورها الريادي والقيادي في قيادة العالم وفي توحيد المسلمين، ولقد برزت في تلك الآونة محاولات عديدة للنهوض بالأمة الإسلامية والعودة بها إلى قيادة العالم، ولقد جهد في ذلك الكثير من رجال الأمة ومفكريها لإيقاد الشعلة الإسلامية في نفوس المسلمين بعد أن أصاب الأمة الوهن، وعجزت عن حماية ما حققه جدودها الأوائل من مكتسبات وإنجازات، ما دفع الدول والأمم للتكالب على الأمة الإسلامية واقتطاع ما في يدها من ممتلكات وأراضٍ كانت تحت حكم المسلمين، فعانت الأمة الإسلامية من خطرين عظيمين كادا أن يفتكا بالأمة الإسلامية والعالم؛ ألا وهما المغول والصليبيون؛ خاصة أن الأمة الإسلامية في ذلك الوقت كانت تعاني من ضعف وهوان، فجاءت دولة المماليك وتصدت لهذين الخطرين وهزمت المغول هزيمة نكراء في معركة عين جالوت، وأنهت وجود الصليبيين من بلاد الشام الإسلامية في عهد الأشرف خليل بن قلاوون، الذي بدوره حرر عكا وطرد آخر صليبي من فلسطين، ولهذا لا بد أن نتعرف إلى دولة المماليك، وإلى رجالاتها وأصولهم، وكيف وصلوا إلى الحكم، ومن أين جاؤوا، وكيف أسسوا دولتهم ونظامهم العسكري.

أصل المماليك:

يطلق اسم المماليك اصطلاحًا على الرقيق البيض غالبًا، الذين اعتاد بعض حكام المسلمين على جلبهم وشرائهم من أقطار العالم المختلفة والعمل على تربيتهم تربية خاصة وفق الشريعة الإسلامية وجعلهم محاربين من الطراز الأول قادرين على تحمل الشدائد، حيث استطاع هؤلاء المماليك أن ينشِئوا حكمًا لهم في بلاد مصر، وبلاد الشام، والحجاز، وبلاد النوبة، وجزء من اليمن، وغيرها من المناطق التي خضعت لحكمهم زهاء ثلاثة قرون من الزمان وهي الفترة الواقعة ما بين (٦٤٨هـ-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠م-١٥١٧م)[١]،ولا بد لنا من تعريف كلمة المماليك في اللغة: وهي جمع مملوك، وهو الرقيق الذي يباع ويشترى، (ومملوك) هو اسم المفعول من الفعل (ملكَ)، واسم الفاعل (مالك) بمعنى أن المملوك هو عبدُ مالكه، وأطلق عليهم اسم رقيق؛ لأنهم يصبحون أرقامًا لمالكهم ويدينون لهُ بالولاء والطاعة ويخضعون له خضوعًا كاملًا[٢]، وكلمة

---

(١) المنصوري، التحفة المملوكية (ص٢٥)؛ والعسقلاني، الفضل المأثور (ص٢٥).

(٢) ابن منظور، لسان العرب (ج١٠/١٢٤).

مملوك تختلف عن العبيد الذين يعملون عند ولاتهم في الخدمة، بل هم اشتُروا وجيء بهم كي يكونوا محاربين أقوياء أشداء، حيث جاءت دولة المماليك على الحكم بعد سقوط الدولة الأيوبية وأسسوا دولتين متعاقبتين، وكانت الأولى دولة المماليك البحرية، وكان مركز قيادتها القاهرة، واستمرت في الحكم حتى سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م)[١]، حيث بدأت دولة الجراكسة[٢] وهي ما يطلق عليهم دولة المماليك البرجية[٣] واستمر حكمهم حتى سقوط دولة المماليك بعد معركة مرج دابق مع الدولة العثمانية سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)[٤]، ولا بد من الحديث عن المماليك البرجية بالتفصيل؛ لأنهم هم من أسسوا دولة المماليك في مصر والشام، ودولة المماليك البرجية هم عبارة عن جيش قام بإنشائه وتأسيسه السلطان المنصور قلاوون إضافة إلى الجيش المملوكي كي يكون له عونًا ضد منافسيه من كبار الأمراء ويكون داعمًا له ولأولاده من بعده وتعزيز حكمهم، واستخدام المماليك لم يبدأ في العهد الأيوبي بل كان مستخدمًا في الممالك السابقة، حيث استخدمت الدولة الأموية بالأندلس المماليك فالخليفة هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان صاحب الأندلس كان أول من استعان بالمماليك في الأندلس[٥]، وكان يسميهم الحكم بن هشام بالمماليك الخُرس؛ بسبب عدم إتقانهم العربية وعدم قدرتهم على لفظها لأنهم من العجم[٦]، وأكثرَ الخلفاءُ الأمويون من استخدام المماليك في الأندلس كجنود في جيوشهم، واستفادوا منهم في أعمال نقل الأخبار داخل الجيش، وكانوا عنوانًا للإخلاص والعمل في الجيش[٧]، واستخدم المماليك في دولة الأندلس لنقل الأخبار عن قادة الجيش وعن الجنود إلى الخليفة، وقبولهم تلك المهمة نابع من ضعفهم داخل الجيش فلم يكونوا أصحاب قرار، فقد كانوا ينفذوا الأوامر دون مناقشة ولا يملكون رفض أوامر قادتهم الذين كلفوهم بتلك المهمة بسبب رقهم وقلة حيلتهم، ومن المرجح أن عدد المماليك داخل الجيش في دولة الأندلس كان كبيرًا لا

---

(١) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٧/١٨٤).

(٢)**الجراكسة:** أصلهم من بلاد الكرج (جورجيا) وهي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين. الأشقر، أتابك العسكر (ص٢١).

(٣)**البرجية:** وسموا بذلك لأن السلطان المنصور قلاوون فرض عليهم أن يمكثوا في أبراج القلعة ولا يختلط بالطوائف الأخرى بالمماليك والأهالي ولكن مع مرور الزمن سمح لهم السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بالنزول من القلعة بالنهار والعودة إليها بالليل قبل المغرب للمبيت، المكي، سمط النجوم (ج٣/٥٣٣).

(٤) ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/٢٨٢).

(٥) ابن الأثير، الكامل (ج٥/٣٠٨).

(٦) المقري، نفخ الطيب (ج١/٣٤٢)؛ وابن الأثير، الكامل (ج٥/٤٦٦)؛وابن خلدون، العبر (ج٤/١٦٠-١٦١).

(٧) ابن الأثير، الكامل (ج٦/٤٠٢)؛ وابن خلدون، العبر (ج٣/٤٣٩).

بأس به، يقارب خمسة آلاف جندي كلهم من المماليك العجم[١]، وقد أوردت المصادر التاريخية أن أول من استخدم المماليك بصورة كبيرة جدًا هو الخليفة المعتصم[٢] ويقرب عددهم في عهده أكثر من عشرين ألفًا[٣]، ولكثرتهم قام ببناء مدينة لهم في العراق تحت اسم سامراء ليقيموا فيها[٤]، والوارد أن المعتصم استقدم الكثير من المماليك من بلاد سمرقند وفرغانة وأشرسونة والشاش[٥] وأصبح المماليك من هذا العنصر يطغون على بقية العناصر الأخرى[٦]، ويرى عدد من المؤرخين أن إقبال المعتصم على شراء الكثير من المماليك واستخدامهم داخل الجيش يرجع إلى حالة الانقسام الموجودة داخل البيت العباسي، ووجود مراكز قوى ممثلة بالعربي والفارسي التي بدورها هددت المصالح العامة للخلافة، فاعتمد المعتصم على المماليك وأكثر من جلبهم كي يعتمد عليهم كقوة جديدة داخل الخلافة ليس لها مصلحة في سلب السلطة والسيطرة على الحكم[٧]، ومن الواضح أن هذا الرأي هو الأرجح، حيث اتخذ الخليفة المأمون من خراسان مقرًا له، واستعان بالفرس في صراعه من أخيه الأمين، ولكن الفرس لم يخلصوا له وتآمروا عليه وعلى الخلافة، ما دفعه للبحث عن قوة جديدة تقف في وجه الفرس والاستغناء عنهم، فوجد ضالته في أخواله من الترك فأكثر من شرائهم حيث أصبح لهم نفوذ وسلطة داخل الخلافة[٨]، ومع بداية العصر العباسي الثاني ازداد نفوذ المماليك وأصبحت لهم سلطة أكبر داخل الخلافة

---

(١) ابن الأثير، الكامل (ج٥/٤٦٦).

(٢)**الخليفة المعتصم:** هو محمد بن هارون الرشيد يكنى أبا إسحاق وأمه أم ولد من مولودات الكوفة واسمها ماردة وكانت أحظى النساء عند هارون الرشيد وكان المعتصم أبيض ولقبه الثماني لأنه ولد سنة ثمان ومئة وله ثمانية بنون وثماني بنات ومات وهو عمره ثمانٍ وأربعين وخلافته ثماني سنين وثمانية أشهر. ابن الجوزي، المنتظم (ج١١/٢٥)؛ والمقدسي، البدء والتاريخ (ج٦/١١٤).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٠/ ٢٩٦).

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ (ج٤/١٠١).

(٥)وهي عبارة بلاد تركية في الشرق من آسيا خصبة كثيرة الخير ينتشر بها العلم وأهلها أهل جهاد ورجالها أشداء وأصحاب بأس شديد وهي أول بلاد الترك تبدأ بفرغانة ثم اسبيحاب ثم أشرسونة ثم الصغد ثم بخارى، ثم سمر قند. المقدسي، البدء والتاريخ (ج٦/٣٨)؛ والبكري، معجم ما استعجم (ج٣/٧٧٥)؛ والمقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/٢٢٣).

(٦) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٢/٢٣٤).

(٧) ابن الأثير، الكامل (ج١٠/٤٢٦)؛ وعدوان، المماليك وعلاقاتهم الخارجية (ص١١).

(٨) الأصفهاني، البر الشامي (ج٢/١٥٠).

وصلت إلى التحكم بالقرارات داخل الدولة[1]، ونتيجة للإكثار من المماليك انقلبت الأمور في الخلافة العباسية على عكس رغبة البيت العباسي، ووصلت الأمور لدرجة كبيرة من تدخلهم داخل السلطة، حيث قيل إن الخليفة كان كالأسير في أيدي مماليكه إن شاؤوا أبقوا عليه وإن شاؤوا قتلوه[2]، ووصلت قوة المماليك في العصر العباسي الثاني إلى قوة عظيمة وتمردوا على الخليفة نفسه، حيث يقومون بخلعه والإطاحة به، وتعيين ابنه أو أخيه بدلًا عنه[3]، واستمرت الأمور على هذا المنوال فترة طويلة وذلك بسبب قوتهم ونفوذهم في الجيش من عهد المنتصر إلى عهد المعتضد[4]، واستمرت الأمور على هذه الشاكلة، خليفة دون صلاحيات، فقط على شكل صوريّ لا يملك ولا يحكم، والحاكم الحقيقي للخلافة هم المماليك، إلى أن جاءت خلافة المسترشد فبايعه الناس، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا، وعرف عنه الشجاعة والقوة والفطنة، حيث تمكن من فرض سيطرته عليهم واستعادة السلطة[5]، ولم تقتصر الأمور على البيت العباسي حيث استطاع المماليك اقتطاع بعض البلدان من الخلافة العباسية واستقلوا بها واكتفوا بالتبعية الاسمية فقط للدولة العباسية، ومن أمثلة ذلك الدولة الزنكية والطولونية[6]، حيث أحمد بن طولون[7] أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية، واعتمد قبل جلبهم في تدعيم الجيش على أهل السودان، حيث بلغ عدد جيشه من السودانيين اثني عشر ألفًا من السود[8]، وكان وجود المماليك إما عن طريق الشراء؛ وذلك لضرورة الحرب والصراع في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي وكانوا يستخدمون في تقوية الجيوش ودعمها بالعنصر البشري، وذلك بسبب التناقص المستمر في الرجال بسبب الحروب وحاجة الخلافة الإسلامية إلى رجال،

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم ج١١٩/٧).

(٢) ابن أبي طبطبا، الفخري في الآداب السلطانية (ص٢٢٠)؛ وأبو الفضل، تكملة تاريخ الطبري (ج٢٢٠/١).

(٣) الذهبي، السير (ج٩٢/٤).

(٤) أبو شامة، الروضتين (ج١٢٠/١).

(٥)المرجع السابق، ج٤٢٠/١.

(٦)**الدولة الزنكية:** ويعد عماد الدين زنكي مؤسسها حيث سيطر على القلاع مثل شوش والحميدية ولما اتسعت دولته اتخذ من الموصل مركزًا له، وكان لهذه الدولة الدور الأكبر في مواجهة الصليبيين والدفاع عن المدن الإسلامية. ابن الأثير، الكامل (ج١٩٣/١٠)؛ وابن بطوطة، تحفة النظار (ج٥٦٩/٢)؛ وأبو شامة، الروضتين (ج١٥٥/١).

(٧)**أحمد بن طولون:** هو الأمير أبو العباس صاحب الديار المصرية والشامية والثغور وقد ولاه الخليفة العباسي المعتز مصر فاستولى على باقي الديار الشامية. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢٧٣/١).

(٨) القلقشندي، مآثر الأناقة (ج٢٤٧/١).

فكان لا بد من استقدامهم واستخدامهم داخل الجيش الإسلامي، وكان يستفاد من المماليك عن طريق سبيهم وهم أطفال في المعارك أو عن طريق الهدايا المقدمة للسلاطين والخلفاء التي كانت تحتوي على مجموعة كبيرة من المماليك الذين بدورهم اشتغلوا ضمن الحاشية السلطانية، فمنهم من خدم السلطان وحاشيته ومنهم من أصبح من كبار الحاشية، ومن أصبح من قواد الجيش وجنوده[١]، واستفاد الإخشيد في مصر من المماليك فقد استخدموهم في الحراسة، حيث جعل خمسة آلاف مملوك لحراسة الإخشيد ليلًا وهو نائم[٢]، وتنوعت أصول المماليك ما بين الكرد والتركمان[٣]، كما توجد أجناس مختلفة من الأتراك والجركس والروم وبعض العرب[٤]، وكل سلاطين المماليك كانوا أصلًا مماليك سواء من الترك أو الجركس، ويعد عصر سلاطين المماليك البحرية هو عصر الترك[٥]، وكان بعض المماليك من الجنس المغولي الذين دخلوا في الإسلام بعد عدائهم الشديد له، ومثال ذلك السلطان كتبغا الذي وصل إلى الحكم في دولة المماليك، وكان من أفضل سلاطين المماليك سيرة ومسيرة ونصرة للإسلام[٦]، وكان أيضًا يوجد بعض المماليك من الإفرنج وخاصة من الأيوبيين وكان يغلب عليهم الشقرة[٧]، ومن الواضح أن هؤلاء المماليك الإفرنج كانوا من الذين سباهم الأيوبيونخلال المعارك التي وقعت بين الأيوبيين والصليبيين الذين كانوا يوجدون في بلاد الشام ويحتلون منها مدنًا وقلاعًا كثيرة، وقد وصل سعر المماليك في ذلك الوقت دينار لكل خمسة مماليك[٨]، ويتضح من خلال ذلك أن المماليك ليسوا من أصل واحد أو من بلد واحد ولكن مجموعة مختلطة من عدة بلدان، وناتج ذلك بسبب الحروب السائدة في ذلك الوقت، حيث كان متعارفًا السبي في الحروب التي يرجع السبب الأكبر لها في وجود المماليك وخاصة من الأطفال الذين يؤسرون وهم صغار، ما دفع الدول للتفكير للاستفادة من هؤلاء الاسري في خدمة الممالك من أجل الاستفادة منهم كان يتم تربيتهم وتنشئتهم على الإسلام ومن ثم ضمهم إلى الجيش للاستفادة منهم حيث كانت المجتمعات

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/٢٤٧)؛ والطبري: تاريخ الأمم والملوك (ج٤/١٠٥).
(٢) أبو الفضل، تكملة تاريخ الطبري (ج١/١٥٣).
(٣) المنصوري، مختار الأخبار(ص٢٧).
(٤) المقريزي، الخطط (ج٢/٢١٥).
(٥) العسقلاني، الفضل المأثور(ص١٢٨).
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية (ج٣/٣٣٩).
(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج٩/١٩٨).
(٨) ابن خلدون، العبر (ج٤/٥٣٩).

بحاجة للجنود بسبب الحروب الكثيرة وتكاليفها الباهظة وأعداد القتلى الكبيرة، فكان المماليك عبارة عن البديل الذي يسد الفراغ الذي يحدث داخل الجيش، ويعد غالبية المماليك من العنصر التركي وذلك استمرارًا لما صار عليه الأيوبيون في آخر عهدهم(١)، وخاصة خلال فترة حكم السلطان الصالح نجم الدين أيوب(٢)واجتهد السلطان نجم الدين أيوب بجمع أكبر عدد من المماليك التركية وأخذ قرارًاباعتمادهم عنصراً أساسًيا في الجيش؛ وذلك لتعويض ما عُزل من إمرته من المماليك في الشام على يد أخيه، حيث انفض عنه مماليك من الأصل الكردي ولم يقف بجانبه إلا عدد من المماليك من أصلٍ تركي؛ الأمر الذي جعل السلطان نجم الدين أيوب يُكِنّ في نفسه حبًا شديدًا للعنصر التركي من المماليك(٣)، وكان ذلك الاختيار اختيارًا موفقًا أثر في تاريخ مصر وبلاد الشام والمنطقة نحو ثلاثة قرون بعد ذلك، واستمر السلطان الصالح نجم الدين أيوب بجلب المماليك الأتراك وخاصة في العهد المملوكي الأول، ويرجع السبب في ذلك أن السلاطين الأوائل من المماليك كانوا من الجنس التركي وبالتالي كانوا يفضلون أبناء جنسهم ليكونوا نواة الجيش المملوكي، وخلق جيلًا من الجنس التركي يحافظ على ما أنجزه سلاطين المماليك من ذلك الجنس، وكان سلاطين المماليك يحرصون على شراء المماليك بشكل كبير لتدعيم سلطتهم وحماية ما اكتسبوه من حكم وإيجاد أمر واقع للبقاء في مواقعهم ومناصبهم، وشجع المماليك الإكثار من تجارة الرقيق وتعاونوا مع تجار الرقيق على جلبهم من كافة بلدان تبريز وأزبك وبلاد الروم وبغداد، وكانوا يدفعون الأموال الطائلة، لدرجة أن الأب كان يبيع أبناءه للسلاطين في مصر لما كان يحظى به أولئك المماليك في مصر من رعاية ومكانة خاصة ورفيعة المستوى(٤).

وكانت حياة المماليك حياة رغدة مترفة موفر لها لإمكانات كافة في كنف سلاطين المماليك في مصر، حيث كان يعد المملوك المباع للسلاطين في دولة المماليك وافر الحظ، ويحظى برعاية خاصة ومسكن خاص وبأكل خاص وبراتب وتربية حسنة، إلى أن يصل المملوك إلى الطبقة الحاكمة، لدرجة أن السكان الأصليين في بلاد في مصر وبلاد الشام كانوا

---

(١) المكي، سمط النجوم (ج٣/٥٢٩).

(٢)**الملك الصالح نجم الدين أيوب:** هو آخر السلاطين الأيوبيين الأقوياء في مصر، كان مهيبًا عزيز النفس عفيف اللسان كثير الصمت، وهو الذي أنشأ المماليك الترك حتى صاروا معظم عسكره. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٦/٣٣١).

(٣) المقريزي، السلوك (ج١/٤٤١).

(٤) المقريزي، الخطط (ج٢/٢١٤).

لا يملكون الوصول لدرجة المماليك، حيث لا يسمح للمواطن العادي الانخراط في صفوف المماليك وذلك بسبب تركيز السلاطين على المماليك المجلوبين من شبه جزيرة القرم وآسيا الصغرى وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر وبلاد القوقاز والقفجاق، حيث كان جل المماليك من تلك البلاد، ومعظم المماليك كانوا من الجنس التركي والشركسي والرومي والروسي والكردي، وهنالك بعض الأقليات التي اشتُروا من أوروبا وجُلبوا إلى مصر عبر البحر الأسود ومن ثم إلى بحر القرم، ومن ثم إلى خليج القسطنطينية، ومنه إلى البحر المتوسط، ومن ثم إلى ميناء دمياط ومن ثم إلى ميناء الإسكندرية[١]، ويفسر بعض المؤرخين أن تسمية المماليك البحرية أطلقت عليهم بسبب الطريق البحري الذي كانوا يمرون فيه في رحلة جلبهم من بلادهم عبر البحر وصولًا إلى الأراضي المصرية[٢]، وبعضهم يرجع السبب إلى أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب كان عند إحضار هؤلاء المماليك إلى الديار المصرية كان يسكنهم في جزيرة الروضة[٣]، ولم يكن لفظ المماليك البحرية من ابتداع السلطان نجم الدين أيوب بل هي تسمية أقدم من عهده وموجودة قبل وصوله للحكم[٤]، فقد كان يطلق على جالب المماليك أو التاجر أو الذي يقوم بتوصيلهم إلى الديار المصرية اسم (خواجة)[٥]، والمتتبع لتأسيس دولة المماليك يلحظُ كيف كان للسلطان الصالح نجم الدين أيوب دور بارز في تأسيس الممالك البحرية، راجعًا السبب لثقته العالية بالجنس التركي وتأكده من إخلاصهم وولائهم له بعدما تخلى عنه المماليك الأكراد وتمردوا عليه وانحازوا إلى أخيه في بلاد الشام، ما جعله يعتمد على العنصر التركي في كل المهام الموكلة له، والسبب الآخر أن المماليك البحرية الذين جلبهم عن طريق البحرمكان إقامتهم الذي اختاره لهم الصالح نجم الدين أيوب هو جزيرة الروضة[٦]، وكان يطلق أيضًا مسمى البحرية في العصرين الفاطمي والأيوبي[٧]، بل إن مسمى البحرية كانت أيضًا تُسمي به إحدى الفرق الصليبية المحاربة الموجودة على سواحل الشام لقتال المسلمين[٨]، وهذا يدل على

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٢٣/١٩٢).

(٢)المرجع السابق، ج٢٣/١٩٢.

(٣) المقريزي، السلوك (ج١/٤٤١)؛ وأبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٦/٢٢١).

(٤) ابن الأثير، الكامل (ج٧/٢٢٤).

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب (ج٤/٦).

(٦) ابن خلدون، العبر (ج٥/٤٣٠).

(٧) ابن الأثير، الكامل (ج٧/٢٢٤).

(٨) المرجع السابق،ج٩/٨٦.

أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب لم يكن أول من سمى المماليك البحرية، حيث إن ابن خلدون أنهى كلامه بخصوص المماليك التركية لأنهم كانوا الخيار الأفضل للسلطان الصالح نجم الدين أيوب، وأنه حرص على تأسيس جيش يكون ولاؤه بالكامل له وقادرًا على فرض الأمن والأمان[١]، حيث كانت ظروف البلاد في ذلك الوقت صعبة وكانت الخلافات تنهش في عضد الدولة، فكان لا بد من تأسيس جيش قوي يسمع ويطبق وينفذ الأوامر دون أن تكون هناك طموحات انقلابية أو أطماع سلطوية، ليس لديه نهج في الانقلابات ولا يعرف التآمر، مهمته الوحيدة فقط هي حفظ الأمن العام وحماية الثغور من الأعداء، ومع ذلك التأسيس أنشئ جيش قوي وقادر على حماية الدولة وسياستها، فبعد موت السلطان الصالح نجم الدين أيوب وحالة الفراغ السياسي والعسكري التي حدثت في البلاد من بعده كانت بمثابة الاختبار الحقيقي لقدرة المماليك على إدارة الدولة وملء الفراغ السياسي والعسكري الحاصل فيها، وأبلوا في ذلك بلاء حسنًا[٢]، وعلى الرغم من الحب الشديد الذي كان يكنه السلطان الصالح نجم الدين أيوب لمماليكه وإغداق الأموال والإقطاعيات عليهم وجعلهم بطانته وخاصة جنده، إلا أنه كان حازمًا قاسيًا في التعامل معهم ولم يتردد في فرض العقوبات الصارمة بحقهم في حال تجاوزهم القانون والصلاحيات الموكلة لهم، وكان المماليك يهابونه ويخافون منه خوفًا شديدًا، حيث كانوا لا يعصون له أمرًا ولا يجرؤون على اقتراف أي خطأ يضر في مصلحة الدولة[٣]، ولعل من أهم ما قام به السلطان الصالح نجم الدين أيوب هو زواجه من امرأتين من المماليك هما شجرة الدر[٤]والثانية بنت العالمة، حيث كان لشجرة الدر دور بارز في تحويل الحكم من الأحرار إلى المماليك، وتعد أول سلطانة في دولة المماليك[٥]، وقد نسبت المماليك الصالحية نسبة إلى

---

(١)العبر (ج٧/٦٩٢).

(٢) قاسم، الأيوبيين(ص١٢٦).

(٣) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٦/٣٣١).

(٤)**شجرة الدرّ**، الملقبة بعصمة الدين أم خليل، خوارزمية الأصل، وقيل إنها أرمينية. كانت جارية اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بمكانة عالية حتى أعتقها وتزوجها وأنجبت منه ابنها خليل الذي توفي في ٢ من صفر ٦٤٨هـ (مايو ١٢٥٠م). تولت عرش مصر لمدة ثمانين يومًا بمبايعة من المماليك وأعيان الدولة بعد وفاة السلطان الصالح أيوب، ثم تنازلت عن العرش لزوجها المعز أيبك التركماني سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م). لعبت دورًا تاريخيًا مهمًا أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر وخلال معركة المنصورة. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك (ج١/ ٤٥٩).

(٥) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٦/٣٣١).

السلطان الصالح نجم الدين أيوب[١]، وكان المماليك يسمون بأسماء أمرائهم أو سلاطينهم بالأزمان التي سبقت العصر المملوكي والعصر الأيوبي، ففي الدولة الزنكية كانت فرق عسكرية من المماليك تابعة للسلطان نور الدين زنكي وأطلق عليها المماليك النورية[٢]، وأيضًا الدولة السلجوقية وجدت مجموعات من المماليك كانت تخدم في الجيش السلجوقي وكان يطلق عليها اسم نظام الملك نسبة إلى الوزير السلجوقي، حيث أطلق عليها اسم المماليك النظامية[٣]، وكان أيضًا هناك مماليك يطلق عليها اسم المماليك البهلوانية[٤]، وفي الدولة الأيوبية تم تسمية المماليك على اسم سلطانهم وأميرهم منذ تأسيس الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي، فسميت المماليك الصلاحية نسبة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي[٥]، وأيضًا كان يطلق اسم المماليك الأسدية وذلك نسبة إلى أميرهم أسد الدين شيركوه[٦] عم السلطان صلاح الدين

---

(١) الحموي، التاريخ المنصوري (ج١/٢).

(٢) أبو شامة، الروضتين (ج٢/١٢)؛ وابن الاثير، الكامل (ج١٠/٦٧).

(٣) ابن الأثير، الكامل (ج٨/٤٨٤)؛ وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج٥/١٦).

(٤)**المماليك البهلوانية:** كانت في بلاد خرسان وخوزستان ونسبت إلى أوزبك بن بهلوان سنة ٦٠٨هـ واستطاعت تلك المماليك السيطرة على مقاليد الحكم في بلاد خرسان وخوزستان لفترات زمنية محددة وكان لها دور بارز في تلك المرحلة؛ ابن الأثير، الكامل (ج١٠/٣٥٦)؛ وابن خلدون، العبر (ج٣/٦٥٦).

(٥) الحموي، التاريخ المنصوري (ج١/١٦).

(٦)**أسد الدين شيركوه:** ولد أسد الدين شيركوه في بلدة دوين في أرمينيا سنة ٥٠٠ هجرية تقريبًا وشيركوه اسم فارسي–كردي معناه: أسد الجبل، حيث إن كلمة شير تعني أسد وكوه تعني جبل، وهو قريب من لقبة العربي وهو أسد الدين، نشأ شيركوه هو وأخوه نجم الدين أيوب والد صلاح الدين، بتكريت لما كان أبوهما شاذي نقيب قلعتها، وكان نجم الدين أسنّ من أسد الدين، ويغلب على نجم الدين العقل والحكمة والتؤدة، في حين كان أسد الدين كالشهاب الحارق لا يصبر على إساءة أو عدوان أو انتهاك حرمات وهذا ما سينقل حاله من مكان لآخر.

التحق أسد الدين وأخوه نجم الدين بخدمة الأمير 'بهروز' قائد شرطة بغداد، فأقطعهما الأمير 'بهروز' قلعة تكريت، فسارا في الناس سيرة حسنة، ووقعت حادثة سنة ٥٢٦ هجرية خلاصتها أن أسد الدين ونجم الدين قد ساعدا الأمير البطل 'عماد الدين زنكي' عندما جاء إلى تكريت منهزمًا في قتاله ضد بعض خصومه بالخلافة، حيث قدم الأخوان لعماد الدين زنكي السفن اللازمة لعبوره هو وجنوده نهر دجلة إلى مدينة 'الموصل 'وكان الأمير 'بهروز' على خلاف شديد مع 'عماد الدين زنكي' فلم يعجبه هذا الفعل من أسد الدين ونجم الدين وتربص لهما الدوائر وتحين لهما الفرصة لمعاقبتهما. كثرت التحرشات بنجم الدين وأسد الدين وأهلهم بقلعة تكريت من جانب جنود الأمير 'بهروز' حتى جاءت الفرصة التي يريدها، عندما تعرض أحد الجنود لفتاة من آل أسد الدين في الطريق واشتكت الفتاة لعمها أسد الدين، فنزل لهذا الجندي الماجن =

الأيوبي، وأيضًا أطلق اسم المماليك الناصرية نسبة إلى السلطان صلاح الدين(1).

ومن خلال تتبع أصل المماليك نجد أن المماليك هم عبارة عن رقيق بيض اشتُروا من أسواق مختلفة ومنهم الجنس التركي ومنهم الرومي ومنهم الكردي والعربي، حيث كانت هذه المماليك تشترى من شتى بقاع المعمورة، وفي المقابل كان جزء من هذه المماليك يُؤسر في الحروب، حيث كان سائدًا في ذلك العصر السبي، فكان الصبيان يسبون في الحروب ويؤخذون ويربون تربية خاصة في محاضن إسلامية تكون مهيأة ومعدة لاستقبالهم ويكون لهم مأكل خاص ومشرب خاص ومسكن خاص، ويربون على شرائع الدين الأصيل وإعدادهم ليكونوا حراسًا للعقيدة وجندًا صنديدًا مدافعًا عن حدود الدولة، حيث لعب السلطان الصالح نجم الدين دوراًأساسياً في وصول المماليك إلى سدة الحكم، والمماليك مثلهم مثل باقي الأمم، فلكل دولة فترات ازدهار وانحدار، ففي عصر ازدهارهم وقوتهم انتعشت الدولة واقتصادها، وحموا الدولة الإسلامية من خطرين كبيرين ألا وهما؛ الخطر المغولي وهزيمتهم في معركة عين جالوت، فقد صنف المؤرخون معركة عين جالوت بمثابة معركة من أشد المعارك العالمية، وتعد من المعارك الشهيرة وفق التاريخ الحربي العالمي، فكانت بمثابة انكسار لقوة همجية كانت مقبلة على اجتياح العالم وتدمير حضارته وتدمير سبل العيش في ذلك، وأيضًا أنقذت العالم الإسلامي من الخطر الصليبي وأنهت وجوده في بلاد الشام وقضت على الحلم الصليبي في دخولهم لبلاد الشام وفلسطين، ومن الواضح أن تجد بعض المؤرخين مناصرين للمماليك ومادحيهم وخاصة في عصورهم الأولى، ولكن هنالك بعض المؤرخين نقموا على المماليك وخاصة من عاصرهم في آخر عصرهم، على سبيل مثال المؤرخ ابن المكي، حيث جاء وعاصر المماليك في آخر

=

وتكلم معه بشدة فرد عليه الجندي بأن سحب عليه السلاح، فتشاجر الرجلان مشاجرة انتهت بمصرع الجندي الماجن فغضب الأمير 'بهروز' وأمر بطرد نجم الدين وأسد الدين وأهليهم من قلعة تكريت وذلك سنة ٥٣٢ هجرية وفي نفس الليلة التي ولد فيها صلاح الدين يوسف بن أيوب.

قرر الأخوان التوجه إلى أمير الموصل 'عماد الدين زنكي' والالتحاق بخدمته، فسارا إليه فأحسن استقبالهما وشكر صنيعهما معه، وضمهما لأمرائه وقادته وبالغ في إكرامهما وأقطعهما أقطاعًا حسنًا، وجعل نجم الدين واليًا على بعلبك وأسد الدين من مقدمي جيوشه، فعماد الدين زنكي كما قلنا من قبل كان خبيرًا بمعادن الرجال، بصيرًا بقدراتهم، قادرًا على توظيفهم حسب ما يبرزون ويحسنون، فرأى في نجم الدين الرجل الحكيم العاقل القادر على السياسة والقيادة، ورأى في بطلنا أسد الدين القائد العسكري الشجاع القادر على تحويل دفة الحروب بشجاعته وإقدامه. وقد لقب بهذا اللقب أحمد بن عبد اللطيف بن الصابر. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٨/٢٢٠).

(١) ابن الاثير، الكامل (ج١٠/٢١٧).

عصرهم، وكانت تعاني الدولة من الوهن والضعف والهزائم وتأخر الصناعة وضعف العلم وانعدام الأمن، وبات الاقتصاد هشًا وظهرت المجاعات وتحولت طرق التجارة، الأمر الذي أدى إلى انهيار هذه الدولة[١].

---

(١)العاصمي، سمط النجوم (ج٤/١٧).

المبحث الثاني

جهود المماليك السياسية في تحرير الأسرى

إن المسلمين أمة مثل باقي الأمم، وكما أنها خاضت الحروب ، و قامت بعمل علاقات دبلوماسية واتفاقيات سياسية مع باقي الأمم، ومن المؤكد أن المسلمين منذ فترة مبكرة من تاريخهم عرفوا العلاقات الدبلوماسية كوسيلة أساسية في سياستهم الخارجية، ومارسوها في علاقاتهم مع الدول غير الإسلامية، فقد وجد المسلمون في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أساسًا مكّنهم من الدخول في العلاقات وعقد ما يلزم من الهدن أو المعاهدات وفقًا لما تسمح به الشريعة، واستمر الخلفاء المسلمون والولاة والأمراء في ممارسة الدبلوماسية إلى جانب الجهاد سواء أكان ذلك في عهد الخلفاء الراشدين أو الأمويين أو العباسيين، مع ملاحظة أن هذه الممارسات الدبلوماسية ازدادت وتطورت مع مرور الزمن وفقًا لما اقتضت الظروف، ودولة المماليك شأنها شأن باقي الدول الإسلامية، أقامت العلاقات مع المجاورين لها وعقدت الهدن والاتفاقيات التي تأتي في مصلحة الدولة والمواطن ما يؤدي إلى الازدهار في ربوع السلطنة، ولم تكن العلاقات الدبلوماسية في ذلك الوقت بمفهومها في الوقت الحاضر بما تعنيه من سفارات وسفراء، ولكن كانت كلما تأزمت الأمور داخل الدولة،وتحتاج هذه القضايا إلى حوار أو هدنة مع العدو فكانت تتم المراسلات عن طريق الرسل[١]، وكانت مهمة الرسل تقتصر على تسليم الرسائل أو استلامها[٢]، وبحكم حالة الحرب التي كانت سائدة بين المماليك والصليبيين المحيطين بهم فمن الطبيعي أن يتخلل العلاقات المتوترة فترات من السلام تنشأ نتيجة لمفاوضات تعقبها معاهدة هدنة، كثيرًا ما أطلق على معاهدة هدنة عقد صلح[٣]، واهتم المماليك بالشروط الواجب توافرها في السفراء، حيث يجب أن تتوافر فيه الخبرة والدراية في إدارة العلاقات مع الآخرين وسبل تحقيق الأمن لتلك العلاقات والحفاظ عليها، ويجب أن تكون شخصية السفير أو الرسول تتميز بخصائص يمتلكها، كأن يكون صاحب عقل راجح وصحيح الفكرة والمزاج، ذا بيان وعارضة ولين، وأن يكون بصيرًا بمخارج الكلام وأجوبته، مؤدبًا للألفاظ عن الملك بمعانيها، صدوقًا بريئًا من الطمع، وعلى مرسله امتحانه قبل توجيهه في مقاصده، ولا يرسل

---

(١) توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين (ص١١٠).

(٢) الجرماني، كتاب التعريفات(ص٩١).

(٣) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية (ج٣٩/٢).

للملوك الأجانب إلا من اختبره بتكرير الرسائل إلى نوابه وأهل مملكته[١]، وفي بعض الأحيان تكون شروط الرسول أكثر صرامة وشدة حيث يُنتقى السفير أو الرسول بعناية فائقة، ووضعت شروط خاصة؛ فيشترط وسامة السفير، لا تقتحمه العين ولا يزدري بالخبرة، عفيف، جيد اللسان، حسن البيان، جاد البصر، ذكي القلب يفهم الإيماء، ويناظر الملوك على السواء، ويجب أن تنزاح علله فيما يحتاج إليه، حتى لا تشره نفسه إلى ما يبذل له ويدفع إليه، فإن الطمع يقطع الحجة، والرسول أمين لا أمين عليه، فيجب أن يرهن بالإحسان والاتصال عليه[٢]، ويقوم السلطان بامتحان الرسول ويعرف رأيه وموقفه في المسائل الخاصة بالحكم ومعرفة مقاصد السلطان من هذه الامتحان، ويكون الرسول ذا دراية بنوايا السلطان ومعرفة طموحاته من رسوله، وكان يُختار الرسل من كبار موظفي الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة وكبار العلماء وغيرهم[٣]، وكانت المفاوضات بالغة الأهمية، حيث تسوّى فيها الكثير من الخلافات القائمة والسعي إلى التهدئة والعمل على وضع حد للأزمات والحروب، وتشتمل على الحوارات والرد على الطرف الآخر، وتتأثر بالوضع القائم وما يحيط بها من ظروف سياسية وعسكرية واقتصادية، وتبقى وسيلة من الوسائل لإيجاد حلول لحالة الصراع والمشاكل القائمة بين الدول[٤]، وكانت الجهود السياسية المتمثلة بالمفاوضات من أهم شروط نجاحها، ومن أهم مطالبها هو إطلاق سراح الأسرى الموجودين عند العدو، ففي عام (٥٨٨هـ/١١٩١م)، وقع السلطان صلاح الدين الأيوبي، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، إبان أحداث الحملة الصليبية الثالثة على اتفاقية صلح الرملة* واستمرت المفاوضات حتى في وقت القتال، ما أدى بالملك ريتشارد قلب الأسد إلى أن يرسل رسولًا إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي لعقد جلسة خاصة، دون سابق إنذار أو تحضير، فرد عليه السلطان صلاح الدين الأيوبي بذكاء معتذرًا عن هذا الاحتجاج مطالبًا بصيغة جديدة بقوله: "الملوك لا يجتهدون إلا عن قاعدة، وما يحسن الحرب منهم بعد الاجتماع والمؤاكلة"[٥]، ثم عقد الصلح والهدنة بين ريتشارد قلب الأسد ممثلًا عن الصليبيين، والملك العادل ممثلًا عن المسلمين بتكليف من السلطان صلاح الدين الأيوبي، ونصت الاتفاقية

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى (ج١/١١٦).

(٢) ابن الغراء، كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة(ص٣٥).

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى (ج١/١١٦).

(٤) الخطيب، الدبلوماسية والمفاوضة في الصراعات الدولية(مج٥/٦٧).

(٥)ابن شداد، النوادر السلطانية(ص١٦٣)؛ والعماد الأصفهاني، الفتح القسي (ص٥٠١).

على أن يستقر بيد الصليبيين يافا[١] وعملها، وقيسارية وعكا، وحيفا وعملها، وأن تكون عسقلان خرابًا، وأن تكون اللد[٢] والرملة[٣] خاضعتين بين الصليبيين

---

(١)**يافا**: بالفاء والقصر مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا في الإقليم الثالث طولها من جهة المغرب ست وخمسون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة، قال ابن بطلان في رسالته التي كتبها في سنة ٢٤٤ ويافا بلد قحط والمولود فيها قل أن يعيش حتى لا يوجد فيها معلم للصبيان افتتحها صلاح الدين عند فتحه الساحل في سنة ٣٨٥ ثم استولى عليها الإفرنج في سنة ٧٨٥ ثم استعادها منهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة ٣٩٥ وخربها وربما نسب إليها يافوني ينسب إليها أبو العباس محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عمير اليافوني قال الحافظ أبو القاسم سمع بدمشق صفوان بن صالح وبفلسطين يزيد بن خالد بن موشل وعمران بن هارون الرملي ويزيد بن خالد بن عبد الله بن موهب وإسماعيل بن خالد المقدسي وأبا عبد الله محمد بن مخلد المسبحي وأبا موسى عيسى بن يونس الفاخوري وإسماعيل بن عباد الأرسوفي وغيرهم روى عنه سليمان بن أحمد الطبراني وأبو بكر أحمد بن أبي نصر معروف بن أبان بن إسماعيل التميمي حدث بيافا عن عمران بن هارون الرملي روى عنه أبو القاسم الطبراني سمع منه بيافا وأبو طاهر عبد الواحد بن عبد الجبار اليافوني روى عنه أحمد بن القاسم بن معروف أبو بكر التميمي السامري ساكن دمشق يافع أظنه موضعا باليمن ينسب إليه القاضي أبو بكر اليافعي اليمني قاضي الجند صنف كتابا في النحو سماه المفتاح ياق.الحموي،معجم البلدان (ج٥/ ٤٢٦).

(٢)**اللد**: الموقع الجغرافي: تقع اللد على مسافة ١٦ كم جنوبي شرق يافا وأقل من ٥ كم شمالي شرق الرملة. وموقعها الجغرافي مهم جدًا. فهي ظهور شرقي لميناء يافا وبوابة غربية لمدينة القدس، وتوأم لمدينة الرملة. ولذا كانت، وما تزال، عقدة مواصلات عظيمة الأهمية. فقد تعاقبت عليها أمم شتى للاستفادة من موقفها الاستراتيجي في السيطرة على المنطقة الساحلية من جهة، وللانطلاق إلى المنطقة الجبلية وغيرها من المناطق الداخلية من جهة أخرى. وكانت محطة للقوافل التجارية منذ أقدم الأزمنة. وهي اليوم عقدة مواصلات برية تلتقي عندها خطوط السكك الحديدية والطرق المعبدة. فمحطة اللد للسكة الحديدية تبعد عن محطة يافا ١١١كم، وعن محطة القدس ٥٠ كم، وعن محطة بئر السبع ١٠٠ كم. كما أنشأت فيها سلطة الانتداب البريطاني أكبر مطار في فلسطين. ب- الموضع: تقوم مدينة اللد فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي* الفلسطيني ترتفع نحو ٥٠ م عن سطح البحر. وتتألف أرضية المدينة من تكوينات صخرية رسوبية حديثة النشأة أهمها الطَفَل الطميي والطفل الرملي. وتسود التربةالحمراء البنية الون التي تنتمي إلى مجموعة ترب البحر المتوسط الحمراء في السهل الساحلي الفلسطيني. وحول اللد أيضًا التربة الطميية البنية اللون التي ساهمت مياه الأمطار والأودية في نقلها من المرتفعات الجبلية في الشرق إلى سطح أراضي اللد.الدباغ، بلادنا فلسطين (ج٤/٢٥).

(٣) **الرملة**: ورملة بني وبر في أرض نجد ينسب إلى وبر بن الأضبط بن كلاب فأما رملة فلسطين فبينها وبين البيت المقدس ثمانية عشرة يوما وهي كورة من فلسطين وكانت دار ملك داود وسليمان ورحبعم بن سليمان ولما ولي الوليد بن عبد الملك وولى أخاه سليمان جند فلسطين نزل لد ثم نزل الرملة ومصرها وكان أول ما بنى فيها قصره ودارا تعرف بدار الصباغين واختط المسجد وبناه وذكر البشاري أن السبب في عمارته =

والمسلمين[1] وإطلاق سراح الأسرى من الجانبين، وقام السلطان صلاح الدين الأيوبي بتوجيه النداء في المعسكرات والأسواق: "ألا إن الصلح قد انتظم، فمن شاء من بلادهم أن يدخل في بلادنا فليفعل، ومن شاء من بلادنا أن يدخل بلادهم، فليفعل[2].

واستمرت الجهود الدبلوماسية بين المماليك وباقي الممالك الأخرى وعقد التحالفات، حيث يشعر السلطان الظاهر بيبرس بالخطر القائم من تحالف الصليبيين مع المغول وخاصة بعد الوضع السيئ للمغول بعد هزيمتهم في معركة عين جالوت[3] والوضع المتدهور للإمارات =

لها أنه كان له كاتب يقال له ابن بطريق سأل أهل لد جارا كان للكنيسة أن يعطوه إياه ويبني فيه منزلًا له فأبوا عليه فقال والله لأخربنها يعني الكنيسة ثم قال لسليمان إن أمير المؤمنين يعني عبد الملك بنى في مسجد بيت المقدس على هذه الصخرة قبة فعرف له ذلك وإن الوليد بنى مسجد دمشق فعرف له ذلك فلو بنيت مسجدًا ومدينة ونقلت الناس إلى المدينة فبنى مدينة الرملة ومسجدها فكان ذلك سبب خراب لد فلما مات الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان موضعها فسليمان اختطها وصار موضع بلد رملة بعد الصباغين آبارًا عذبة ولم تكن الرملة قبل سليمان بن عبد الملك أذن للناس أن يبنوا فبنوا مدينة الرملة واحتفر لهم القناة التي تدعى بردة واحتفر أيضًا آبارًا عذبة وصارت بعد ذلك لورثة صالح بن علي لأنها قبضت مع أموال بني أمية وكان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة وقناتها فلما استخلف بنو العباس أنفقوا عليها أيضًا وكان الأمر في تلك النفقة يخرج في كل سنة من خليفة بعد خليفة فلما استخلف المعتصم أسجل بذلك سجلا، فانقطع الاستئمار وصارت النفقة يحتسب بها للعمال وشربهم من الآبار الملحة والمترفون لهم بها صهاريج مقفلة وكانت أكثر البلاد صهاريج مع كثرة الفواكه وصحة الهواء واستنقذها صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٣٨٥ من الإفرنج وخربها خوفاً من استيلاء الإفرنج عليها مرة أخرى.الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٦٩).

(١)المرجع السابق، ص١٦٤.

(٢)المرجع نفسه، ص ١٨٠.

(٣)**وقعة عين جالوت:** وكسرة التتار عليها يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة: ولما استولت التتار على البلاد الشامية وضايقوا الممالك الإسلامية، ولم يبق من يدفعهم عن العباد والبلاد إلا عسكر الديار المصرية، اتفق السلطان الملك المظفر قطز مع الأمراء، والأكابر على تجهيز العساكر، وصمموا على لقاء العدو المخذول، وجمعوا الفرسان والرجالة من العربان وغيرهم، وخرجوا من القاهرة بأعظم أبهة.

وكانت التتار في أرض البقاع، فساروا صحبة مقدّمهم كتبغانوين، فكان الملتقى بمنزلة عين جالوت في مرج بنى عارم، فلما التقى الجمعان حمل السلطان الملك المظفر بنفسه، وألقى خوذته على رأسه، وحملت الأمراء البحرية والعساكر المصرية حملة صادقة، فكسروهم أشد كسرة، وقتل كتبغانوين في المعركة. وقتل بعده السعيد بن الملك العزيز لأنه وافقه في هذه الحركة، وكان قد أخذ من هلاون فرمانًا باستمراره على ما بيده من البلاد وهي الصبية وأعمالها وزيادة عليها، وحضر مع كتبغانوين الوقعة، فلما انكسر وأحضر إلى =

الصليبية، حيث حرَّض الصليبيون المغول على غزو بلاد الشام واستجاب المغول لهذا التحريض بالاعتداء على بلدة البيرة، ولكن سرعان ما انسحبت هذه القوات فور وصول الأخبار إليها بقدوم الجيش الإسلامي[١]، فقرر السلطان الظاهر بيبرس أن يشتت تحالف المغول والصليبيين كي لا يقاتل على جبهتين بعيدتين، فقد تحالف مع بركة خان[٢] زعيم القبيلة الذهبية مغول القفجاق، الذي كان قد اعتنق الإسلام واشتهر بعدائه لمغول فارس وزعيمهم هولاكو خان،

=

المظفر مستأمنًا فقال له: كان هذا يكون لو حضرت قبل الوقعة، وأما الآن فلا، وأمر به فقتل صبرًا. وقتل أكثر التتار، وجهزت خيل الطلب وراء من هم بالفرار، وكان المقدم عليها الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، فتبع المنهزمين وأتى عليهم قتلًا وأسرًا حتى استأصل شأفتهم، فلم يفلت أحد منهم، وصادفت طائفة من التتار جاءت من عند هلاون مددًا لكتبغا، فلما وصلت هذه النجدة إلى بلد حمص صادفت التتار منهزمين على أسوأ الأحوال، والخيول تجول في طلبهم كل مجال، فلم تمكنهم الهزيمة، فكانوا للسيوف غنيمة، وكانت عدتهم ألفين، فلم يبق لهم أثر ولا عين.

وكان أيضًا في صحبة التتار الملك الأشرف موسى صاحب حمص، ففارقهم وطلب الأمان من السلطان الملك المظفر، فآمنه ووصل إليه فأكرمه وأقره على ما بيده وهي حمص ومضافاتها.

ومما اتفق في هذه الوقعة أن الصبى الذي استبقاه السلطان الملك المظفر من التتار المرسلين إليه من عند كتبغا، وأضافه إلى المماليك السلطانية، كما ذكرناه، كان راكبًا وراءه حال اللقاء، فلما التحم القتال كيزسهما وفوقه نحو المظفر، فبصر به بعض من كان حوله، فأمسك وقتل مكانه، فكان كما قيل: واحذر شرارة من أطفأت جمرته.. فالثأر غض لو بُقِّي إلى حين وفي تاريخ النويري: ضرب ذلك الشاب السلطان بسهم فلم يخطئ فرسه فوقعت، وبقى السلطان على الأرض، فنزل فخر الدين عن فرسه وقدمه إلى السلطان فركب، ثم حضرت الجنائب السلطانية فركب فخر الدين منها. ثم لما فرغ السلطان من كسر التتار، وانقضى أمر المصاف، أحسن إلى الملك المنصور صاحب حماة، وأقره على حماة وبارين وأعاد عليه المعرة، وكانت في أيدى الحلبيين من سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأخذ السلمية منه وأعطاها للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب. العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ج١/٦١).

(١) علي، حسن المناقب السري (ص ص٨٧–٨٨).

(٢)بركة خان: فاستمر توشى خان بها إلى أن مات، فملك بعده ابنه باطوخان وقيل إن توشى خان مات في حياة جنكزخان، والله أعلم. فدام باطوخان في الملك إلى أن مات سنة خمسين وستمائة، فولى بعده أخوه صرطق، فدام إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة فمات، فملك بعده أخوه بركة، وأسلم بركة المذكور على يد الشيخ شمس الدين الباخرزي الحنفي، وحمل قومه على الإسلام وبنى المساجد والمدارس في جميع أعماله، ودام في الملك إلى أن حدثت بينه وبين قبلاي بن طولي بن جنكز خان فتنة انتزع فيها بركة من الملك، وولى عليها ابن أخيه سرخاد بن باجر، ثم قتله لممالات عمه هولاكو إليه، وولى ملكه خاله، فزحف إليه هولاكو وحاربه على نهر إتل سنة ستين، ومات بعدها سنة ثلاث وستين، وولى بعده ابنه أبغا بن هولاكو فسار لحربه بركة، فلم ينتج أمره، ومات بركة سنة خمس وستين وستمائة. أبو المحاسن، المنهل الصافي (ج١/٣٣١).

ففي سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) كتب السلطان الظاهر بيبرس إلى بركة خان، يطالبه بجهاد الكفار بحكم أنه مسلم[١]، وكان رد بركة خان بأنه محب للإسلام وأن هولاكو قد تعدى على أهل الإسلام ودمر ديارهم، فأرى أن تقصده أنت من جهتك، وأقصده من جهتي ونضربه ضربة واحدة فنقتله أو نجليه عن بلاد المسلمين التي احتلها[٢]، وبذلك حقق السلطان الظاهر بيبرس هدفه، بانشغال هولاكو عن التحالف مع الصليبيين، وقد حدثت معارك كبيرة بين هولاكو وبركة خان واتصل أيضًا بركة خان بسلطان بسلاجقة الروم لطلب المساعدة ضد هولاكو[٣]، وأدى ذلك الحلف إلى هروب كثير من مغول فارس إلى بلاد الشام ومصر، وذلك نتيجة لما سمعوه عن الدين الإسلامي وعن سماحته وحسن معاملتهم للوافدين، الذي كان السلطان الظاهر بيبرس يقدمه لهم[٤]، وقام السلطان الظاهر بيبرس بالاتصال مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوفي الثامن، حيث كان حريصًا على التحالف مع المسلمين، ففي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٠م) وصلت رسالة من الإمبراطور البيزنطي إلى السلطان الظاهر بيبرس أنه جاهز لمساعدته قدر ما يستطيع الوصول إليه حسب السلطة المسموحة له[٥]، وكان السلطان الظاهر بيبرس حريصًا على بقاء التواصل مع الإمبراطور البيزنطي كي لا يقوم إلى تحالف بين البيزنطيين والإمارات الصليبية الموجودة في بلاد الشام حتى يتسنى للسلطان الظاهر التحالف في هذه الإمارات واحدة تلو الأخرى دون تدخل الإمبراطورية البيزنطية في ذلك، ومن الواضح أن السلطان الظاهر بيبرس استفاد من حالة العداء الموجودة بين الإمبراطور البيزنطي والإمارات الصليبية.

لقد لعب السلطان الظاهر بيبرس دور الوسيط بين الإمبراطورية البيزنطية من جهة وبركة خان زعيم المغول القفجاق من جهة أخرى، حيث كانت الإمبراطورية البيزنطية تتعرض بين الفترة والأخرى لغارات مغول القبيلة الذهبية، ففي سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٤م)، قام الإمبراطور البيزنطي باعتراض رسل السلطان الظاهر بيبرس الذين كانوا متجهين إلى أرض السلطان بركة خان، وأرسل رسالة إلى السلطان الظاهر يذكره بالتحالف الذي بين السلطان والإمبراطور ويطالب السلطان الظاهر بالتدخل لدى بركة خان زعيم القبيلة الذهبية لكفّ الأذى عن البيزنطيين، فكتب السلطان بيبرس إلى بركة خان بكفّ الأذى عن الدولة البيزنطية، فبادر

---

(١) المقريزي، السلوك (ج١/٤٦٥).

(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج٢/١٩٥).

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص١٧١).

(٤) المقريزي، السلوك (ج١/٤٧٣).

(٥) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص٨٨).

الإمبراطور البيزنطي بإطلاق سراح الأسرى المسلمين لديه والإحسان إليهم[1]، وقد استطاع السلطان الظاهر بيبرس بجهوده الدبلوماسية إطلاق سراح الأسرى المسلمين من الرسل عند الدولة البيزنطية، وجهد نشاط المغول في بلاد الشام، وحرم الصليبيين من حقهم المسيحي الممثل بالدولة البيزنطية وقطع عنهم أي مساعدات خارجية، وقد تمتع السلطان الظاهر بيبرس بقوة كبيرة، حيث أصبحت كل الإمارات الصليبية تحسب له ألف حساب وتخطب ودّه، ففي سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٦م) خرج السلطان بيبرس من مصر ومعه صاحب حماة الملك المنصور على رأس عدد كبير من القوات، ونزل الجيش في غزة[2]، فخاف الصليبيون من هذا التحرك، وسارعوا بإرسال رسلهم إلى السلطان الظاهر بيبرس وهو في غزة، ومعهم الهدايا وعدد كبير من أسرى المسلمين[3]، واستمر السلطان الظاهر بيبرس في إنهاك قوى الصليبيين حتى صار مجلس السلطان لا يخلو من رسل الصليبيين الطالبين للهدنة، حيث أجاب طلب البعض ورفض طلب البعض الآخر، فقد وافق السلطان الظاهر بيبرس في سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٧م) على عقد

---

(١)ابن علي، حسن المناقب السرية (ص٧٩).

(٢)**غزة**: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه في الإقليم الثالث طولها من جهة المغرب أربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وفي كتاب المهلبي أن غزة والرملة من الإقليم الرابع، قال أبو زيد العرب تقول قد غز فلان بفلان واغتز به إذا اختصه من بين أصحابه، وغزة مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان قال أبو المنذر غزة كانت امرأة صور الذي بنى صور مدينة الساحل قريبة من البحر وإياها أراد الشاعر بقوله ميت بردمان وميت بسل مان وميت عند غزات وقال أبو ذؤيب الهذلي فما فضلة من أذرعات هوت بها مذكرة عنس كهازئة الضحل سلافة راح ضمنتها إداوة مقيرة ردف لمؤخرة الرحل تزودها من أهل بصرى وغزة على جسرة مرفوعة الذيل والكفل بأطيب من فيها إذا جئت طارقًا ولم يتبين صادق الأفق المجلي وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ وبها قبره ولذلك يقال لها غزة هاشم، قال أبو نواس وأصبحن قد فوزن من أرض فطرس وهن عن البيت المقدس زور طوالب بالركبان غزة هاشم وبالفرما من حاجهن شقور وقال أحمد بن يحيى بن جابر مات هاشم بغزة وعمره خمس وعشرون سنة وذلك الثابت ويقال عشرون سنة، وقال مطرود بن كعب الخزاعي يرثيه: مات الندى بالشام لما أن ثوى فيه بغزة هاشم لا يبعد لا يبعدن رب الفناء يعوده عود السقيم يجود بين العود محقانة ردم لمن ينتابه والنصر منه باللسان وباليد، وبها ولد الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ وانتقل طفلاً إلى الحجاز فأقام وتعلم العلم هناك ويروى له يذكرها وإني لمشتاق إلى أرض غزة وإن خانني بعد التفرق كتماني. الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٠٢).

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص٢٨٠)؛ والمقريزي، السلوك (ج١/١٨٠).

الصلح مع مدينة صور[١]، حيث نصت الشروط على أن يدفعوا دية لغلام سبق له أن قُتل في صور، ثم عقد صلح مع الإسبتارية على حصن الأكراد والمرقب[٢]، ثم مع ملكة بيروت التي اتُفِق بينها وبين السلطان الظاهر بيبرس على أن تطلق سراح الأسرى المسلمين البحارة الموجودين عندها التي غدر بهم أخوها، وأن تقوم بإرجاع أموال هؤلاء التجار ودفع ثمن مراكبهم التي خربوها، فوافقت على شروط السلطان الظاهر بيبرس وتم عقد الصلح على هذه الشروط[٣]. وقد بينت هذه الاتفاقية مدى القوة التي وصل إليها المسلمون ومدى الضعف الذي وصل إليه الصليبيون[٤]، حيث قام السلطان بوضع شروط الاتفاقية كافة، واكتفى الصليبيون بالتوقيع عليها فقط، ونصت على أن تكون مدة الاتفاقية عشر سنين وعشرة أيام وعشر ساعات تبدأ من يوم الإثنين الرابع من رمضان سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، وتستمر حتى في حال موت أحد الموقعين عليها ويلزم بها خليفته، وتكون كلمة الفصل في أمر سكان هذه البلاد بما يختص بالحبس والإطلاق والجباية، عن طريق تعيين نائب من قبل السلطان بيبرس ونائب من قبل الإسبتارية، فإن كانوا مسلمين كان الحكم بالشريعة الإسلامية، وإن كانوا مسيحيين كان الحكم بالشريعة المسيحية، وقد ناصفت البلاد مناصفة بين المسلمين والمسيحيين[٥]، وكما هو الحال كانت بعض المساعي الدبلوماسية تنجح في عقد الاتفاقيات وتسهم في إطلاق سراح الأسرى، ولكن في حالات أخرى يتعنت المفاوضون دون حصول الأسرى على حريتهم، مثلما حصل حين طلب الصليبيون في عكا الصلح مع السلطان الظاهر بيبرس، عن طريق ملك قبرص "هيومن الثالث"، ولكن تعنُّت الصليبيين حال دون توقيع هذه الاتفاقية التي نصت على اعتراف السلطان

---

(١)**صور**: وهي مدينة السواحل، وبها دار الصناعة، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم، وهي حصينة جليلة، وأهلها أخلاط من الناس. اليعقوبي، البلدان (ج١/٣٨).

(٢)**حصن المرقب**، وهو من الحصون العظيمة يماثل حصن الكرك. ومبناه على جبل شامخ، وخارجه ربض ينزله الغرباء، ولا يدخلون قلعته. وافتتحه من أيدي الروم الملك المنصور قلاوون، وعليه ولد ابنه الملك الناصر. وكان قاضيه برهان الدين المصري من أفاضل القضاة وكرمائهم، ثم سافرت إلى الجبل الأقرع وهو أعلى جبل بالشام وأول ما يظهر منها من البحر، وسكانه التركمان. وفيه العيون والأنهار. وسافرت منه إلى جبل لبنان، وهو من أخصب جبال الدنيا، فيه أصناف الفواكه وعيون الماء والظلال الوافرة، ولا يخلوا من المنقطعين إلى الله تعالى والزهاد والصالحين، وهو شهير بذلك. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (ج١/٣٦).

(٣) العيني، عقد الجمان (ج٢/٥٣٧).

(٤) سرور، دولة الظاهر بيبرس (ص٧٦).

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى (ج١٤/٣١-٣٨).

الظاهر بيبرس للصليبيين بملكهم على عكا وما يحيطها من بلاد، وهي عبارة عن إحدى وثلاثين ضيعة، وبقية بلادها مناصفة بين الصليبيين والمسلمين، وأن يعترف السلطان الظاهر بيبرس بحيفا وثلاث ضياع معها، ونصف الكرمل، وعتليت، وأن يترك الصليبيون للمسلمين النصف الثاني من حيفا وعتليت، وأن تكون مدة الهدنة عشر سنوات، ولا ينقضها أي شخص قادم من الخارج، وأكدت الاتفاقية ضرورة إطلاق سراح الأسرى وأن تدخل قبرص وأراضي الإسماعيلية ضمن هذه الاتفاقية، ولكن لم يتم التوقيع عليها بسبب رفض الصليبيين لبعض شروطها في سنة (٦٦٦هـ/١٢٦٨م)[١].

واستمرت سياسة المماليك في المضي بإطلاق سراح الأسرى الجهود الدبلوماسية، حيث طلب صاحب بلاد الأرمن، هيثوم الأول الصلح من السلطان الظاهر بيبرس، فرد عليه السلطان بأن يدخل هيثوم الأول تحت طاعة السلطان الظاهر بيبرس، وأن تدفع الجزية لبلاد المسلمين، ويفتح طريق الدروب أمام القوات المملوكية، وأن يؤمن طريق التجارة بين أراضي الصغرى وبلاد الشام، لتمكين الناس من شراء حاجاتهم وأقواتهم من القمح والشعير والخيل والحديد من بلاد الأرض[٢]، لكن تعنت هيثوم الأول في المفاوضات من جهة ووقوفه مع المغول من جهة أخرى أدى إلى فشل المفاوضات، وخرج إلى المغول يطلب المساعدة منهم في صد أي هجوم إسلامي عليه بسبب فشل المفاوضات[٣]، وفي هذه الأثناء قام السلطان الظاهر بيبرس بالهجوم على بلاد الأرمن مستغلًا عدم وجود هيثوم الأول فيها، فسيطر عليها وخربها، وفي عام (٦٦٤هـ/١٢٦٦م) وقع الكثير من الجيش الأرمني في الأسر وقتل عدد كبير منهم حتى وقع ليون ابن هيثوم الأول نفسه في الأسر في يد القوات الإسلامية[٤]، واستولى الجيش الإسلامي على غنائم كثيرة لدرجة أنه لم يجد أحد يشتريها بسبب كثرتها، ووقع في المعركة نحو أربعين ألف أسير، وحين علم هيثوم الأول بما حل في بلاده عاد إليها مسرعًا ومعه جماعة صغيرة من المغول، ولكن كانت الأمور منتهية وولي عهده أسير وبلاده مدمرة، فاضطر إلى أن يعقد الصلح مع السلطان الظاهر بيبرس، وتنص الاتفاقية على أن يتنازل هيثوم الأول لبيبرس عن بعض القلاع التي في حوزته، وأن يفصل نهر جيحان بين بلاد المسلمين وبلاد الأرمن، وأن

---

(١) الظاهر، الروض الزاهر (ص٣٣٣).

(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (ص٣٢٥).

(٣) المرجع السابق، ص٣٢٥.

(٤) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص٢٧٠).

يُطلق سراح الأمير شمس الدين سنقر مقابل إطلاق سراح ليون ولي عهد هيثوم الأول[١]، وقد أُطلق سراح الأسرى وانتهت هذه الاتفاقية لصالح المسلمين، حيث فسر هيثوم الأول كل شيء حتى أنه لم يستمر في الحكم واعتزل السياسة وسلم الحكم إلى ولي عهده الذي قام المسلمون بفك أسره بعدما وقع أسيرا في أيديهم، وأصبح ليون هو الحاكم لبلاد الأرمن بعد والده هيثوم الأول في عام (٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، ولم تنهض مملكة أرمينيا من كبوتها مطلقًا، ولم يعد بوسعها إلا أن تحاول البقاء في هذا الوسط السياسي الصعب.

استمر السلطان المنصور قلاوون[٢] على نهج السلطان الظاهر بيبرس، وعقد اتفاقية صلح مع الصليبيين في عام (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) لمدة عشر سنين، ولكن اعتراضهم لعدد من التجار المسلمين جدّد مخاوف السلطان المنصور قلاوون فجدد الحرب عليهم، فتوسل الصليبيون من السلطان إعادة الصلح فوافق السلطان على ذلك حتى يحافظ على جنوده، وبسبب حصانة الدفاعات الصليبية[٣]، فأُطلق سراح أسرى المسلمين وسُمح للصليبيين بالانسحاب تحت حماية جند السلطان[٤]، ولما فرغ السلطان المنصور قلاوون من أمر حصن المرقب انطلق لتأديب الصليبيين الذين خرقوا الاتفاقيات السابقة الموقعة مع السلطان الظاهر بيبرس وأمدوا صاحب حصن المرقب بالإمدادات وإعادة ترميم الحصن وخاصة الملك بوهميند أمير طرابلس، الذي وفر المساعدات للإسبتارية في حصن مرقب، وكان نواب السلطان المرابطون بحصن الأكراد بعد أن عجزوا عن منع الصليبيين من بنائه، قد أقاموا برجًا بالقرب منه، وجعلوا خمسين رجلًا يتناوبون عليه، حيث قرر السلطان انتزاع هذا الحصن من الصليبيين بالقوة، وأنه لا يمكن أن يحاصر هذا الحصن لوجوده داخل البحر، فاستخدم السلطان المنصور قلاوون سياسية الوعيد والتخويف، وأرسل إلى أمير طرابلس بوهميند يتوعده بقوله: "إن العساكر قد تفرقت وما بقي لها إلا أنت، وهذا البرج أنت الذي عمرته في الحقيقة، ولولا الجهود التي

---

(١)المرجع السابق، ص ٢٢٩.

(٢)**الأشرف ابن قلاوون** (٦٦٦-٦٩٣هـ = ١٢٦٨-١٢٩٤م)، ولي بعد وفاة أبيه (سنة ٦٨٩ هـ) واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج، فاسترد منهم عكة وصورا وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل، وتوغل في الداخل. وكان شجاعا مهيبا عالي الهمة جوادا، له آثار عمرانية، وللشعراء أماديح فيه. قتله بعض المماليك غيلة بمصر. الزركلي، الاعلام (ج٢/ ٣٢١).

(٣) أبو الفداء، المختصر (ج٤/٢١).

(٤) الدوادار، زبدة الفكرة(ص٦٨٤)؛ وابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور(ص٧٧)؛والمقريزي، السلوك (ج١/٧٢٨).

قدمتها لهم لما بني هذا الحصن، وأنت الملام على ذلك، فإما أن تقوم بهدمه، وإلا أخذنا قبالته من بلادك، لا ينفعك في الدفع عنه صاحب حصن مرقية، وتندم حيث لا ينفع الندم، ويكشف الغطاء"، فأيقن بوهيمند من عزم السلطان المنصور قلاوون على مهاجمة بلاده، فأجاب إلى تسليم الحصن للمسلمين بعد هدمه، وأرسل رسولًا من أعيان أصحابه ليتولى هدمه، وأطلق سراح المسلمين الذين كانوا في الأسر، وأرضى صاحبه "بارتليموا" بمبلغ من المال وملّكه بعض الضياع، وبعث إلى السلطان قلاوون بهدية، وصالحه على ألا يترك عنده أسيراً ولا يتعرض لتاجر ولا يقطع الطريق على مسافر، وكلف السلطان أحد أمرائه بالمشاركة في الهدم فهدم حصن مرقية حجرًا حجرًا[١].

استمرت الجهود التي قام بها سلاطين المماليك في كسر قيد الأسرى، وبدلوا في ذلك الكثير من الجهود الدبلوماسية، بداية من السلطان الظاهر بيبرس وحتى آخر سلاطين دولة المماليك، حيث كانت هذه الدولة تقدس حياة الإنسان المسلم وتحرص كل الحرص على الحفاظ عليه وعلى كرامته، حيث كانت تبذل الغالي والنفيس من أجل عودة الأسرى، ومارست جميع السبل السياسية منها والعسكرية تارة أخرى والفدية بالمال مرة أخرى وبالمحايلة على العدو واستخراج الأسرى بطرق بطولية يقوم بها بعض الأفراد وبعض العلماء وبعض أفراد العامة، ولم تنسَ هذه الدولة أسراها في أي حال من الأحوال، فكيف تتساهم وهم من جنودها الأخيار الذين إما سقطوا أسرى في معركة أو قُبض عليهم عند ثغور الوطن أو في مراكبهم البحرية أو في القوافل التجارية! فكانت الجهود الدبلوماسية في ذلك المجال واضحة جلية للعيان، فلم تنسَ الدولة رعاياها المسلمين الأسرى وعملت على إخراجهم.

(١) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور (ص ص ٨٩-٩٠)؛ والمقريزي، السلوك (ج١/٤٧٦).

المبحث الثالث

جهود المماليك العسكرية في تحرير الأسرى

جاءت دولة سلاطين المماليك إلى الحكم لتجد نفسها محاطة بالأعداء من كل جانب، فالصليبيون في بلاد الشام وفلسطين، والمغول يدمرون حضارة الخلافة بغداد، فكان حملهم ثقيلًا ولا بد لهم من العمل على توحيد جبهة المسلمين انطلاقًا من أنهم الورثة لحركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين التي قادها عماد الدين زنكيوابنه نور الدين محمود وصلاح الدين من بعدهما، حيث كانت هذه الحركة تمثل صحوة إسلامية الهدف الأساس منها استعادة العالم الإسلامي من صمته المطبق ومن سباته ونومه العميق الذي بدوره جرأ قادة أوروبا فأرسلوا الحملات الصليبية وسيطروا على أجزاء من البلاد الإسلامية، وجاء المغول واستغلوا ضعف الدولة الإسلامية ممثلة بالخلافة الإسلامية العباسية فدمرها المغول وقضوا على الخلافة، فكان لابد لدولة المماليك من تحمل مسؤولياتها والذود عن حياض الدولة الإسلامية وحفظ ممتلكاتها والجهاد في سبيل الله لحفظ المسلمين وحفظ ديارهم وأموالهم وأولادهم، فكان الجهاد في ذلك الوقت فرض عين على كل مسلم، وقد أكد ذلك السلطان الظاهر بيبرس عند تعيينه سلطانًا، حيث ذكر في كتاب التقليد سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م)، أن الجهاد أضحى على الأمة فرضًا[(١)]، وكذلك رسالة السلطان الظاهر بيبرس إلى بركة خان (خاقان المغول) حينما علم أنه اعتنق الإسلام، كتب إليه في سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) يحرضه على جهاد ابن عمه هولاكو وأن عليه واجب الجهاد ضد هولاكو؛ لأنه مسلم والجهاد ركن من أركان الإسلام[(٢)]، وكان الظاهر بيبرس عندما يخرج الحجاج إلى الديار المقدسة يجهزهم للجهاد في سبيل الله[(٣)]، فكان سلاطين المماليك يعدّون الجهاد والحج مقترنان؛ حيث إن الجهاد واجب على المسلم المستطيع شأنه في ذلك شأن الحج، وإلى جانب ذلك اهتم المماليك في ذلك واهتموا في الجهاد بالغ الاهتمام ودفعوا المسلمين إلى الجهاد بالسبل كافة، وما كان لإحياء الخلافة العباسية من هدف إلا إعطاء الدولة شرعية الجهاد، وكان سلاطين المماليك لا تخلو مجالسهم من ذكر الجهاد في سبيل الله وتحريض الأمراء عليه، حيث تورد المصادر التاريخية أن السلطان المظفر قطز كان يحث

---

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص١٠٧)؛ والقلقشندي، مآثر الأناقة (ج٣/٢٧).

(٢) اليافعي، جامع التواريخ المصرية(ص١٦٥).

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص ص٣٥٦-٣٥٧).

أمراءه المترددين معه على ملاقاة المغول في عين جالوت، حيث قال لهم: إنكم من بيت مال المسلمين منذ زمن وأنتم الآن إلى الجهاد والغزاة كارهون، وها أنا الآن متوجه للقاء العدو، فمن أراد أن يكون من المجاهدين فليخرج معي، فمن أراد غير ذلك فليعُد إلى بيته؛ لأن الله مطلع عليه وعلى خطيئته ودماء المسلمين وحريمهم في رقبة المتأخرين[١]، ما كان له الأثر البالغ في استفزاز الأمراء وإجماعهم على الخروج لملاقاة العدو، وذكّرهم بالهزائم التي حلت بالأقاليم المسلمة التي غزاها المغول، وكيف عمل السيف بهم، فكانوا بين قتيل وشريد وأسير، وأن هذا حالهم إن لم يخرجوا لقتال العدو، وخوّفهم من عقاب الله لهم إن تخلّفوا عن الجهاد[٢]، واستخدم المماليك كل السبل لتأجيج جذوة الجهاد في نفوس المسلمين، فاستنفروا خطباء المساجد للدعاء للجيوش بالنصر وتحريض المسلمين على الجهاد، وتذكيرهم بما للجهاد من أثر كبير في الحفاظ على المسلمين ودولتهم وأبنائهم وبناتهم ونسائهم، ففي سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م) أثناء حصار المسلمين لصفد، قام خطيب دمشق بعد خطبة الجمعة بالدعاء للمجاهدين ودعوة الناس للدعاء للمجاهدين في سبيل الله وخشع المسلمون واستجاب الله لهم[٣]، وفي سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) حينما عزم المغول على مهاجمة أهالي الشام، خطب الخطباء لتحريض الناس على الجهاد في جميع الصلوات، ودعوا للمجاهدين بالنصر[٤]، وعندما حاصر السلطان المنصور قلاوون الصليبيين بعكا لما فعلوه من قطع الطريق على المسلمين في البر والبحر، استنفر السلطان الخطباء والأمة لتحريض الناس على قتال الصليبيين، فأمر الخليفة بتحريض الناس على الجهاد، فلبس السلطان الثوب الأسود وخطب بالناس وحرضهم على الجهاد[٥]، وكان لهذه الخطب دور كبير في شحذ همم الناس للجهاد والقيام بقتال الصليبيين، حيث كان للعلماء والمشايخ الدور الكبير في هذا المضمار[٦].

اهتم سلاطين المماليك بالخطباء لما لهم من دور فعال في دفع الناس وحثهم على الجهاد خاصة أن تلك المرحلة كانت مرحلة صعبة والعالم الإسلامي فيها مفكك، وأنفقوا على الخطباء الكثير من الأموال، ولم يكتفِ سلاطين المماليك بدعوة الخطباء والوعاظ ولكن مارسوا

---

(١) المقريزي، السلوك (ج١/٤٢٩).

(٢)المرجع السابق، ج١/٤٢٩-٤٣٠.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر(ص٢٦١).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٣/٢٩٤).

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور (ج١/٣٦٨).

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية(ص٢٣٥).

فرض الجهاد بأنفسهم حيث كان القادة والجند يحيون هذه الفريضة بالذهاب للجهاد بأنفسهم وإدارة المعارك، وكانوا يذكّرون بها أنفسهم في اجتماعاتهم الخاصة ويذكرون فريضة الجهاد وفضله ويستنهضون الجميع للجهاد في سبيل الله[١]، وكان قادة المماليك يتسابقون إلى دعوة الجهاد وينتظمون في الصفوف بمجرد علمهم بعزم الجيوش على الانطلاق للجهاد، فيستنفرون العامة والناس ويؤثرون أنفسهم بالجهاد ويتوافدون عليه من كل حدب وصوب، ومن أمثلة ذلك ما فعله الأمير بيبرس الديودار المنصوري الذي كان واليًا على الكرك حين سمع بتحرك السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) من أجل تحرير عكا من أيدي الصليبيين، فانطلق مسرعًا بجيشه ليلتحم بجيش السلطان[٢]. ويتضح مما سبق أن دولة المماليك نمت وترعرعت والجهاد من أهم أولوياتها، فكان الجهاد مقدمًا على كل شيء من أجل حفظ العباد وسلامة الأرض وعودة الحقوق إلى أصحابها وحماية الإسلام من العابثين المارقين والغزاة الطامعين، فحافظوا عليها وأنقذوا الأسرى وبذلوا الغالي والنفيس من أجل إرجاع الأسرى إلى ديارهم وأولادهم ونسائهم، وخاضوا الحروب والمعارك الطويلة من أجل إنقاذ امرأة أو طفل صغير، وكان الأسرى لهم مكانة كبيرة في أجندة سلاطين المماليك، حيث إنهم لم يغفلوا عنهم يومًا ولا ساعة حتى يفكوا قيد أسرى المسلمين من القيود، وهذه الأفعال البطولية كانت مصاحبة لدولة المماليك، ففي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) أرسل السلطان الظاهر بيبرس جيوشه لمهاجمة بعلبك من أجل إخراج الأسرى الموجودين عندهم والذين ماطلوا في إطلاق سراحهم[٣]، ولم يكتفِ بهذا الهجوم فقط، بل أغار على جماعة من عرب زبيد كانوا قريبين من الصليبيين ولهم معاملات مختلفة معهم وتساوقوا مع الصليبيين ضد المسلمين وكَشْفِ عورات المسلمين وثغراتهم فأدَّبهم[٤]، بل جرد السلطان أيضًا جيوشه لتأديب صاحب أنطاكية بوهيموند السادس وسيّر إليه جيوشه ونازله في أنطاكيا فهزمه شرّ هزيمة، ثم حاصر السويداء[٥] واسترجعها من أيدي الصليبيين[٦] وكان السلطان الظاهر بيبرس يقود هجمات مباغتة ضد الصليبيين وهجمات

---

(١) ابن شداد، تاريخ الظاهر بيبرس (ج٢/١٢٣).

(٢) العريني، المماليك(ص٣).

(٣) ابن خلدون، العبر (ج٥/٣٨٣)

(٤) المقريزي، السلوك (ج١/٢٦٤).

(٥)**السويداء**: قرية بحوران من نواحي دمشق والسويداء ايضًا بلد بديار مضار قرب حران بينها وبلاد الروم. انظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/٤٩٩).

(٦) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر(ص١٣٢).

خاطفة، وذلك لتجنب الدخول في صدامات مباشرة مع الصليبيين واسترجاع الأسرى بشكل سريع، وهو ما يعرف اليوم بنظام الوحدات الخاصة فقد كانت مهمة وحدات النخبة في الجيش المملوكي القيام بعمليات معقدة من أجل الوصول الي العدو وتحرير الاسري المسلمين واعادتهم الى ديارهم ، لكن الصليبيين حاولوا استغلال بعض الخلافات الداخلية في الدولة المملوكية لنقض الهدنة المتفق عليها مع السلطان الظاهر بيبرس، وقاموا بأسر رُسل السلطان الظاهر بيبرس الذين أرسلهم إلى سلاجقة الروم، وقام الصليبيون بأسرهم في جزيرة قبرص(١) وأقدم الصليبيون على خرق الهدنة الموقعة مع المماليك والتي تنص على إخراج الأسرى، حيث التزم المماليك ولم يلتزم الصليبيون(٢)، فقام المماليك يقودهم السلطان الظاهر بيبرس بنفسه سنة (٦٦١هـ/١٢٦٣م) بالهجوم على مدينة عكا وأحاط بها من ناحية البر، وحاصر أحد أبراجها المهمة وبدأ الجنود في تحطيم البرج، وكان ذلك الهجوم عبارة عن تحدٍ للصليبيين الذين كانوا يتفاخرون بقوة مدينة عكا وحصانة أبراجها وأسوارها، فأراد السلطان أن يحطم تلك النظرية، وقام الصليبيون بحفر الخنادق حول المدينة لتحصينها(٣)، وأخذ المسلمون بالاحتشاد أمام مدينة عكا ورتّب السلطان الظاهر بيبرس عسكره وخطب فيهم خطبة حماسية، فثارت معنوياتهم وكبّر وهلل الجيش وأخذ برَدم الخنادق الموجودة حول المدينة، وصعد المسلمون على أبراج المدينة وانهزم الصليبيون أمام المسلمين وتحصنوا داخل المدينة، وهدم المسلمون الأبراج القريبة من عكا وأحرقوا الأشجار حتى اغبرّ الجو من دخانها، وتقدموا نحو أبواب المدينة وهاجموا الجنود الموجودين على أبوابها من الصليبيين، وقام السلطان بتوجيه جنوده لتدمير البرج وأسر من فيه من الفرسان والذي بلغ عددهم نحو أربعين رجلًا، واستمر الهجوم على المدينة فخرب السلطان المدينة وشاهد خراب كنيستها وقد سويت بالأرض، ثم توجه السلطان إلى مدينة القدس وتفقد أحوالها(٤)، وظل سلاطين المماليك ينطلقون من واجب إطلاق سراح الأسرى، حيث قام السلطان الظاهر بيبرس بهجوم على مدينة أرسوف سنة (٦٧٩هـ/١٢٧٩م)، وقام باقتحام القلعة وإطلاق أسرى المسلمين الموجودين بداخلها، ووضع بدلًا منهم الأسرى الفرنج الذين أُسروا في المعركة وكان عددهم نحو ألف أسير(٥) وأرسل السلطان الظاهر بيبرس جنوده إلى عكا لتفقد أحوالها

---

(١)ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص١٥١).

(٢) المقريزي، السلوك (ج١/٤٨٤)؛ وابن علي، حسن المناقب السرية (ص٥٧).

(٣) المقريزي، السلوك (ج١/٤٨٨).

(٤)شلبي، تاريخ الظاهر بيبرس (ج٢/٢٥٧-٢٥٨).

(٥) المقريزي، السلوك (ج١/ ٥٣٠).

والتعرف إلى ثغراتها ومعرفة أحوالها وتقديم معلومات عنها، فوقع أولئك الجنود أسرى في أيدي الصليبيين بعدما تعرضت سفنهم إلى رياح عاتية أدت إلى كسرها وخروج من بها إلى البر فوقعوا في الأسر، فأرسل السلطان الأمير فخر الدين بن المقري الحاجب إلى الصليبيين في عكا للتفاوض حول إطلاق سراح هؤلاء الأسرى، فعلم الصليبيون بأهمية هؤلاء الرجال فطلبوا أسعارًا غالية في فديتهم، معللين ذلك بأنهم رجال ذوو أهمية عند الدولة رغم قلة عددهم الذي لم يتجاوز ستة أشخاص، وقام الصليبيون بوضعهم في سجن محصن كي لا يستطيع أحد الوصول إليهم في مدينة عكا، فقام السلطان بتكليف بعض جنوده بالعمل على إخراج هؤلاء البحارة من الأسر، فقام الجنود المكلفون بإطلاق سراح السجناء برشوة القائمين على السجن الخاص بعكا بالمال، وعن طريقهم أدخلت أدوات تساعد المساجين في كسر قضبان السجن والهروب منه، ومن هذه المواد والمعدات المبارد والمناشير، وقام جنود السلطان بتجهيز مراكب لتسهيل عملية هروب الأسرى، وبعد أن نجحوا في إخراج الأسرى من السجن الحصين في عكا وركوبهم السفن المعدة لهم مسبقًا هربوا عليها وكانت أيضًا لهم خيل معدة للهرب فركبوها حتي وصلوا إلى القاهرة[١]، وفي سنة (٦٧٦هـ/١٢٦٨م) حيث كان السلطان الظاهر بيبرس متجهًا من مصر إلى الشام اعترضت طريقه امرأة مسلمة وأبلغته عن تصرف مشين لصاحب مدينة صور، حيث كانت هي وابنتها أسيرتين عند صاحب صور واتفقت مع صاحب صور على أن تفدي نفسها وابنتها بالمال، ولكن صاحب صور لم يوفِ بعهده لتلك المرأة حيث قام بخداعها وأرسل جيشًا وراءها واستعاد الفتاة منها وعاودها إلى الأسر، فاستجاب السلطان الظاهر بيبرس لشكوى تلك المرأة وأرسل رسولًا من طرفه إلى صاحب صور يسأله عن هذه الفتاة، فكان رد صاحب صور على سفارة السلطان الظاهر بيبرس بأن هذه الفتاة تنصرت، ولم يكتفِ صاحب صور بأسر الفتاة بل استمر في أسر المسلمين والتعدي على طوائف من المسلمين، وأسر عددًا من التجار وقتل عددًا آخراً؛ الأمر الذي أوقد النار في صدر السلطان الظاهر بيبرس ضد صاحب صور، فأعد العدة وأرسل جنوده إلى صور فأنزل بها خرابًا كبيرًا وخسائر فادحة وصادر منتجاتها ومنتجات الأراضي المحيطة بها ونكل بهم وأطلق أسرى المسلمين الذين بحوزتهم[٢].

وفي سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٦م) حرك السلطان الظاهر بيبرس عساكره ناحية صفد، وبدأ بفرض الحصار عليها وضرب أسواقها بالمجانيق الحربية التي كانت متمركزة حول المدينة،

---

(١) المقريزي، السلوك (ج١/٦١٥).

(٢)) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص٣٤٧)؛ واليونيني، ذيل مرأة الزمان (ج٢/٤٠٨).

واستمر الحصار نحو ٢٠ يومًا وحاول تفعيل الحصار المفروض على الحصن، ولكن قوة الدفاعات والمؤن الموجودة داخل مدينة صفد ساعدتها على الصمود، ففضّل الاشتباك المباشر بين الجيوش بعد نقب الأسوار وإشعال النار في القلاع، ودارت بين المسلمين والصليبيين معركة عنيفة، حيث قاوم الصليبيون مقاومة شديدة وأحرقوا الأسوار التي تسلقها المسلمون، ولكن ذلك لم يحُل دون عزيمة المسلمين وتصميمهم على فتح المدينة وتطهيرها من الصليبيين، وعندما تأكد الصليبيون من أن المدينة واقعة أرسلوا الوفود للتفاوض مع السلطان الظاهر بيبرس وطلبوا منه الأمان، فأجابهم لذلك بشرط ألا يخرجوا منها بسلاح أو نقود، ولا يتلفون المدينة وأن يخرجوا الأسرى المسلمين الذين بحوزتهم ويقوم الجيش المسلم بتفتيش الصليبيين عند خروجهم من المدينة، وإذا وجد مع أحدهم أي شيء ينقض بذلك الاتفاق[١]، ولكن الصليبيين كعادتهم لم يلتزموا بالشروط التي تم الاتفاق عليها مع السلطان الظاهر بيبرس ونكثوا العهد، حيث وجد الجنود المسلمون عددًا من الصليبيين الذين خرجوا من القلعة حاملين معهم الأسلحة والأمتعة، وقاموا بأخذ عدد من أسرى المسلمين والتمويه على الجنود المسلمين أنهم نصارى وجنود صليبيون، فقام الجنود المسلمون بأخذ ما معهم، وأبلغوهم بأنهم نقضوا العهد، وضربوا أعناقهم على مقربة من صفد وهو تل قريب منها كان النصارى يستخدمونه لضرب رقاب المسلمين الذين يقعون في قبضتهم، ولم يبقَ منهم أحد على قيد الحياة إلا رسول أرسله السلطان الظاهر بيبرس لعكا[٢]، وقد أقدم السلطان الظاهر بيبرس على قتلهم جميعًا ليس لمجرد القتل، ولكن لما فعلوه بالمسلمين من قتل وتذبيح ونقض للعهد، ولأنهم أقدموا على قتل الأسرى دون أي وجه حق و لابد لهم من العقاب كي يكونوا عبرة لغيرهم؛ كي لا يقدم الصليبيون في القلاع الأخرى في بلاد الشام على قتل الأسرى والمسلمين الذين بحوزتهم، وتكون هذه رسالة لهم يفهمونها وتكون خير رسول كي يحفظ دماء المسلمين من أن يقدم الصليبيون على سفكها دون عقاب، فوصلت الرسالة قوية ومدوية لهم[٣].

استمر جهد سلاطين المماليك في إطلاق سراح الأسرى بكل السبل وخاصة بالجهود العسكرية، حيث قام السلطان قلاوون بتأديب مملكة أرمينية الصغرى لما فعلوه من حرق لجامع حلب وقتل أهلها وأسرهم في عدوانهم عليها، حيث أمر الجيوش بالخروج في سنة

---

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر(ص٢٥٤)؛ والمقريزي، السلوك (ج١/ ٥٤٦)؛ وأبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٧/١٣٨).

(٢) المقريزي، السلوك (ج١/٥٤٧).

(٣) الدواداري، الدرة الزكية(ص١١٨).

(٦٨٢هـ/١٢٨٣م) إلى أرمينية قاصدين مدينة إياس، فوجدوا أن جنودها وأهلها قد حصنوها، واستعدوا للمواجهة، ولكن رغم كل هذه الاستعدادات كسرهم الجيش الإسلامي وفتحوا عليهم الأبواب ودخلوا المدينة، وغنموا ما بها من غنائم وسيروا الكشافة إلى المناطق القريبة منها، حيث حشد الصليبيون لهم ولكن كسرهم الجيش الإسلامي مرة ثانية عند مدينة الإسكندرونة[١] وعاد العسكر الإسلامي إلى حلب محملين بالغنائم[٢]، وقام السلطان المنصور قلاوون بالهجوم على حصن الإسبتارية بالمرقب[٣] سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) رغم أنه كان هناك معاهدة بينهم وبين السلطان ولكنهم خرقوها بالهجوم على قافلة التجار المسلمين، حيث قتلوا وأسروا عددًا من أهل القافلة، ففرض السلطان عليهم حصارًا شديدًا فوق الثمانية والثلاثين يومًا، حيث لم يستطع الصليبيون الصمود في وجه هذا الحصار المفروض عليهم، فطلبوا الأمان من السلطان[٤] مقابل الخروج بأموالهم وأرواحهم إلى طرابلس تحت حماية جند السلطان[٥].

استمر السلطان المنصور قلاوون بالجهاد للعمل على إطلاق سراح أسرى المسلمين في كل مكان تصل إليه يده، وكان لا يلتزم بأي هدنة موقعة مع الصليبيين في حال قاموا بالهجوم على المسلمين وأسروا وقتلوا منهم، فقد كان يستغل كل فرصة ، للانقضاض على الصليبيين وتحرير الاسري ، حيث وصلت رسالة إلى السلطان منصور قلاوون من نائب السلطنة في الشام الأمير حسام الدين لاجين[٦][٧] وكانت تحتوي على أن الصليبيين بطرابلس نقضوا الهدنة

---

(١)**الإسكندرونة:** مدينة في شرقي أنطاكية على ساحل البحر المتوسط وبين .... أربعة فراسخ، انظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/١٨٢).

(٢) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام العصور(ص٣٠).

(٣)**المرقب:** هو حصن شهير بالمنعة والحصانة وهو كبير جدًا، وهو حصن شامخ الطور، باذج السور، محكم البنيان مكين الأركان، شديد الامتناع في غاية العلو والارتفاع. أبو الفداء، المختصر (ج٤/٢١)؛ وابن حبيب، درة الأسلاك (ج١/٨)؛ واليونيني، ذيل مرآة الزمان (مج٤/٢٤١).

(٤) بيبرس، زبدة الفكرة(ص٦٨٤)؛ وابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور(ص ص٧٧-٨١).

(٥) المقريزي، السلوك (ج١/ ٧٢٧)؛ ابن إياس، بدائع الزهور (ج١/٣٦٢)؛ والقلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/٣٤١).

(٦)**حسام الدين لاجين،** ابن عبدالله المنصوري الذي ولي السلطنة المملوكية بالأراضي المصرية بعد خلع السلطان العادل كتبغا المنصوري سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٠م واصله مملوكًا للملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز ثم اشتراه السلطان سيف الدين قلاوون بعد خلع الملك المنصور علي من السلطنة. ابن الفرات،(ج٨/٢٢٢)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٨/٨٥).

(٧) المقريزي، السلوك (ج١/٧٤٦).

الموقعة مع السلطان المنصور قلاوون بإقدامهم على الاعتداء على التجار المسلمين وقطع الطريق على المسافرين، فقاموا بقتل عددهم منهم وأسر عدد آخر وسلب القافلة، فانتصر السلطان لهذه القافلة وجهز العدة للهجوم على طرابلس وجيش الجيوش لذلك الغرض، ووصلت أخبار الحملة التي يعدها السلطان المنصور قلاوون للهجوم على طرابلس إلى مقدم الدولة الصليبي عن طريق الأمير المملوكي بدر الدين بوكتاش الفخري(١) وذلك عن طريق رشوته، حيث صرح بعزم السلطان المسير إلى طرابلس(٢)، فجمع الصليبيون قواتهم وتناسوا خلافاتهم للدفاع عن طرابلس، واستنجدوا بإخوانهم الصليبيين في كل مكان لينجدوهم، فاستجاب لهم الملك هنري الثاني ملك قبرص وأخوه الأمير عموري، حيث أرسل نجدة عاجلة من فرسانه محملين على ظهر أربع سفن حربية إلى طرابلس، وقام الإسبتارية بتقديم مساعدة لأهل طرابلس رغم الخلاف الشديد بينهم، واتفق الجنوبيين والبنادقة متناسين خصوماتهم وأرسلوا سفنًا حربية لحماية طرابلس من ناحية البحر، وتوافد الصليبيون من كل جهة لحماية طرابلس(٣)، ولكن السلطان المنصور قلاوون لم تثنِه تلك الاستعدادات عن موقفه، بل قرر أن يستمر في استعداداته لدخول طرابلس وتحرير الاسري المسلمين فيها ، فتوجه بجيشه سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) إلى طرابلس، واجتمع في طريقه بنوابه في بلاد الشام والحصون الإسلامية الموجودة فيها، وأمرهم بحشد الجيوش وتجهيز المجانيق والأدوات الحربية وتجهيز أدوات الحصار، واستراحت الجيوش الإسلامية في دمشق لمدة أسبوعين لاستكمال الاستعدادات وإراحة الجند، والتحقت به كامل الجيوش ليصبح الجيش كاملًا متكاملًا لغزو طرابلس(٤)، ووصل السلطان قلاوون إلى مشارف طرابلس ولم يجد في طريقه مقاومة،حيث فضل الصليبيون التحصن داخل المدينة الحصينة ومنازلة السلطان المنصور قلاوون داخل مدينة طرابلس، فقام السلطان المنصور قلاوون بتوزيع قواته حيث أشرف على ذلك بنفسه، وبدأ بمحاصرة المدينة من الجهة الشرقية وذلك لكون باقي الجهات مطلة على البحر، ولا يوجد قتال من جهة البر إلا من خلال الجهة الشرقية(٥)، وقام

---

(١)بدر الدين بوكتاش، هو الأمير المملوكي بدر الدين بوكتاش بن عبدالله الفخري النجمي توفي سنة ٧٠٦هـ والفخري نسبة إلى بدر الدين بن الشيخ. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٧/٢٨٩).

(٢) عاشور، سعيد، الحركة الطبية (ج٢/١١٧٣).

(٣) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج٣/٦٨٥).

(٤) الدويدار، بيبرس، زبدة الفكرة حوادث سنة ٦٨٨هـ؛ النويري، نهاية الأرب (ج٢٩/١٣)؛ وابن كثير، البداية والنهاية (ج١٣/٣١٣)؛ وابن خلدون، العبر (ج٥/٤٠١).

(٥) أبو الفداء، المختصر (ج٤/٣٢).

السلطان المنصور قلاوون بنصب العديد من المجانيق وبدأ برمي المدينة وأصدر أوامره إلى النقابين والحجارين والزراقين[١] بأن يبدؤوا بفتح ثغرات في سور المدينة الشرقي[٢]، واستمر المسلمون في حصار المدينة وضايقوا على الصليبين مضايقة شديدة، وتمكنت قذائف المجانيق من تهديد برج كبير للصليبيين في الركن الجنوبي الشرقي من السور، ووصلت القذائف إلى برج الإسبتارية الممتد داخل البحر، وأمام هذه القوة التي أظهرها المسلمون في حصار المدينة أيقن المحاصرون داخل المدينة أن مقاومتهم بلا فائدة، فهرب عدد كبير من البنادقة عن طريق البحر ما أحدث خوفًا وقلاقل داخل المدينة، وأصبحت المدينة من الداخل في وضع سيئ للغاية، حيث سادت حالة من الخوف والترقب وارتباك بعد هروب عدد كبير من المدافعين عنها عن طريق البحر ومغادرة الأمير عموري ومعه عدد كبير من القادة الصليبيين هاربًا إلى قبرص[٣]، ووصلت الأخبار عن الحال التي وصلت إليها المدينة إلى السلطان المنصور قلاوون، واستغل ذلك فشنّ هجومًا قويًا على المدينة، واستطاعت قواته العبور إلى المدينة من جهة البر وتدفقت إلى داخل المدينة، وقام الصليبيون بالهرب من هول ما رأوه من قوة المسلمين حيث هربوا إلى جزيرة النخلة[٤][٥]، فتبعهم المسلمون حتى لحقوا بالصليبيين الهاربين فقد كان فيها عدد كبير من الإفرنج والنساء، فاقتحم المسلمون البحر وعبروا بخيولهم سباحة إلى الجزيرة وغنموا غنائم كبيرة[٦]، وقام السلطان المنصور قلاوون بتهديم أسوار المدينة وأبراجها التي تصدعت بفعل الرمي، كما قام بإطلاق الاسري المسلمين ، ودمر السجون التي أعدها الصليبيون لحبس الاسري المسلمين ، وأمر ببناء طرابلس الجديدة بجوار النهر بعيدًا عن شاطئ البحر حتى لا تصل إليها تهديدات أساطيل صليبية في المستقبل[٧]، وبعد انتهاء معركة طرابلس قام البابا بالدعوة إلى حرب صليبية ضد السلطان المنصور قلاوون[٨]، فاستجاب البنادقة لدعوة

---

(١)الزراقون، ومفردها زراق وهو الذي يقذف النار المشتعلة بالقار وغيره عبر المزاريق (الأنابيب). التدمري، تاريخ طرابلس(ص٥٨٥).

(٢) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مج٨/٨٠).

(٣) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية (ج١١٧٤/٢).

(٤)**جزيرة النخلة**: وهي عبارة عن جزيرة قريبة من طرابلس ويطلق عليها أيضًا جزيرة القديس نيكولا). عاشور،الحركة الصليبية (ج١٧٥/٢).

(٥) السيوطي، حسن المحاضرة (ج١١٠/٢).

(٦) أبو الفداء، المختصر (ج٢٣/٤).

(٧) المقريزي، السلوك (ج١، ٧٤٨)؛ والذهبي، العبر (ج٣٥٧/٥).

(٨) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية (ج١١٧/٢).

البابـا نيكـول الرابـع فأسـهموا فـي إعـداد حملـة مكونـة مـن ألـف وسـتمائة مرتـزق سـنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، وذلـك لإنقـاذ عكـا والحملـة كانـت مكونـة مـن عشـرين سـفينة جلّهـم مـن البنادقة[١]، حيث كانت هذه الحملة عبارة عن خرق لهذه الهدنة الموقعة بين السلطان المنصور قلاوون والصليبيين في عكا، ومع وصول هذه الحملة إلى أرض عكا عبّروا عن وحشيتهم وقاموا بارتكاب الجرائم الفظيعة ضد الفلاحين من مسلمي عكا، ودخلوا المدينة وقاموا بقتل التجار المسلمين الموجودين بداخلها وأسروا أعداد كبيرة منهم وهذا يعد انتهاك ونقض للهدنة الموقعة بين الطرفين ، فعندما وصلت أخبار اعتداءات الصليبيون وأسرهم للمسلمين ، ونقضهم للهدنة للسلطان المنصور قلاوون [٢]، فوصلت أخبار نقض الصليبيين الهدنة للسلطان المنصور قلاوون، فتوعد الصليبيين بالقتل والتشريد، فأرسل الصليبيون إلى السلطان المنصور قلاوون يعتذرون إليه ويتعهدونه بمعاقبة المخالفين[٣]، ولكن السلطان المنصور قلاوون اشترط على الوفد الصليبي تقديم كل المتهمين والمشاركين في العدوان على المسلمين داخل عكا إليه[٤]، ولكن الصليبيين رفضوا هذا الاقتراح واكتفوا بتقديم اعتذارات شكلية[٥]، وعزم السلطان المنصور قلاوون على تحريرالأسرى وتتحرير مدينة عكا من الصليبيين والانتقام للمسلمين من أهلها ولكن القدر لم يمهل السلطان المنصور قلاوون في بلوغ مراده، حيث تعرض لوعكة صحية توفي على إثرها سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)[٦]، ولكن وفاة السلطان المنصور قلاوون لم توثر في الحملة لتحرير الأسرى والمدينة، حيث أكمل المسيرة بعده السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، وبعد أن اكتملت الاستعدادات قام السلطان الأشرف بن خليل بالهجوم الكامل على مدينة عكا سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) وبدأ بضرب أسوارها بالمجانيق وتمكن من إحداث ثغرات بالأسوار الخارجية[٧]، وقام الرماة برمي المدينة بالسهام ما أحدث خلخلة بصفوف المدافعين عن المدينة من الصليبيين، حاول الصليبيون مهاجمة قوات صاحب حماة للحد من الهجوم ولكن دون

---

(١) المرجع السابق، ج٢/١١٧.

(٢) الذهبي، دول الإسلام(ص١٨٨).

(٣)المرجع السابق، ج٢/١١٧٨.

(٤) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور (ص١٧٧).

(٥)عاشور، الحركة الصليبية (ج٢/١١٧٩).

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور (ج١/٣٦٠)؛ والحريري، الإعلامي والتبيين (ص١٤٤)؛ ابن حبيب، الفوائد المنتقاة من أخبار صاحب حماة (ص١٨٤)؛ والمقريزي، السلوك (ج١/ ٧٥٥).

(٧) المقريزي، السلوك (ج١/٦٧٤؛ وأبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٣/٥).

جدوى، واستمر حصار المسلمين للمدينة حتى بدأت تتهاوى أبراجها أمام المسلمين، وحاول ملك قبرص التواصل مع السلطان الأشرف خليل والتفاوض سلميًا، ولكن السلطان طلب منهم تسليم مفاتيح عكا ووعدهم بإخراجهم من المدينة وتأمينهم على أنفسهم إذا سلموا المدينة والاسري الذين بداخلها سلميًا[1]، ولكن أهل عكا رفضوا العرض واستغل السلطان حالة اليأس التي وصل إليها الصليبيون داخل عكا، وهاجم المدينة بكل قوته ودخلها من خلال الثغرات التي أحدثتها المجانيق في أسوارها[2]، وحاول الصليبيون الموجودون داخل مدينة عكا الدفاع عنها بكل قوة ولكن لم يستطيعوا الوقوف في وجوه حماس الجنود القادمين لتحرير المدينة منهم، فتحصن عدد كبير منهم داخل الأبراج المتبقية في المدينة، كما هرب عدد كبير منهم بالسفن إلى قبرص ودخل المسلمون المدينة وحصد المسلمون غنائم منها ما يفوق الحصر من كثرته[3]، وتحصن فرسان الداوية الحصينة في البحر في الجهة الشمالية الغربية من المدينة واستعدوا للمقاومة، وبسبب حصانة موقفهم داخل البحر ومناعتهم قرر السلطان التفاوض معهم بشرط تسليم أمتعتهم وأسلحتهم وخروجهم إلى قبرص[4]، ولكن الداوية قرروا خدع السلطان معتمدين في ذلك على حصانة موقعهم، فتظاهروا بقبول عرض السلطان فأرسل لهم مجموعة من المسلمين للتفاوض معهم فقاموا بخداع السلطان وأسر الوفد وذبحه عن بكرة أبيه، فثار غضب السلطان وأقسم على أن ينتقم منهم شرّ انتقام، فأصدر أوامره إلى قواته بالهجوم على البرج وقام الجيش بمحاصرة البرج، وتمكن النقابون من نقبه ما أدى إلى انهيار البرج وسقوط آخر معقل للمقاومة للصليبين وأطلق سراح الاسري المسلمين من سجون الاحتلال الصليبي في عكا[5]،وبذلك تكون سقطت عكا بأيدي المسلمين ويكون انتهى الوجود الصليبي ببلاد الشام. ونستطيع القول إن سلاطين المماليك جيشوا كل ما يملكون من أجل إطلاق سراح أسرى المسلمين، حيث عدّ سلاطين المماليك أن وجود أسير مسلم عند الأعداء نقيصة تهزّ هيبة الدولة، وانطلاقًا من أن الأسير له حق كامل على الدولة في إرجاعه إلى داره وأهله، حيث إنه سقط في الأسر نتيجة الدفاع عن الدولة، وواجب على الدولة إخراجه بالسبل كافة.

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية (ج٢/١٠٨٢).

(٢) غنيم، الجبهة الإسلامية (ج٣/٢٢١).

(٣) أبو الفداء، المختصر (ج٤/٢٥).

(٤) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات (مج٨/١١٢).

(٥) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٦/٧).

الفصل الرابع

جهود أخرى في فكاك الأسير في دولة المماليك

المبحث الأول

جهود علماء المسلمين في فكاك الأسرى

يعد العلماء سادة الأمة الحقيقيون، وقد استمد العلماء موقعهم من إيمان الناس بالدين الإسلامي والشرائع التي يقوم الناس عليها[1]، ولا يخفى على أحد ما يتمتع به العلماء من دور ومكانة عند عامة الناس وعند الحكام، فهم خلفاء الله في العباد بعد الرسل والأنبياء، وهم الوارثون للأنبياء؛ حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز **﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[2]، وجاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية موضحة للمكانة التي يتمتع بها العلماء لما لهم من فضل ولما لهم من أجر عند الله تعالى، قال تعالى: **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[4]، وفي قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾**[5]، وجاء في السنة النبوية ما بيّن الدور العظيم للعلماء، وبيّن الرسول ﷺ دورهم ومدى أهميتهم والشرف الذي يناله العلماء، فقال عليه الصلاة والسلام: **(إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ)**[6]، وللعلماء دور مهم في إرشاد الأمة وتنبيهها إلى الأمور المهمة وتبيين الحقائق، وتنقيح العلم، وتعريف الناس بدينهم الحق وإزالة اللبس عن الأمور المتشابهة وحماية الناس من الأفكار الهدامة وغير السوية ومسؤوليتهم ورسالتهم، ووضح ذلك رسول الله ﷺفقال: "يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية (ج٩/٣١٦).

(٢)[آل عمران: ١٨].

(٣)[الزمر: ٩].

(٤) [المجادلة: ١١].

(٥)[فاطر:٢٨].

(٦)[ابن ماجه: سنن ابن ماجه،باب فضل العلماء والحث على طب العلم، ٨١/١:رقم الحديث ٢٢٣].

المبطلين"[1]، والعلماء قد جعلهم الله نجومًا يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر كما يُهتدى بنجوم السماء وكواكبها[2].

ولما للعلماء من دور مهم بين الناس فكان على عاتقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسداء النصح للحاكم والمحكوم، لما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منزلة عظيمة، فقد جاءت النصوص كثيرة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية توضح دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأمة محمد أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال الله تعالى: **﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[4].

وقال أيضًا: **﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾**[5].

وقال أيضًا: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[6].

وجاء حث رسول الله ﷺ داعمًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال رسول الله ﷺ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي، فَلَا أَنْصُرُكُمْ)**[7]، وكيف لا يأمر العلماء بالمعروف وينهون عن المنكر، حيث إن الأمة تنظر إلى أقوالهم على الدوام، وإن خطأهم يكون وبالًا على الأمة والناس لما لهم من مكانة وتقدير عند الناس والواجب الشرعي

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى (ج١٠/٢٠٩).

(٢) الغزي، الكواكب (ج١/٣).

(٣)[آل عمران: ١٠٤].

(٤)[آل عمران: ١١٠].

(٥)[لقمان: ١٦].

(٦)[التوبة: ٧١].

(٧)[ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند الصديقة عائشة، ١٤٩/٤٢: رقم الحديث ٢٥٢٥٥].

عليهم، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علاج للأمة من أمراضها ومن الوهن الذي يصيبها في بعض الأوقات، وتطهير القلوب من الأمراض التي تصيبها، وحث الأمة على أن تنهض لتحمي نفسها من تلك الأمراض[١]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخص به العامة والخاصة والعلماء، فقط بل هو واجب على الجميع لما له من دور في حماية المجتمع والأمة والحفاظ عليها من الانحلال والفساد[٢]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يصلح المجتمعات ومن دونه تسود الآفات، وتنعدم الأخلاق ويسود الفساد، ويؤخذ العامة بذنب الخاصة، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[٣]، ولحفظ المجتمع لا بد أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نظامًا عامًا في المجتمع، ولقد كانت الأمة الإسلامية أمة محمد خير أمة أخرجت للناس كما جاء في قول الله تعالى في الآية السابقة[٤]، حيث شرفها الله بأن تكون أمة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، وحصل العلماء بهما على المكانة العالية والسامية حيث إصلاح الدولة والمجتمع، فلهم الكثير من الإصلاحات التي لا تعد ولا تحصى، فقد كان للعلماء دور كبير في إطلاق سراح الأسرى في العصر المملوكي[٥]، وكان الجهاد من أهم الأعمال التي ينادي به العلماء لما له من عزة وحفظ للأمة الإسلامية وحماية أرضها من الأعداء، لذلك كان للعلماء دور بارز في حث الناس على الجهاد، وكانوا يتقدمون الصفوف للجهاد وكانوا يحرضون الناس عليه ويبشرون المجاهدين بالأجر، فقد حرص العلماء على أن يكون لهم سهم في الجهاد بالدعوة إليه وفي حث الناس على المشاركة فيه، فشارك الكثير من العلماء في فتح مكة، وساعدوا في سحب عجلات المجانيق، وقيامهم في حماية الجبهة الداخلية من العبث وقت الحروب والدعاء للمسلمين[٦]وقد جاهد العلماء بأنفسهم وأموالهم، وحثوا الناس على الجهاد في المساجد والمحافل وفي كل مكان، وهذا الدور يزداد أهمية مع ازدياد الحملات الشرسة على الأمة الإسلامية من التتار والصليبيين على المسلمين وعلى المقدسات، فالعلماء والقضاة هم سادة الجهاد، بل كان حثهم ووعظهم وإرشادهم للجنود والعامة من أهم وسائل النصر والتمكين[٧]، وبيّن العلماء فضل الجهاد

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية (ج١/١٨).

(٢) [الأنفال: ٢٥].

(٣)[آل عمران: ١١٠].

(٤) فرغلي، الحركة(ص٥٧).

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٣/٣٥٨).

(٦) البدري، الإسلام(ص٨).

(٧) الماوردي، الأحكام (ج١/٣٠).

والمجاهدين عند الله، وشحذوا الهمم من خلال الخطب وتلاوة القرآن الكريم والوعظ والإرشاد، ما كان له بعيد الأثر في نفوس المسلمين، وكان للعلماء دور ضاغط على الحكام للعمل على الجهاد وإرجاع حقوق المسلمين وإثارة حماسة الجهاد لديهم[١].

وكان العلماء زمن المماليك أهل صبر وشجاعة ودافعوا عن شرف الأمة وكانوا أصحاب سبق في كل شيء، حيث إنهم لم يتوانوا عن نصرة الأسرى، ودافعوا عنهم وحثوا الحكام على بذل الغالي والنفيس من أجل إخراج هؤلاء الأسرى من السجون، وكانوا يجمعون الأموال ويفتون الفتاوى الخاصة بإطلاق سراحهم، ومدى الأجر الذي يناله المسلم في سبيل إطلاق سراح الأسير وإعادته إلى أهله وأولاده ودينه ودياره وأسرته وحفظ دينه عليه، وتبين أن الدين الإسلامي حث على إطلاق سراح الأسرى المسلمين من أيدي العدو واستدلوا بالآيات من القرآن الكريم التي نصت صراحة على إطلاق سراح المسلمين والأحاديث النبوية التي أوجبت إطلاق سراح الأسرى من عند الأعداء، وكتبوا في أفعال كبار الصحابة الذين عملوا على إطلاق سراح أسرى المسلمين من سجون الأعداء، كي يحافظوا عليهم ويرجعوهم إلى أهلهم سالمين.

وحرص العلماء على إطلاق سراح أسرى المسلمين، حيث أصدروا مجموعة من الفتاوى تنص على وجوب إطلاق سراح الأسرى سواء بالبدن أو المال.

حيت قال ابن قدامة[٢] رحمه الله:

"ويجب فداء أسرى المسلمين إذا أمكن، وبهذا قال عمر بن عبد العزيز ومالك وإسحاق، ويروى

---

(١) النقلي، الجهاد ضد الصليبيين (ص١٤٥).

(٢)**الشيخ موفق الدين بن قدامة**: ونقل عن ابن عبد السلام أيضًا أنه قال: لم تطب نفسي بالفتيا حتى صار عندي نسخة المغني. تفقه على الشيخ موفق الدين خلق كثير. منهم ابن أخيه الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر، والمراتبي.وسمع منه الحديث خلائق من الأئمة والحفاظ وغيرهم. وروى عنه ابن الدبيثي، والضياء، وابن خليل، والمنذري.وحدث ببغداد. وسمع منه بها رفيقه أبو منصور عبد العزيز بن طاهر بن ثابت الخياط المقري سنة ثمان وستين وخمسمائة. توفي رحمه الله يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة بمنزله بدمشق وصلى عليه من الغد. وحمل إلى سفح قاسيون. فدفن به. وكان له جمع عظيم. امتد الناس في طرق الجبل فملؤوه. قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: حكى إسماعيل بن حماد الكاتب البغدادي قال: رأيت ليلة عيد الفطر كأن مصحف عثمان قد رفع من جامع دمشق إلى السماء. فلحقني غم شديد. فتوفي الموفق يوم العيد. قال: ورأى أحمد بن سعد – أخو محمد بن سعد الكاتب المقدسي، وكان أحمد هذا من الصالحين – قال: رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة، وقائل يقول: انزلوا بالنوبة. فقلت: ما هذا؟ قالوا: ينقلون روح الموفق الطيبة في الجسد الطيب. ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة (ج١/٢٤٠).

عن ابن الزبير أنه سأل الحسن بن علي: على من فكاك الأسير؟ قال على الأرض التي يقاتل عليها، وثبت أن رسول الله ﷺ قال: «أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني»، وروى سعيد بإسناده عن حبان بن جبلة أن رسول الله ﷺ قال: «إن على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسيرهم ويؤدوا عن غارمهم»، وروي عن النبي ﷺ أنه كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار: "أن يعقلوا معاقلهم وأن يفكوا عانيهم بالمعروف"، وفادى النبي ﷺ رجلين من المسلمين بالرجل الذي أخذه من بني عقيل، وفادى بالمرأة التي استوهبها من سلمة بن الأكوع رجلين.

والفكاك لم يقيد بنوع معين، فكل شيء استطعنا فكَّ الأسرى به تعيّن علينا فعله، وهكذا فعل الفقهاء، فقالوا بوجوب الحرب لفك الأسرى –إذا استطعنا فك الأسرى بها–"[١].

وقال الإمام النووي[٢] رحمه الله في فكاك الأسرى:

"لو أسروا مسلمًا أو مسلمَيْن هل هو كدخول أرض الإسلام؟ وجهان: أحدهما لا، لأن إزعاج الجند الواحد بعيد. وأصحّهما نعم، لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار، فعلى هذا لا بد من رعاية النظر فإن كانوا على قرب دار الإسلام وتوقعنا استخلاص من أسروه لو طرنا إليهم فعلنا". (والفداء بالمال واجب إن استطعنا تخليص الأسرى به)[٣].

---

(١)ابن قدامة، المغني (ج٩/ ٢٢٨).

(٢)**الإمام النووي:** هو أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي. ولد في قرية نوى وهي قرية من قرى حَوْران في سوريا عام ٦٣١هـ لأبوين صالحين، ولما بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ القرآن وقراءة الفقه على بعض أهل العلم. وفي سنة ٦٤٩هـ قَدِمَ مع أبيه إلى دمشق لاستكمال تحصيله العلمي في مدرسة دار الحديث، وسكنَ المدرسة الرواحية، وهي ملاصقة للمسجد الأموي. وفي عام ٦٥١ هـ حجَّ مع أبيه ثم رجع إلى دمشق، وهناك أكب على علمائها ينهل منهم. ويروي ابن العطار أن النووي سمع الصحيحين (البخاري ومسلم) وسنن أبي داود والترمذي، والنسائي، وموطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل، والدارمي، وأبي عوانة الإسفراييني، وأبي يعلى الموصلي، وسنن ابن ماجه، والدارقطني، والبيهقي، وشرح السنة للبغوي، ومعالم التنزيل له في التفسير، وكتاب الأنساب للزبير بن بكار، والخطب النباتية، ورسالة القشيري، وعمل اليوم والليلة لابن السني، وكتابلاؤرؤلبؤءؤءءؤءب آداب السامع والراوي للخطيب، وأجزاء كثيرة غير ذلك.. نقلت ذلك جميعه من خط الشيخ رحمه الله".

النووي وفقه الحديث: ما كان النووي يحبس علمه في الحديث في نطاق الرواية التي هي كالنوافل للمُحَدِّثِين، وإنما كان هَمُّه في الحديث معرفة ما ذكره في مقدمة شرحه لصحيح مسلم، ثم الانصراف إلى فِقْهِهِ. وقد سمع منه الكثيرون؛ منهم أبو الفتح، والمِزّيّ، وابن العطار. السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث(ص ص٦– ٧).

(٣)ابن عبد الظاهر، الروضة (ج ١٠/٢١٦).

كما وأورد الإمام القرطبي[1] **رحمه الله:** حيث قال في فكاك أسرى المسلمين من أيدي الأعداء: "قال علماؤنا فداء الأسرى واجب وإن لم يبقَ درهم واحد. قال بن خويز منداد: تضمنت الآية وجوب فك الأسرى، وبذلك وردت الآثار عن النبي ﷺ أنه فك الأسرى وأمر بفكهم وجرى بذلك عمل المسلمين، وانعقد به الإجماع. ويجب فك الأسرى من بيت المال فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم سقط الفرض عن الباقين"[2].

وقال الإمام ابن جُزَيّ المالكي[3]**رحمه الله:**"يجب استنقاذهم من يد الكفار بالقتال، فإن عجز المسلمون عنه وجب عليهم الفداء بالمال،فيجب على الغني فداء نفسه، وعلى الإمام فداء

---

(١)**الإمام القرطبي:** نسبه ونشأته: هو الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح –بإسكان الراء والحاء المهملة– الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي نشأ –رحمه الله– في قرطبة بالأندلس، في عصر الموحِّدين، وظلَّ يعيش بها حتى سقطت في أيدي الفرنجة سنة ٦٣٣هـ، فانتقل منها إلى مصر، واستقرَّ بها حتى وافته المنيَّة، ومعلوم أن الأندلس، وبخاصة قرطبة (كانت منتهى الغاية، ومركز الراية، وأم القرى، وقرارة أولي الفضل والتُّقى، ووطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض، وأعلام العصر، وفرسان النَّظْم والنثر، وبها أنشئت التأليفات الرائعة، وصنِّفت التصنيفات الفائقة...)، وكانت أيضًا أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأهلها أشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، من أروَج متاجريها حتى قيل: "إنه إذا مات عالمٌ بإِشْبِيلِيَة فأُريدَ بيعُ كتبه، حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها" ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (ص ٤٠٧)؛ والمقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (ج٢/ ٢١٠)؛ وابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ٣٣٥)؛ والصفدي، الوافي بالوفَيَات (ج٢/٨٧)؛ والسيوطي، طبقات المفسرين (ص ٧٩).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج٢/٢٦).

(٣)**ابن جزي المالكي:** (ت٧٤١هـ) خطيب الجامع الأعظم بغرناطة أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن ابن يوسف بن جزي الكلبي . نسبة إلى قبيلة كلب اليمانية . الغرناطي الأندلسي المالكي، الإمام العالم الحافظ المدرس الشهير خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، واسم شهرته بابن جُزيّ بالتصغير.ولد رحمه الله يوم الخميس تاسع ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة هجرية، بمدينة غرناطة عاصمة الأندلس آنذاك، والده ابن جزي (ت ٧١٠هـ تقريبا)، له طلب وسماع، وجده الأقرب محمد بن عبد الله ابن يحيى بن جزي، وجده الأعلى الأمير أبو بكر بن جزي بجيّان، ويوسف بن عبد الرحمن بن سعيد بن جزي (ت ٥٨٩هـ)، وأبو أحمد بن جزي الكلبي المالكي (ت ٦٢٠هـ تقريبا)، كان شيخًا، ورعًا، زاهدًا عابدًا متقلِّلا من الدنيا، وكان فقيهًا مفسرًا، وسعد بن سعيد بن سعد بن جزي أبو عثمان، من مدينة بلنسية، توفي سنة ٣٧٨هـ تقريبًا.

وقد نشأ ابن جزي في حجر والده الذي وصفه بأن له طلبًا وسماعًا، فقرأ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع تكتيبًا ثم تلاوة وتجويدًا، وهي الرواية التي ينشأ عليها الأندلسيون ثم بعد ذلك انتقل إلى بقية القراءات السبع، وقد أخذ العلم عن مشايخ من الأندلس والمغرب، فقد قرأ القرآن العربية والفقه والحديث على الشيخ =

الفقراء من بيت المال، فما نقص تعين في جميع أموال المسلمين ولو أتى عليها"[1].

وقد أفتى الإمام العز بن عبد السلام[2]:في نفس الموضوع، فقال: وإنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار من أفضل القربات، وقد قال بعض العلماء: إذا أسروا مسلمًا واحدًا وجب علينا أن نواظب على قتالهم حتى نخلصه أو نبيدهم، فما الظن إذا أسروا خلقًا كثيرًا من المسلمين**!**"[3].

=

أبي جعفر بن الزبير، وروى عن أبي الحسن بن مستقور، وقرأ القرآن أيضًا على الأستاذ المقرئ الرواية أبي عبد الله بن المكاد، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد، وسمع على الشيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن، وسمع على الرواية المسن أبي الوليد الحضرمي، وروى عن الخطيب الوليد أبي عبد الله الطنجالي وغيرهم.. ابن الخطيب، الإحاطة (ج١/٥٢)؛ وابن حجر، الدرر الكامنة (ج٥/٨٨)؛ والزركلي،الأعلام (ج٦/٢٢١).

(١) الغرناطي، قوانين الأحكام الشرعية (ص١٧٢).

(٢)**العز ابن عبد السلام:** أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلَمي الشافعي (٥٧٧هـ/١١٨١م – ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) الملقب بسلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، هو عالم وقاضٍ مسلم، برع في الفقه والأصول والتفسير واللغة، وبلغ رتبة الاجتهاد، قال الحافظ الذهبي: «بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة المذهب، مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلابة في الدين، وقَصَدَه الطلبة من الآفاق، وتخرّج به أئمة». وقال ابن العماد الحنبلي: «عز الدين شيخ الإسلام.. الإمام العلامة، وحيد عصره، سلطان العلماء.. برع في الفقه والأصول والعربية، وفاق الأقران والأضراب، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف الناس ومآخذهم، وبلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وصنف التصانيف المفيدة». وُلد العز بن عبد السلام بدمشق سنة ٥٧٧هـ (١١٨١م) ونشأ بها، ودرس علوم الشريعة والعربية، وتولى الخطابة بالجامع الأموي والتدريسَ في زاوية الغزالي فيه، واشتُهر بعلمه حتى قصده الطلبة من البلاد، كما اشتُهر بمناصحة الحكام ومعارضتهم إذا ارتكبوا ما يخالف الشريعة الإسلامية برأيه، وقد قاده ذلك إلى الحبس، ثم إلى الهجرة إلى مصر، فعُيّن قاضيًا للقضاة فيها، وقام بالتدريس والإفتاء، وعُيّن للخطابة بجامع عمرو بن العاص، وحرّض الناس على ملاقاة التتار وقتال الصليبيين، وشارك في الجهاد بنفسه، وعمّر حتى مات بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ (١٢٦٢م) ودُفن بها. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب (ج٧/٥٢٣)؛ والزحيلي، محمد العز بن عبد السلام(ص٣٩).

(٣) عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله (ص٩٧).

وفــي الســياق نفســه نقــل ابــن النحــاس:عـن **الإمــام النــووي:** "لـو أسـروا مسـلمًا أو مسلمَيْن فهل هو كدخول العدو دار الإسلام؟ وجهان، أحدهما: لا، لأن إزعاج الجنود لواحد بعيد، وأصحهما: نعم، لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار"[١].

وأفتى الشيخ ابن تيمية: "فكاك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات"[٢].

وفـي بـاب إطـلاق سـراح الأسـرى قـال ابـن العربـي رحمـه الله[٣]:"إلا أن يكونوا أسرى مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا

---

(١) ابن النحاس، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (ج ٢/ ٨٣٢).

(٢) ابن تيمية، الفتاوى (ج٢٨/٦٣٥).

(٣)**ابن العربي:** الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف. سأله ابن بشكوال عن مولده، فقال: في سنة ثمان وستين وأربعمائة. سمع من خاله الحسن بن عمر الهوزني وطائفة بالأندلس. وكان أبوه أبو محمد من كبار أصحاب أبي محمد بن حزم الظاهري بخلاف ابنه القاضي أبي بكر ؛ فإنه منافر لابن حزم، محط عليه بنفس ثائرة. ارتحل مع أبيه، وسمعا ببغداد من طراد بن محمد الزينبي، وأبي عبد الله النعالي، وأبي الخطاب ابن البطر، وجعفر السراج، وابن الطيوري، وخلق، وبدمشق من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبي الفضل بن الفرات، وطائفة، وببيت المقدس من مكي بن عبد السلام الزميلي، وبالحرم الشريف من الحسين بن علي الفقيه الطبري، وبمصر من القاضي أبي الحسن الخلعي، ومحمد بن عبد الله بن داود الفارسي وغيرهما. وتفقه بالإمام أبي حامد الغزالي، والفقيه أبي بكر الشاشي، والعلامة الأديب أبي زكريا التبريزي، وجماعة. وذكر أبو القاسم بن عساكر أنه سمع بدمشق –أيضا– من أبي البركات ابن طاووس، والشريف النسيب، وأنه سمع منه عبد الرحمن بن صابر، وأخوه، وأحمد بن سلامة الأبار، ورجع إلى الأندلس في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة.

قلت: رجع إلى الأندلس بعد أن دفن أباه في رحلته –أظن ببيت المقدس– وصنف، وجمع، وفي فنون العلم برع، وكان فصيحًا بليغًا خطيبًا. صنف كتاب "عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي"، وفسر القرآن المجيد، فأتى بكل بديع، وله كتاب "كوكب الحديث والمسلسلات" وكتاب "الأصناف" في الفقه، وكتاب "أمهات المسائل"، وكتاب "نزهة الناظر" وكتاب "ستر العورة"، و "المحصول" في الأصول، و"حسم الداء في الكلام على حديث السوداء"، كتاب في الرسائل وغوامض النحويين، وكتاب "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة" و "الفقه الأصغر المعلب الأصغر" وأشياء سوى ذلك لم نشاهدها. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٢٠/ ١٩٧–١٩٨).

يبقى لأحد درهم، كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والعدة والعدد، والقوة والجلد".[١]

قال ابن حجر الهيثمي في تحفة المحتاج[٢]:"ولو أسروا –أي الكفار– مسلمًا فالأصح وجوب النهوض إليهم –وإن لم يدخلوا دارنا– لخلاصه إن توقعناه بأن يكونوا قريبين، كما ننهض إليهم عند دخولهم دارنا بل أوْلى؛ لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار"[٣].

قال أبو بكر الجصاص[٤] **في كتابه أحكام القرآن**:"وهذا الحكم من وجوب مفاداة الأسارى ثابت علينا؛ روى الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن جده: أن رسول الله ﷺ كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين. وروى منصور عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «أطعموا الطعام وأفشوا السلام وعودوا المريض وفكوا العاني»، فهذان الخبران يدلان على فكاك الأسير؛ لأن العاني هو الأسير. وقد روى عمران بن حصين وسلمة بن الأكوع: أن النبي عليه السلام فدى أسارى من المسلمين بالمشركين"[٥].

---

(١) ابن العربي، أحكام القرآن (ج٢/٤٤٠).

(٢)**ابن حجر الهيثمي**: مفتي الحجاز شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بدر الدين بن محمد شمس الدين بن علي نور الدين (ابن حجر) السعدي الهيتمي، نسبة لمحلة أبي الهيتم من أقاليم مصر الغربية، ولد بها، وهو بالتاء المثناة من فوق، المكي الشافعي، المتوفى بمكة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وسبعين وتسعمائة له كتاب: الفتاوى الحديثية، وكتاب: تحفة المحتاج شرح المنهاج، في الفقه الشافعي. عبد الوهاب، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج١/٢٣٦).

(٣) الهيثمي، تحفة المحتاج (ج ٩/٢٣٧).

(٤)**أبو بكر الرازي (الجصاص)** هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي البغدادي، الإمام المعروف بالجصاص، كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته، له مصنفات كثيرة، منها: «أحكام القرآن»، «شرح الأسماء الحسنى»، وشرح «الجامع» لمحمَّد بن الحسن، و«شرح مختصر الكرخي»، وغيرها، توفي ببغداد سنة (٣٧٠هـ). القرشي، الجواهر المضيئة (ج١/٨٤)؛والداودي، طبقات المفسرين (ج١/٤٥٦)؛والسيوطي، طبقات المفسرين (ص ٥)؛ وابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/٧١).

(٥) ابن العربي، أحكام القرآن (ج ١/٥٨).

وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري[1]:"قوله -أي البخاري- باب فكاك الأسير: أي من أيدي العدو بمال أو بغيره، والفكاك -بفتح الفاء ويجوز كسرها- التخليص، وأورد فيه حديثين:

أحدهما: حديث أبي موسى: «فكوا العاني» أي: الأسير. قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية، وبه قال الجمهور"[2].

وكان للعلماء موقف مشرف في هذه القضية وكان لهم باع طويل في العمل من أجل إطلاق سراح أسرى بل ومنهم من دفع حياته من أجلهم ومنهم من أُسر من أجل هذه القضية ومنهم من قاوم وناضل من أجل عودة الأسرى، كيف لا يقاوم العلماء لنصرة هذه الشريحة وهم ورثة الأنبياء وهم فكر الأمة وقلبها النابض، ولذلك ثارت ثائرة العلماء من أجل إنقاذ وإطلاق سراح الأسرى، حيث قام الشيخ الجليل العلامة الكبير ابن تيمية بالجهاد من أجل إطلاق سراح الأسرى، فكان له مواقف خالدة ومشرفة في وجه التتار، حيث جابهه واستنقذ من يده الأسرى، حيث كتب إلى بولاي أحد قادة التتار[3][4]فاستجاب له وأطلق سراح الكثير من المسلمين، ولم يقف طلب الإمام ابن تيمية عند إطلاق سراح المسلمين فقط، بل طالب بإطلاق سراح أسرى أهل الذمة الموجودين عنده، فتحدث ابن تيمية مخاطبًا ملك قبرص النصراني: "وقد عرف

---

(١)**نسب ابن حجر العسقلاني:** هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني الشافعي المصري القاهري المولد والمنشأ والدار والوفاة. المعروف بالحافظ ابن حجر العسقلاني.

مولد ابن حجر العسقلاني ولد ابن حجر -رحمه الله- في الثاني والعشرين من شعبان سنة ٧٧٣ هـ، في منزل كان يقع على شاطئ النيل، بالقرب من دار النحاس والجامع الجديد، وظل ابن حجر -رحمه الله في بيته هذا حتى انتقل منه في أواخر القرن الثامن الهجري إلى القاهرة، حيث تزوج بأم أولاده فسكن بقاعة جدها منكوتمر المجاورة لمدرسته المنكوتمرية داخل باب القنطرة، بالقرب من حارة بهاء الدين، واستمر بها حتى مات. ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (ج٦/٢٠١)؛ والسخاوي، الجواهر والدرر (ج١/١٠٥).

(٢) العسقلاني، فتح الباري (ج ٦/ ١٦٧).

(٣)بولاي من قادة التتار الذين حضروا لغزو الشام، قال الصفدي في أعيان العصر: "اسمه الصحيح مولاي، وإنما العامة يحرفونه تهكمًا به".

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٤/١)

النصارى كلهم أنّي لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم قازان[1]، وقطلوشاه[2]، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين، قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يُطلقون، فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفتكهم، ولا ندع أسيرًا، لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة"، وأطلقنا من النصارى ما شاء الله[3]، وقد حرض ابن تيمية الناس على قتال التتار وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وحثهم على الوقوف في وجههم وعدم الفرار من المعركة، وحث الناس على إنفاق أموالهم للحفاظ والدفاع عن بلاد المسلمين وأعراضهم[4]، بل ولم يقف دوره عند هذا الحد بل ثبت قلوب الأمراء والجند ووعدهم بنصر الله والظفر على أعداء الله مذكرهم بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾[5].

بل كان ابن تيمية يقول لأهل الشام: إن واحدًا منكم يغلب ستة من التتار، وإن التتار هم شر الناس فلا يتقون إذا قدروا ولا يصبرون إذا ابتلوا، فهم من أظلم الناس إذا قدروا ومن أذلِّ الناس وأجزعهم إذا قهروا، وإن قهرتهم ذَلوا لك ونافقوك وحابوك واسترحموك[6].

واستمرت جهود العلماء الرامية إلى الحفاظ على الأمة من كل خطر يداهمها، حيث أسهم العلماء في حماية الدين والدولة، فكان العلماء جنود مع الجيوش المجاهدة، ومنفقون مع المتبرعين، وأول من ينتصر للمظلومين، فانتصروا لحقوق العامة ودافعوا عن الأسرى وأسهموا في إطلاق سراحهم، ويمكن القول هنا أو الزعم أن هؤلاء العلماء فعلًا كانوا أبطالًا حقيقيين يحمون الأمة في وقت أزماتها بل ويقفون حصنًا منيعًا ودرعًا واقياً.

---

(١)**قازان:** هو زعيم التتار الذي هاجم دمشق والشام سنة ٦٩٩هـ حيث أعطوا الأمان لأهل دمشق وغدروا بهم وسبوا قرابة مائة ألف من المسلمين وفجروا بخيار النساء المساجد. ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٤/١٠).

(٢)**قطلوشاه:** هو نائب القائد التتري قازان في هجومه على دمشق وبلاد الشام.

(٣)ابن تيمية، الفتاوى (ج٢٨/٦١٧).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٤/١٠).

(٥) [الحج: ٦٠]

(٦) ابن تيمية، جامع المسائل (ج٥/٣٠٦).

المبحث الثاني
جهود أبطال المسلمين في فكاك الأسير

عاشت دولة المماليك ظروفًا خاصة جعلت منها دولة حاضنة للأبطال، وبرز فيها أبطال كثر وتميز قادتها بالشجاعة والبسالة، فكان لهم باع كبير في ميدان البطولة والفداء والتضحية، حيث استشهد كثير من القادة في ساحات المعركة وكان لهم الفضل في حماية الأمة الإسلامية، بل وخاض الكثير من الأبطال المعارك من أجل إنقاذ أسير مسلم واحد أو إنقاذ أسيرة مسلمة واحدة، لما عرفوه من حق الأسير عليهم وأنه لا بد من أن يكون محفوظًا في أهله وماله، وأنه واجب شرعي اتفق كل الفقهاء عليه، وحرصوا على إخراج الأسرى المسلمين من قبضة العدو، وجندوا كل طاقاتهم لذلك، وعملوا كل ما بوسعهم ليعيدوا الأسرى إلى ذويهم، والجدير ذكره ما قام به أبطال البحرية في الجيش المملوكي في عهد السلطان برقوق، حيث هاجم قراصنة قبرص ثغر الإسكندرية سنة (٧٨٨هـ/١٣٨٤م) رغم وجود اتفاقية مصالحة مع السلطان، وقام بالهجوم على سفن التجار القادمين من بلاد الشام إلى الإسكندرية، وكان بصحبة هؤلاء التجار أخت السلطان الظاهر برقوق وبعض من أقاربه فقام القراصنة بأسر جميع من في هذه المراكب من تجار، فقام جميع قادة المماليك في السلطنة بأسر جميع تجار الصليبيين في أراضي السلطنة وأخذ سفنهم، فاضطر الصليبيون والتجار إلى الانصياع لأوامر السلطان الظاهر برقوق والإفراج عن جميع الأسرى الذين أُخذوا في الغار وردّ حاجياتهم دون أن تنقص شيئًا[1]، وعند ذكر البطولة والأبطال لا بد من ذكر حادثة أبطال البحرية في جيش السلطان الظاهر بيبرس حين أرسل السلطان بعضًا من جنود البحرية إلى مدينة عكا التي كانت تحت السيطرة الصليبية في ذلك الوقت، فكان البحر عاليًا ما أدى إلى انكسار هذه السفن وغرقها، فقام الجنود بالسباحة والخروج إلى البر، فقام الصليبيون بأسرهم فذهب الأمير فخر الدين بن المقري الحاجب إلى عكا للتفاوض على إخراج هؤلاء الجنود بالمال، لكن الفرنجة رفضوا وطلبوا فيهم أسعارًا باهظة لما لهم من أهمية في جيش المسلمين، وكان عددهم لا يتجاوز الستة أشخاص، فقام الصليبيون بحبسهم في سجن حصين في قلعة عكا لأهميتهم، فقام أبطال البحرية

---

(١) سالم، تاريخ الإسكندرية(ص٣٨٥).

بإدخال معداتٍ تساعد المساجين في الهرب من ذلك السجن وقاموا بتهيئة مراكب لهم أُعدت مسبقًا ليهربوا بها بعد خروجهم من السجن، وبعد خروجهم من البحر كانت معدة لهم خيول لتنقلهم إلى ديار السلطنة، ونجحت قوات البحرية بتنفيذ هذه العملية البطولية والفدائية إن صحت التسمية، حيث حدثت في عكا بسبب هذه العملية البطولية فتنة كبيرة بين الصليبيين، وزعزعت أركان الصليبيين داخل عكا[1]، ففي سنة (٦٧٦هـ/١٢٦٨م)عندما كان السلطان الظاهر بيبرس في طريقه من مصر إلى الشام، واعترضت طريقه امرأة مسلمة تشكو له نقض صاحب مدينة صور الصليبي اتفاقه معها، حيث كانت أسيرة عنده هي وابنتها وقامت بفداء نفسها وابنتها بالمال وقام بإطلاق سراحهما، ولكن صاحب مدينة صور نقض الاتفاق ولحق بها في طريق العودة وأخذوا الفتاة وأعادوها إلى الأسر، فأرسل الظاهر بيبرس رسالة إلى صاحب صور يستفسر عن حالة المرأة وابنتها، فرد عليه صاحب صور بأن هذه البنت قد تنصّرت، فلم يقتنع السلطان الظاهر بيبرس بتلك الحجة وكان بينه وبين صاحب صور اتفاقية هدنة، فما أن أقدم جنود الصليبيين التابعين لصاحب صور بقتل عدد من المسلمين حتى جيّش السلطان الظاهر بيبرس الجيوش وأعد العدة للانتقام منه لتلك المرأة، فانتصر هذا البطل لامرأة مسلمة بل ونكّل بأهل صور من أجلها[2]، وعند ذكر البطولة لا بد من ذكر رسالة ابن تيمية إلى سرجون عظيم الصليبيين، حيث قام بدعوة سرجون إلى الإسلام وشرح له أن الإسلام هو الدين الحق وأن الإسلام دين يحب الخير لكل الناس ويحب أن ينال الناس خير الدنيا والناس، فإن أعظم ما عُبِد الله به نصيحة خلقه، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين، ولا نصيحة أعظم من نصيحة بين العبد وربه، ولا بد أن الله يحاسب عبده، وذكّر ابن تيمية سرجون بموقفه من قازان ملك التتار، وقال له في ذلك إنه "ولما قدم مقدم المغول قازان وأتباعه إلى دمشق، وكان قد انتسب إلى الإسلام؛ لكن لم يرضَ الله ورسوله والمؤمنون بما فعلوه؛ حيث لم يلتزموا دين الله، وقد اجتمعت به وبأمرائه، وجرى لي معهم فصول يطول شرحها؛ لا بد أن تكون قد بلغت الملك؛ فأذله الله وجنوده لنا، حتى بقينا نضربهم بأيدنيا، ونصرخ فيهم بأصواتنا. وكان معهم صاحب سيس مثل أصغر غلام يكون به، حتى كان بعض المؤذنين الذين معنا يصرخ عليه، ويشتمه، وهو لا

---

(١) المقريزي، السلوك (ج١/٦١٥).

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص٣٤٧)؛ واليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج٢/٤٠٨).

يجترئ أن يجاوبه، حتى إن وزراء غازان ذكروا ما ينم عليه من فساد النية له، وكنت حاضرًا لما جاءت رسلكم إلى ناحية الساحل، وأخبرني التتار بالأمر الذي أراد صاحب سيس أن يدخل بينكم وبينه فيه، حيث منّاكم بالغرور، وكان التتار من أعظم الناس شتيمة لصاحب سيس، وإهانة له؛ ومع هذا فإنا كنا نعامل أهل ملتكم بالإحسان إليهم، والذب عنهم" وبين له أنه لم يرضَ أن يبقى الأسرى أهل الذمة من اليهود والنصارى في يد التتار وأنه عمل على إنقاذهم من الأسر مثلما عمل على إنقاذ أسرى المسلمين، ولم يرضَ بفك أسرى المسلمين فقط، حيث قال له: "وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان، وقطلوشاه، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذي هم أهل ذمتنا؛ فإنا نفكهم، ولا ندع أسيرًا، لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا، والجزاء على الله"، وذكر الشيخ سرجون إحسان المسلمين لأهل الذمة والنصارى الذين بأيدي المسلمين وأن المسلمين يعاملونهم معاملة حسنة كما وصّاهم الإسلام بذلك، وقام الشيخ بتهديد سرجون وتذكيره بأن هناك نصارى من أهل الذمة تحت سيطرة المسلمين ما لا يحصي عددهم إلا الله، ومعاملتنا معهم معروفة فكيف تعاملون أسرى المسلمين بهذه المعاملات التي لا يرضى بها ذوو مروءة ولا ذوو دين، ولست أقول ذلك عنك أيها الملك وعن أهل بيتك ولكن أقول عن عموم الرعية، أوليس الأسرى في رعية الملك؟ أوليس عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبر والإحسان؟ فأين أنت من ذلك؟ ثم إن كثيرًا منهم إنما أُخذوا غدرًا والغدر حرام في جميع الملل والشرائع والسياسات، فكيف تستحلون أن تستولوا على من أُخذ غدرًا؟ أفتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا وتكونوا مغدورين والله ناصرهم ومعينهم لا سيما في هذه الأوقات والأمة قد امتدت للجهاد واستعدت للجلاد ورغب الصالحون وأولياء الرحمن في طاعتهم؟ وقد تولى الثغور الساحلية أمراء ذوو بأس شديد، وقد ظهر بعض أثرهم وهم في ازدياد، ثم إن عند المسلمين من الرجال الفداوية (الفدائية) الذين يغتالون الملوك في فراشهم وعلى أفراسهم من قد بلغ الملك خبره قديمًا وحديثًا، وفيهم الصالحون الذين لا يرد الله دعواتهم ولا يخيب طلباتهم الذين يغضب الرب لغضبهم ويرضى لرضاهم، فما يؤمّن الملك بأن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته ينتقم لهم رب العباد كما ينتقم لغيرهم؟ وما يؤمّنه أن تأخذ المسلمين حمية إسلامهم فينالوا منها ما نالوا، ونحن إذا رأينا من الملك وأصحابه ما يصلح عاملناهم

بالحسنى وإلا فمن بُغي عليه لينصرنه الله، وأنت تعلم أن ذلك من أيسر الأمور على المسلمين، وأنا ما غرضي الساعة إلا بالتي هي أحسن والمعاونة على النظر في العلم وفعل ما يجب، فإن كان عند الملك من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم ولا يرضى أن يكون مع هؤلاء النصارى المقلدين الذين لا يسمعون ولا يعقلون بل هم كالأنعام بل هم أضل سبيلًا(١).

ويظهر هنا من رسالة الإمام ابن تيمية البطولةَ والقوة التي تمتع بها الشيخ، وأن الشيخ كان قوي البيان واضح الهدف من هذه الرسالة التي طالب فيها بإطلاق سراح الأسرى ومعاملتهم معاملة تليق بهم وبإنسانيتهم، موضحًا للملك سرجون أن هناك كثيرًا من أهل الذمة الذين تحت سيطرة المسلمين، وأن المسلمين يعاملونهم معاملة حسنة، ولذلك وجب عليه معاملة المسلمين الذين عنده في الأسر معاملة حسنة أيضًا، وأوضحت رسالة الشيخ ابن تيمية دور الأبطال المسلمين المغاوير الذين وضعهم في رسالته أنهم فدائيون بما تحمل كلمة فدائي من معنى؛ أي أن أبطال المسلمين ماهرون وجاهزون للتضحية بأرواحهم من أجل استنقاذ إخوانهم من الأسر، حيث وصف الشيخ ابن تيمية قادة الثغور بالأبطال الذين لا يهابون الموت وأنهم ماهرون بكل شيء من أجل إنقاذ إخوانهم، ولم تقف الأعمال البطولية عند هذا الحد، حيث إنه في سنة (٨٢٦هـ/١٤٢٣م) في عهد السلطان الأشرف برسباي قام الصليبيون بالاستيلاء على مركبين من مراكب المسلمين وفيهما حوالي مائة مسلم، وجانوس لوزبيان ملك قبرص قد استولى على مركب خاص بالسلطان الأشرف برسباي كان محملًا بالهدايا المرسلة إلى السلطان العثماني مراد، فكان رد فعل الأسطول البحري المملوكي قويًا جدًا وعنيفًا، حيث شن أبطال الأسطول مقاومة ثلاث حملات لغزو قبرص في سنوات (٨٢٩هـ/١٤٢٤م)، (٨٣٠هـ/١٤٢٥م)، (٨٣١هـ/١٤٢٦م)، على التوالي، وقد نجح أبطال البحرية من تحقيق نتائج جيدة حيث قاموا بأسر الكثير من الفرنجة وأخذ الكثير من الغنائم، ولكن السلطان كان مصممًا على أن تخضع الجزيرة لحكمه كي يتخلص من المتاعب التي يسببها له بقايا الصليبيين في هذه الجزيرة.

وقد استطاع أن يدحر جبناء جزيرة قبرص، وأسر الملك القبرصي نفسه، ثم سيطر على عاصمة الجزيرة نقوسيا(٢).

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى (ج٢٨/٦٠١-٦٣٠).

(٢) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة (ج١٤/٢٧٥).

وعاد الجيش إلىالقاهرة في موكب حاشد ليسير في شوارع القاهرة، وخلفهم الأسرى ومعهم الملك جانوس ملك قبرص نفسه أسيرًا، حيث قبل الأرض تحت قدمي السلطان للإفراج عنه وأعلن تبعية الجزيرة لحكم المماليك وقام بدفع جزية كبيرة، وإطلاق سراح الأسرى المسلمين(١).

استمرت جهود أبطال المسلمين في الحفاظ على الأمة الإسلامية والعمل قدر المستطاع كلما حانت الفرصة لهم على إطلاق سراح أسرى المسلمين الموجودين عند العدو. ولم يمنع المرض الأمير زين الدين كتبغا(٢)نائب حماة في الدفاع عنها، حيث أوعز للأمير شجاع الدين أغولو(٣) بمشاركة قوات طرابلس وحلب ودمشق تحت قيادة نائب طرابلس أسندمر لمنع تقدم القوات المغولية(٤).

حيث هاجم الجند المملوكي الجند المغولي القريبة من (عرض)(٥) حيث تمت مفاجأة مقدمة القوات المغولية(٦)التي كانت تحاول خداع الجنود بترك الغنائم لينشغل الجنود بها ولكن قادة جند المماليك فطنوا لهذه الخدعة ولم ينجروا وراءها، وشرعوا في تقسيم قواتهم إلى أربع فرق؛ قامت الفرقة الأولى بشن هجوم خاطف على قوى المغول لاستدراجهم إلى حيث المعركة، وقامت باقي الفرق الثلاث بالإطباق على قوى الجيش المغولي في كل الجهات، ودارت معركة كبيرة وقوية انتهت بهزيمة جند المغول وفرارهم، حيث كان عدد جيش المغول يتجاوز خمسة عشر ألف جندي بينما جند المماليك لا يتجاوز الألف وانتصر عليهم رغم قلة

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور (ج٤/١٦).

(٢) النويري، نهاية الأرب (ج٣٢/٢٥)؛ وأبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج٨/١٥٧).

(٣)**شجاع الدين أغولو:** ويعرف بالأمير أغولو الزيني العادلي، وكلاهما من كنى أستاذه الملك العادل زين الدين كتبغا، وقد ذكره أبو المحاسن باسم "اغزلو" اشتهر بالشجاعة والفروسية، تولى نيابة دمشق زمن حكم استاذه العادل كتبغا وعلى ما يبدو بأنه انتقل معه إلى حماه ليصبح من جملة امرائها، توفى سنة ٧١٩هـ.المنصوري، زبدة الفكرة (ص٣٧٣)؛ والصفدي، أعيان النصر (ج١/٥٤٢)؛ والعيني، عقد الجمان (ج٤/٢١٩).

(٤) أبو الفداء، المختصر (ج٤/٤٨).

(٥)**العرض:** بلدة في برية الشام تقع بين الرصافة وتدمر. الحموي، معجم البلدان (ج٤/١٠٣).

(٦) أبو الفداء، المختصر (ج٤/٤٨)؛ والنويري، نهاية الأرب (ج٣٢/٢٦)؛ وابن الوردي (ج٢/٢٤٣)؛ وابن كثير، البداية والنهاية (ج١٤/٤٣١).

عددهم[1]، وقد تمكن المماليك من استعادة الأسرى التركمان من المغول وابتهج المسلمون بهذا الانتصار[2].

وعندما تقلد السلطان قيتابايعرشالسلطنة، وكانت هناك مرحلة جديدة من الصراع المملوكي التركماني، واشتدت وطأته عن سابقاتها، وأخذ الصراع منحى آخر، حيث أراد السلطان إخضاع التركمان لسلطنته المباشرة[3]، وكان السلطان يريد أن يثأر للهزائم السابقة التي حصلت في العصور السابقة لعصره، وتلقين التركمان درسًا لن ينسوه، ومحاولة الوصول إلى الدعم العثماني، حيث أخذ قرارًا بالقضاء على قوة التركمان وكسر شوكتهم، وأوعزإلى أمرائه وفرسانه في النيابات الشامية الذين نجوا من الأسر والقتل في الهزائم السابقة بالمشاركة في هذه الحملة التأديبية[4]، إلا أن هذه الحملة لم يكتب لها النصر وباءت بفشل شديد وأُسر قائدها وعدد كبير من الجنود وقتل عدد كبير آخر[5]، الأمر الذي أدى إلى تطاول التركمان ومحاولة التقدم نحو الحدود الشامية[6]وتهديد الكثير من القلاع الشامية واستمر في تهديد حلب والضيع القريبة منها[7]، ولذلك قرر السلطان إعداد حملة عسكرية لإيقاف التركمان عند حدّهم، وكانت هذه الحملة بقيادة الأمير يشبك بن مهدي الظاهري[8][9]، كان في استقبال هذه الجيوش أمير حماة وعدد من نواب الشام، ووصلت إلى حمص سنة (٨٧٥هـ/١٤٧١م)، وتوجهوا للهجوم على التركمان في مدينة عنتاب وضربوا عليها حصارًا محكمًا وقويًا وقذفوها بالمجانيق وتمكنوا من دخول المدينة سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م) ووصلت البشائر إلى أراضي السلطنة بالنصر[10]،

(١) المنصوري، التحفة المملوكية(ص١٦٤)؛ والمقريزي، السلوك (ج٤/٣٥٥).

(٢) النويري، نهاية الأرب (ج٣٢/٢٦)؛ والعيني، عقد الجمان (ج٤/٢٢٢).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور (ج٣/٧).

(٤) السخاوي، وجيز الكلام (ج٢/٧٩٣).

(٥) الصيرفي، أنباء الهصر (ص٢).

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور (ج٣/١٢).

(٧) الصيرفي، أنباء الهصر (ص ص١٨-٤٤).

(٨)**الأمير يشبك بن مهدي الظاهري جقمق**، تنقل في مناصب وظيفية عدة حيث استقر في الداودرية الكبرى، كانت له عدة مشاركات لصد الثائرين على السلطانة، وأبرز هذه المشاركات كانت قيادته لجيش السلطنة لرد التمردات التركمانية على السلطنة، قتل في رمضان سنة ٨٨٥هـ على يد الأمير يعقوب بن حسن بيك. السخاوي، الضوء اللامع(ص١٠)؛ وابن إياس، بدائع الزهور (ج٣/١٧٢)؛ وابن طولون، مفاكهة الخلان (ج١/٢٨).

(٩) ابن إياس، بدائع الزهور (ج٣/٤٥).

(١٠)المرجع السابق، ج٣/٦٥.

واستمرت المعارك مع التركمان حيث أصر الأمير يشبك على إخضاع التركمان إلى سلطة السلطنة المباشرة وإطلاق سراح الأسرى الموجدين لديه[١]، واستطاع الأمير يشبك أن يسحق القوات التركمانية حيث تحصن التركمان بقلعة زمنطوا[٢][٣]، وفي عام (٨٧٦هـ/١٤٧٢م) استطاع الأمير يشبك القبض على زعيم التركمانيين ونجح في إطلاق سراح الأسرى وأعادهم إلى القاهرة[٤].

وفي الواقع بذل أمراء المماليك وقادة جنوده ونوابه جهدًا كبيرًا في سبيل إطلاق سراح أسرى المسلمين وأسرى المماليك الموجودين في الأسر، وكانوا أبطالًا حقيقيين في ذلك،حيث بذلوا جهدًا كبيرًا من أجل إطلاق سراح الأسرى، حيث إن عددًا من هؤلاء القادة والأمراء وقعوا في الأسر من أجل إطلاق سراح الأسرى، فقد ذهب أحد القادة ليخرج الأسرى فأصبح هو أسيرًا مثلهم، فكلّف هذا الملف دولة المماليك الكثير من الجهود والطاقات والأموال والرجال كي يستعيد الأسرى حريتهم، وحقيقة الأمر أن دولة المماليك لم تتخلَّ عن أسراها في كثير من الأحيان وبذلت الكثير كي يرى الأسرى النور، فقادت الحروب وعقدت الصفقات ودفعت الأموال وتنازلت في بعض الظروف من أجل إطلاق سراح الأسرى، لِما يتمتع به الأسير من مكانة مرموقة عند دولة المماليك التي سعت جاهدة لحفظ كرامته حتى وهو في الأسر، وكانت تحاور الآسرين ليرفقوا بالأسرى مثلما فعل ذلك ابن تيمية في رسالته إلى سرجون، حيث ذكره بأن هناك من أبناء جلدته لدى المسلمين، والمسلمون يعاملونهم معاملة حسنة، فلا بد أن يتلطف ويعامل المسلمين بحسن وأدب وأخلاق.

---

(١) دهمان، العراك بين العثمانيين والتركمان (ص٩٨).

(٢)زمنطوا، قلعة إمارة على الحدود السورية التركية عند مرعش.إعلام النبلاء(٣/١).

(٣) دهمان، العراك بين العثمانيين والتركمان (ص١٣٥).

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور (ج٣/٦٦).

المبحث الثالث

دور العامة في تحرير الأسرى

يمثل عصر سلاطين المماليك (٦٤٨هـ-٩٢٣هـ/١٢٥٠م-١٥١٧م) مرحلة مهمة من مراحل التاريخ الإسلامي، ومرحلة مهمة من مراحل تطور الحضارة الإسلامية، وترجع أهمية دولة المماليك للحياة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، حيث كانت هناك تطورات سياسية ودينية واجتماعية وثقافية واقتصادية، وشهد العصر المملوكي تطورًا كبيرًا وازدهارًا في مختلف الأمور والأنشطة، وكان سلاطين المماليك يحثون على الفضيلة وفعل الخير وسباقين إليه وكانوا متواصين على فعل الخير وحث الناس على ذلك، فكان سلاطين المماليك يدفعون كل ما يملكون من أجل إطلاق سراح أسير مسلم، وكانت تشعل الحروب من أجل أسير مسلم، وكانت تدفع الأموال لإنقاذ أسير مسلم واحد، وكانت تعقد الاتفاقيات من أجل الأسرى المسلمين، فكان هذا نهج سلاطين المماليك من أجل إطلاق سراح الأسرى، فكان لا بد للناس من العامة أن يكون لهم نصيب من هذا الفضل في إطلاق سراح الأسرى، حيث أسهم العامة بكل الجهود المبذولة من أجل إطلاق سراح الأسرى المسلمين، فعملوا على بناء الأوقاف الخاصة لإنقاذ الأسرى من الأسر، وكان الناس على دين ملوكهم، ففي سلطنة السلطان جقمق[١][٢] قام السلطان بإنشاء الأوقاف وانتشرت في عهده العبادة والعظة، وصلُح أمر الناس في عهده وصاروا يتقربون إلى الله بكل خير ويحرضون على عمل كل معروف، فمنهم من صار يكثر الحج، ومنهم من تاب وأقلع عما كان فيه، ومنهم من بنى المساجد والجوامع، وكان الوازع الديني هو المحرك الأساس الذي ينطلق منه سلاطين المماليك وعامة الناس في تلك الفترة، فكان الناس ينفقون من أموالهم من أجل مرضاة الله، وانحصر نشاط الحكومات في ذلك العهد في رعاية الأمن والبلاد والعباد، والدفاع عن الأرض والأرواح والأعراض والأموال وتقديم الخدمات ورعاية مرافق البلاد وشؤون العباد، فكانت هذه الأموال تصرف من مصارف حلال ولا تفرض ضرائب غير شرعية على الناس، وكان الناس يعدون أي ضريبة غير شرعية هي عبارة عن خلل في الدين والعبادة ويعد الحاكم الذي يفرضها خارجًا عن تعاليم الدين، فقد كان شعار الدولة

---

(١)السلطان الملك الظاهر جقمق ولي عرش سلطنة المماليك في الفترة ٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م. أبو المحاسن، المنهل الصافي (ج٤/٢٥٧).

(٢)المرجع السابق، ج٧/١١٨-١١٩.

في ذلك العهد الآية الكريمة: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1]، ومن الواضح أن فكرة الإحسان هنا جاءت مطلقة، بالقول والفعل والمال، ويمتد الإحسان من الأقربين ومن الأفراد إلى المجتمع الصغير فالكبير الذي يعيش فيه الفرد، ولا يقتصر الإحسان في المجتمع على الزكاة والصدقات المنصوص عليها في أحكام الدين والتي يلتزم بها المسلم، وإنما تتعدى ذلك إلى نطاق الصدقات الاختيارية التي يتطوع بها القادرون من الخير تقربًا إلى الله عز وجل، والتي تتجلى في أبهى صورها في الصدقة الجارية التي وردت في السنة الشريفة.

والتي تتحقق في الوقف على أصل معناه المقرر من الفقهاء كونه من الصدقات[2]، وبادر الناس لفعل الخيرات فأوقف الخيرون الأوقاف، من مبانٍ وأراضٍ، على مختلف الأمور الخيرية التي تعود على المجتمع بالخير تقربًا إلى الله تعالى، وقد قام الكثير من السلاطين والأمراء وكبار التجار وغيرهم من القادرين على أن يشاركوا بجزء من أموالهم في أعمال الخير والإسهام في نهوض المجتمع، فأقاموا المؤسسات الخيرية المتنوعة، وبنوا عليها الأوقاف، ووضعوا الشروط العديدة لضمان حسن التصرف في ريع تلك الأوقاف ما يضمن استمرار تلك المؤسسات في تحقيق رسالتها[3]، وكان الدين هو المحرك الأساس للوقف وابتغاء الأجر من الله فيها.

"إن الدنيا دار فناء وزوال، وإن نعيمها في كل وقت في تنقل وارتحال، ولا بقاء بها ولا مقام، وإن متاعها قليل حقير، وخطبها جليل خطير، ولذاتها عند الخبير كلما أنفقت صارت كأنها منام، وإنها مع ذلك هي الأصل لصلاح الأموال، والمنبع الخصب لغراس الأعمال، والمعدن الأزكى لنماء الأموال بالصدقة ولو بفضل مال أو طعام، وإن أولى ما ادخره المرء منها عنده وأعده ليوم حصاده، عمل يبقى ولا ينقطع بعده إذا قضى وسكن لحده، ثم هيل عليه التراب في قبره ونام، وإن من أولى ذلك وقف مبرور يتكرر ثوابه أبدًا ويدور، ويهدي لصاحبه في طبق

---

(١) [القصص: ٧٧].

(٢) ورد في الأثر قول النبيﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صلاح يدعو له"، رواه البخاري، وابن ماجه؛ الشوكاني: نيل الأوطار (ج١٨/٦)؛ العيد، ابن دقيق، الإلمام بأحاديث الأحكام (ص٣٧٥)؛ وابن حجر، بلوغ المراد من أدلة الأحكام(ص٢١٠).

(٣) أمين، فهرسة وثائق القاهرة(ص٣٧).

من نور على الدوام، يومًا بيوم، وشهرًا بشهر، وعامًا بعام، وإن أفضل ذلك بناء المساجد لله سبحانه وتعالى[١].

وأوقفت الأوقاف على أعمال الخير والبر المختلفة مثل؛ البمارستانات وتسبيل المياه ومكاتب الأيتام وأحواض الدواب وتسهيل تأدية فريضة الحج والأوقاف على الحرمين الشريفين وإطلاق سراح الأسرى[٢]، ومن هذا المنطلق اجتهد عامة المسلمين من أجل إطلاق سراح أسراهم؛ لأنهم وقعوا في الأسر وهم يدافعون عن شرف الأمة الإسلامية، والحفاظ على أُسرهم وعودتهم إلى ذويهم وأهليهم وأولادهم وأعمالهم وحفظ الدين عليهم من فتنة الأسر، وقد خصص بعض السلاطين والأمراء أوقافًا لدفع فدية لهؤلاء الأسرى وإطلاق سراحهم.

وقد ذكر ابن جبير أنه كان يوجد وقف لفكاك الأسرى المسلمين في الشام من أجل إطلاق سراح الأسرى المسلمين من المغاربة، وأورد أن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي قد أوقف اثني عشر ألف دنيار لفداء الأسرى، وقد أسهم عدد كبير من الأثرياء في إطلاق سراح الأسرى من خلال وقف الأوقاف لصالح إطلاق الأسرى أو من خلال ترك وصية يخصص منها جزءًا للأسرى[٣]، وفي عام (٧٢٤هـ/١٣٢٣م) قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بشراء جزء من أطلال بيت مال المسلمين وقام بوضعها وقفًا تسهم في إطلاق سراح الأسرى المسلمين والإفراج عن من لا يستطيع فداء نفسه من المساجين الموجودين في الدولة على قضايا مختلفة[٤]، وكانت بعض وثائق الوقفيات تنص على تخصيص جزء من أموالها لإطلاق سراح الأسرى، كما ورد في وقفية شهاب الدين أحمد بن محمد العدوي سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م) الذي اشترط أن يُصرف من ريعها في كل سنة خمسون درهمًا للأسرى بمدينة صيدا على ساحل الشام[٥].

وقد كرم الإسلام الأسرى وحرص على إطلاق سراحهم، حيث إن المسلم هو رجل حر مكلف عصم ماله ودمه[٦]، وانطلاقًا من رسالة الإسلام السامية والحفاظ على الإسلام وحفظ

---

(١) إبراهيم، وثيقة وقف السلطان الفوري(ص ص٧٦-٨١).

(٢) أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية (ص ص١٧٨-٢٣١).

(٣) ابن جبير، الرحلة (ص٢٥٣).

(٤) العسقلاني، الدرر الكامنة (ج١/٤٨٠).

(٥) أبشرلي، أوقاف وأملاك المسلمين (ص٦٨).

(٦) ابن النحاس، مشاريع الأشواق (ص١٠٤٧).

الأمة، وعى المسلمون منذ بداية عهدهم بالإسلام أنه لا بد من الإنفاق من أموالهم وأنفسهم من أجل الحياة ووقف أموالهم وأنفسهم لحماية الدين وحماية الثغور وإيقاف المال من أجل إطلاق سراح الأسرى وتقديم الدعم للمجاهدين ودعم الصناعات الحربية والأربطة التي يرتادها المجاهدون لحماية الثغور لرد المعتدين، وإنشاء الكثير من المصانع خاصة في بلاد الشام، وفي أيام الحروب الصليبية على بلاد المسلمين أُوقفت الأوقاف على أمكنة المرابطة على الثغور لمواجهة الغزو الأجنبي لبلاد المسلمين، وأيضًا توقف الأوقاف لشراء الخيول والسيوف والنبال وأدوات الجهاد للمقاتلين في سبيل الله عز وجل، وكان لذلك الأثر الكبير في رواج الصناعات الحربية وقيام مصانع كبيرة لها في البلاد التي ترزح تحت حكم المماليك[١]، وكانت الأوقاف تخصص للأعمال الخيرية والجهادية وإطلاق سراح أسرى المسلمين[٢]، وكان للأوقاف والتبرعات التي يسهم فيها الناس الأثر الكبير في توفير احتياجات الجيوش الإسلامية في العصر المملوكي وتوفير المعدات العسكرية، إضافة إلى الإسهام في الصناعات الحربية، حيث كانت الصناعة في الدولة المملوكية،وحُصر ما يعادل اثنين وأربعين مركزًا للتصنيع الحربي موزعة في القلاع والحصون الحربية وفي الثغور البحرية، كما أُوقفت الوقوف في عهد المماليك لفك الأسرى من المسلمين الذين أسرهم الأعداء، وكانت هذه الوقوف كثيرة وخاصة في عهد الحروب الصليبية وما بعدها.

وذُكر أن القاضي عبد الرحيم البيساني[٣] ببغداد أوقف وقوفًا على الصدقة وفك الأسرى[١]، كما ذكر ابن كثير في البداية أنه كان لعبد الرحيم بن القاضي الأشرف والذي كان

---

(١) السباعي، من روائع حضارتنا (ص٢٠١).

(٢) المرجع السابق، ص٢٠١.

(٣)**المولى الإمام العلامة البليغ:** القاضي الفاضل محيي الدين، يمين المملكة، سيد الفصحاء، أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج اللخمي، الشامي، البيساني الأصل، العسقلاني المولد، المصري الدار، الكاتب، صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي.

ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة. سمع في الكهولة من أبي طاهر السلفي، وأبي محمد العثماني، وأبي القاسم ابن عساكر، وأبي الطاهر بن عوف، وعثمان بن فرج العبدري.

وروى اليسير وفي انتسابه إلى بيسان تجوز، فما هو منها، بل قد ولي أبوه القاضي الأشرف أبو الحسن قضاءها. انتهت إلى القاضي الفاضل براعة الترسل وبلاغة الإنشاء، وله في ذلك الفن اليد البيضاء، والمعاني المبتكرة، والباع الأطول، لا يدرك شأوه، ولا يشق غباره، مع الكثرة. قال ابن خلكان يقال إن مسودات رسائله ما يقصر عن مائة مجلد، وله النظم الكثير. أخذ الصنعة عن الموفق يوسف بن الخلال صاحب الإنشاء للعاضد ثم خدم بالثغر مدة، ثم طلبه ولد الصالح بن رزيك، واستخدمه في ديوان الإنشاء.
=

يعمل كاتبًا أيام الدولة الفاطمية وصلاح الدين بديوان الإنشاء أوقافاً على تخليص الأسارى من يد النصارى(٢)، كما أورد ابن كثير أن بعض الأوقاف الموجودة في الشام كانت موقوفة لفك الأسارى من المسلمين(٣).

أوقف الخليفة المقتدر(٤) ما غلّته تسعون ألف درهم على الحرمين وعلى الثغور وأنشأ ديوانًا للوقف سماه ديوان البر، وكانت بعض القرى وقفًا على المقطعين أي المقاتلة غير المسجلين في الديوان، كما وجدت أوقاف خاصة لتخليص السجناء ووفاء ديونهم وفكاك أسرى المسلمين، كما وجدت أوقاف خيرية تنفق على أسر السجناء وأولادهم، حيث يقدم لهم الغذاء والكساء وما يحتاجونه من أمور أخرى، والصرف على عوائل الأسرى من أموال الوقف حيث خُصصت أوقاف للصرف على الفقهاء شريطة أن يؤمّوا السجناء أوقات صلواتهم، وأن يدرسوا ويفقهوا السجناء ويقودوهم في حياتهم العملية ليخرج هؤلاء من السجن وقد استفادوا علمًا من

=

قال العماد: قضى سعيدًا، ولم يبقِ عملًا صالحًا إلا قدمه، ولا عهدًا في الجنة إلا أحكمه، ولا عقد بر إلا أبرمه، فإن صنائعه في الرقاب، وأوقافه متجاوزة الحساب، لا سيما أوقافه لفكاك الأسرى، وأعان المالكية والشافعية بالمدرسة، والأيتام بالكتاب، كان للحقوق قاضيًا، وفي الحقائق ماضيًا، والسلطان له مطيع، ما افتتح الأقاليم إلا بأقاليد آرائه، ومقاليد غناه وغنائه، وكنت من حسناته محسوبًا، وإلى آلائه منسوبًا، وكانت كتابته كتائب النصر، وبراعته رائعة الدهر، وبراعته بارية للبر، وعبارته نافثة في عقد السحر، وبلاغته للدولة مجملة، وللمملكة مكملة، وللعصر الصلاحي على سائر الإعصار مفضلة. نسخ أساليب القدماء بما أقدمه من الأساليب، وأعربه من الإبداع، ما ألفيته كرر دعاء في مكاتبة، ولا ردد لفظًا في مخاطبة. إلى أن قال: فإلى من بعده الوفادة؟ وممن الإفادة؟ وفيمن السيادة؟ ولمن السعادة. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٢٤/ ٣٣٨).

(١) العبادي، مقدمة كتاب الفروسية والمناصب الحربية (ص ص٦-٧).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج١٢/١٥٩).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٣/٢٣).

(٤)**الخليفة المقتدر**: الخليفة المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله الهاشمي العباسي البغدادي. بويع بعد أخيه المكتفي في سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وما ولي أحد قبله أصغر منه وانخرم نظام الإمامة في أيامه، وصغر منصب الخلافة، وقد خلع في أوائل دولته، وبايعوا ابن المعتز، ثم لم يتم ذلك؛ وقتل ابن المعتز وجماعة، ثم إنه خلع ثانيًا في سنة سبع عشرة، وبذل خطه بعزل نفسه، وبايعوا أخاه القاهر، ثم بعد ثلاث أعيد المقتدر، ثم في المرة الثالثة قتل، وكان ربعة، مليح الوجه، أبيض بحمرة، نزل الشيب بعارضيه، وعاش ثماني وثلاثين سنة. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٥/ ٤٣).

العلوم أو حرفة من الحرف، فقد أوقف عبدالله بن مشكور الحلبي[1] ناظر الجيش والمتوفى سنة (٧٧٨هـ)، أوقافًا على الأسرى والمساجين[2].

واستمرت جهود العامة في إطلاق سراح الأسرى، حيث كان العامة يبذلون كل ما في وسعهم من أموال وأوقات وجهود من أجل ذلك الهدف النبيل، كيف لا وهم عبارة عن جنود وقت الحروب ومتبرعين وقت الحاجة ومتضامنين مع أهالي الأسرى في كل الأوقات، فهم لم يتخلوا عن هذه الفئة في أحلك الظروف بل وكانوا إلى جانب الأسر المكلومة بأسر أبنائها، ويعدّ العامة هم المتضرر الأساس من عملية الأسر، فالأسير ربما يكون أخ أو زوج أو أب أو أم أو ابن أو ابنة، فهذا دافع أساس لتحريك العامة والمجتمع من أجل تقديم كل ما يملكون من أجل الوصول إلى إنقاذ هذه الفئة، وإخراج الأسرى من سجون الظالمين والكفار وعودتهم لأهليهم وذويهم على خير وحفظ دينهم ودنياهم والحفاظ على شرف الأمة وعلى ما تملك من مقومات، حيث إن هذه الفئة من الناس من الفئات المؤثرة في المجتمع، بل وتعد المحرك الأساس لأي قرار أو اجتهاد أو منح أو حرب أو سلم تتجه إليه الدولة، لأنهم هم وقود استمرار الحياة؛ لأن عامة الناس هم النواة الحقيقية لأي دولة وهم الذين يتأثرون بأي موقف تتعرض له الدولة، فهم المعرضون للقتل والتشريد والأسر في أي ظرف من الظروف، وهم من سيقوم ببناء الدولة في وقت السلم.

---

(١)**عبد الله بن مشكور الحلبي** ناظر الجيش بها مدة طويلة وله مآثر معروفة بحلب منها أنه أجرى الماء إلى الجامع الناصري من القناة وبعد أن بني به بركة لذلك وله جامع بقنسرين ووقف على المحبوسين من الشرع وكانوا قبل في حبس أهل الجرائم قال القاضي علاء الدين كان يحب الفقراء والعلماء ويحسن إليهم كثيرًا ومات في جمادى الآخرة سنة ٧٧٨.

ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (ج١/ ٢٩٠).

(٢)ابن تيمية، الدرر الكامنة(ج٢/٤١٢).

الخاتمة

بفضل من الله تم الانتهاء من هذا البحث، والذي توصل فيه الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً– النتائج:

- اهتم الإسلام بمصادر التشريع الخاصة بالأسرى وقضيتهم، بل وأوجب على المسلمين أن يفكوا قيدهم ويرجعوهم إلى أهلهم.
- بذل المماليك جهوداً كبيرة ليكون الأسرى في أحسن أحوالهم.
- لم يعتبر الأسير فقط لأنه أُسر في الحرب، بل كل من سُجن عند العدو كان أسيراً عملت الدولة على إطلاق سراحه.
- إن قوة الأسرى من قوة الدولة وضعفهم من ضعف الدولة.
- مهما كانت مكانة الفرد عالماً أو امرأة أو مجاهداً أو قائداً في الدولة، فإن له دوراً يجب أن لا يغفل عنه خصوصاً في قضية البحث.
- بذلت دولة المماليك جهودا سياسية كبيرة من أجل إطلاق سراح الأسرى المسلمين فعقدت الهدن والمعاهدات التي تنص على إطلاق سراح الأسرى.
- إستخدمت دولة المماليك القوة العسكرية بعض الأحيان من أجل فكاك الأسرى المسلمين.
- لقد كان للعلماء في الدولة المملوكية جهود واضحة في قضية فكاك الأسرى ، فأصدروا الفتاوى القوية والصريحة.
- قام العلماء في دولة المماليك بتحريض الحكام والقادة لبذل الجهد السياسي والعسكري والأمني من أجل فكاك الأسرى المسلمين.
- كان هناك دورا واضحا لأبطال المسلمين في سبيل تحرير الأسرى قي دولة المماليك.

ثانياً– التوصيات

- إن الدراسات والكتب التي عنيت في قضية الأسرى معدودة، ولذلك لابد من الاعتناء بكل ما يقدم في هذا الجانب.

- العمل على إيصال الجهد المبذول في فكاك الأسرى زمن المماليك لكل فرد من أفراد الأمة العربية والإسلامية ليعلم ما أهمية الأسير.

- كثير من حقوق الأسرى مهضومة لعدم وجود المُطالب بها أو من يتابعها، فعلى الدولة أو من يقوم بأمر الأسرى أن يعمل على تخصيص الكوادر العاملة على المطالبة بحقوقهم وتوصيلها لهم.
- كان لأبطال المسلمين أروع صور البطولة في فداء الأسرى وتحريرهم.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

ابن الحنبلي، إبراهيم بن أحمد الحنبلي، (١٩٩٦م). *شفاء القلوب في مناقب بني أيوب*. تحقيق: مديحة الشرقاوي. (د.ط). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

إبراهيم، عبداللطيف. (١٩٥٦م). *وثيقة وقف السلطان الغوري*. ط١. القاهرة: جامعة القاهرة.

أبشرلي، محمد. (١٩٨٢م). *أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين*. تحقيق وتقديم: محمد أبشرلي؛ ومحمود داود التميمي. (د.ط). إستانبول: منظمة المؤتمر الإسلامي.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم. (د.ت). *التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية*. تحقيق: عبد القادر أحمد أطليمات. (د.ط). القاهرة: دار الكتب الحديثة.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد. (١٩٩٤م). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. تحقيق: علي محمد معوض. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الاثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني. (١٩٩٥م). *الكامل في التاريخ*. تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمي.

الأزهري، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري. (٢٠٠٣م). *شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك*. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. ط١. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري. (٢٠٠٣م). *أحكام القرآن*. تعليق: محمد عبد القادر عطا. ط٣. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأشقر، محمد عبد الغني. (د.ت). *أتابك العسكر في القاهرة ... عصر المماليك الجراكسة*. (د.ط). القاهرة: مكتبة مدبولي.

الأصفهاني، أبو عبد الله، محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين. (٢٠٠٤م). *حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي*. ط١. دمشق: دار المنار.

الأصفهاني، عماد الدين. (١٤١٩هـ). *البر الشامي*. ط١. عمان: مؤسسة عبد الحميد.

امين، محمد محمد. (١٩٨٠م). *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر*. ط١. القاهرة: دار النهضة العربية.

أمين، محمد محمد. (د.ت). *فهرسة وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٢٣٩-٩٢٢ هـ/ ٨٥٣-١٥١٦م)*. ط١. القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

الأنصاري، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة. (د.ت). *الخراج*. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. ط١. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي. (١٩٧٥م). *بدائع الزهور في وقائع الدهور*. تحقيق: محمد مصطفى. ط١. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري. (١٩٧١م). *الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية*. تحقيق: أولرخ هارمان. القاهرة: المعهد الألماني للآثار.

باركر، أرنست. (د.ت). *الحروب الصليبية*. ترجمة: السيد الباز العريني. (د.ط). بيروت: دار النهضة العربية.

البخاري: محمد بن إسماعيل. (١٩٨٧م). صحيح *البخاري*. تحقيق: مصطفى ديب البغا. ط٣. بيروت: دار ابن كثير.

البدري، عبدالعزيز. (١٩٥٥م). *الإسلام بين العلماء والحكام*. ط١. المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي. (١٩٨٤م). *الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. تحقيق: علي المنتصر الكتاني. ط٤. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الطيب. (د.ت). *تاريخ بغداد*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلس. (١٩٨٢م). معجم *ما استعجم*. تحقيق: مصطفى السقا. ط٣. بيروت: عالم الكتب.

البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلس. (٢٠٠٩م). *الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن*. تحقيق: الداوودي. (د.ط). دمشق: الدار الشامية.

البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر. (١٤٠٣هـ). *فتوح البلدان*. تحقيق: رضوان محمد رضوان. (د.ط). بيروت: نشر دار الكتب العلمية.

بيبرس المنصوري، الأمير ركن الدين الدوادار. (١٩٩٨م). *زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة*. تحقيق: دونالد ريتشارد. (د.ط). بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع.

بيضون، إبراهيم. (١٩٨٠م). *الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١* م. ط١. بيروت: دار النهضة العربية.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. (٢٠٠٣م). *السنن الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

تدمري، عمر عبد السلام. (١٩٨١م). *تاريخ طرابلس عبر العصور*. ط١. (د.م): (د.ن).

ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن. (١٩٨٦م). *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*. تحقيق: محمد محمد أمين. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن. (د.ت). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. (د.ط). القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري. (١٩٦٨م). *نفح الطيب من غصن الأندلسالرطيب*. تحقيق: إحسان عباس. ط١. بيروت: (د.ن).

التلمساني، محمد بن رقية الجديدي. (د.ت). *الزهرة النادرة فيما جرى في الجزائر* حين *أغارت عليها* جنود *الكفرة*. ط١. (د.م): (د.ن).

توفيق، عمر كمال. (١٩٩٨م). *الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، دراسات تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي*. (دط). (د.م): (د.ن).

التويجري، صالح عبد العزيز. (١٤١٢هـ). *أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي*. الرياض: (د.ن).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس تقي الدين. (١٤٢٢هـ). *جامع المسائل*. تحقيق: محمد عزير شمس. (د.ط). جدة: مجمع الفقه الإسلامي.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (١٩٩٥م). مجموع *الفتاوى*. (د.ط). السعودية: (د.ن).

ابن جبير، محمد بين أحمد. (د.ت). *الرحلة المسماة تذكرة الاخبار وعن اتفاقات الاسفار*. ط١. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين. (١٩٨٣م). *كتاب التعريفات*. ط١. لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن جرير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. (١٩٩٣م). *اختلاف الفقهاء كتاب الجزية وأحكام المحاربين*. تحقيق: يوسف شاخت. (د.م): (د.ن).

الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير. (د.ت). *جامع الأصول في أحاديث الرسول*. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط. ط١. القاهرة: مكتبة الحلواني.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (١٤٢٢هـ). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي.

الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني. (١٩٨٢م). *سنن سعيد بن منصور*. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط١. الهند: الدار السلفية.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (١٩٩٢م). *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحايك، منذر. (٢٠٠٦م). *العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية*. (د.ط). القاهرة: أوائل للنشر والتوزيع.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، أبو حاتم، الدارمي. (١٤٠٨هـ). *صحيح ابن حبان*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر. (١٤٢٠هـ). *درةِ الأسلاك في دولة ملك الأتراك في تاريخ حلب الشَّهباء*. تحقيق: عبد الجبار زكَّار. تقديم: الأستاذ الدكتور سهيل زكار. ط١. القاهرة: دار الملاَّح.

ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر. (١٩٨٢م). *تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه*. تحقيق: محمد أمين وسعيد عاشور. (د.ط). القاهرة: مطبعة دار الكتب.

ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل، أحمد بن علي. (١٣٢٨هـ). *الاصابة في تمييز الصحابة*. (د.ط). القاهرة: مطبعة السعادة بمصر.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي. (١٩٧٢م). *الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة*. تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢. الهند: نشر مجلس دائرة المعارف.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي. (١٩٨٦م). *أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ*. ط٢. بيروت: الكتب العلمية.

ابن الحريري، أحمد بن علي بن المغربي. (١٩٨١م). *الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين علي ديار المسلمين*. تحقيق: سهيل زكار. (د.م): مكتبة دار الملاك.

حمدي: حافظ أحمد. (د.ت). *الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية*. ط١. (د.م): دار الفكر العربي.

الحموي، أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف. (١٩٨١م). *التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان*. تحقيق: أبو العيد دودو. ط١. دمشق: مطبعة الحجاز.

الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله. (د.ت). معجم *البلدان*. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

العليمي: مجير الدين العليمى. (١٩٩٩م). *الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل*. تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة. (د.ط). عمان: مكتبة دنيس.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب. (٢٠٠٥م). *الذيل على طبقات الحنابلة*. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ط١. (د.م): (د.ن).

ابن حبيب، محمد بدر الدين ابن حبيب. (د.ت). *الفوائد المنتقاة من تاريخ صاحب حماه*. ط١. (د.م): (د.ن).

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (١٨٨٩م). *المسالك والممالك*. (د.ط). بيروت: (د.ن).

الخطيب، عمر. (١٩٨٥م). *الدبلوماسية والمفاوضة في الصراعات الدولية*. ط١. بيروت: (د.ن).

خلاف، عبد الوهاب. (د.ت). *علم أصول الفقه*. ط٨. القاهرة: مكتبة الدعوة.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي. (١٩٨٤م). *تاريخ ابن خلدون (العبر)*. ط٥. بيروت: دار القلم.

الخلف، سعود بن عبد العزيز. (١٩٩٧م). *دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية*. ط١. (د.م). أضواء السلف .

ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر. (١٩٦٨م). *وفيات الأعيان وأنباء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة.

الداودي، شمس الدين محمد بن علي ابن أحمد. (١٩٧٢م). *طبقات المفسرين*. تحقيق: علي محمد عمر. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة.

أبو داوود، سليمان بن الأشعث الأزدي. (١٩٧٤م). *سنن أبي داوود*. أعده وعلق عليه: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيّد. ط١. دمشق: طبع دار الحديث.

ابن دقيق العيد، تقي الدين العيد. (١٩٩٧م). *شرح الإلمام بأحاديث الأحكام*. تحقيق: عبد العزيز بن محمد السعيد. ط١. دمشق: دار أطلس للنشر والتوزيع.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (١٩٧٦م). *السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير*. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. (د.ط). بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون. (١٩٩٨م). *مفاكهة الخلان في حوادث الزمان*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

دهمان، محمد. (١٩٨٦م). *العراك بني العثمانيين والتركمان*. (د.ط). دمشق: دار الفكر.

الدوادار، بيبرس المنصوري. (١٩٨٨م). *التحفة الملوكة في الدولة التركية*. تحقيق: عبد الله ابراهيم محمد راجح. ط١. القاهرة: (د.ن).

ديورانت، ول. (١٩٦١م). *قصة الحضارة*. ترجمة: محمد بدران. القاهرة: (د.ن).

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان. (١٩٩١م). *تهذيب سير أعلام النبلاء*. تهذيب: أحمد فايز الحمصي. ط١. القاهرة: مؤسسة الرسالة.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (١٩٨٧م). *تاريخ الإسلام*. تحقيق: عمر بعد السلام تدمري. ط١. لبنان: دار الكتاب العربي

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (١٣٣٧هـ). *كتاب دول الإسلام*. (د.ط). دمشق: دار المعارف النظامية.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (١٩٨٩م).*الذيل على العبر في خبر من عبر*. ط١. دمشق: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (١٩٩٨م). *تذكرة الحفاظ*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (٢٠٠٦م). *سير أعلام النبلاء*. ط١. القاهرة: دار الحديث.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (د.ت). العبر في خبر من غبر. تحقيق: أبو هاجر زغلول. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (١٩٨٩م). *مختار الصحاح*. (د.ط). لبنان: مكتبة لبنان.

الزُّحَيْلِيّ ، وَهْبَة بن مصطفى. (٢٠١١م). *الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها*. ط٤. سورية: دار الفكر.

الزحيلي ، وهبه. (١٩٩٨م). *أثار الحرب في الفقه الإسلامي " دراسة مقارنة*. ط٣. دمشق: دار الفكر.

الزحيلي، العز بن عبد السلام. (١٩٩٢م). *سلطان العلماء وبائع الملوك الداعية المصلح القاضي الفقيه الأصولي المفسر*. ط١. دمشق: دار القلم.

الزركلي، خير الدين بن محمود. (٢٠٠٢م). *الأعلام*. ط١٥. القاهرة: دار العلم للملايين.

زكي، محمد سعد الدين. (د.ت). *الحرب والسلام*. ط١. القاهرة: (د.ن).

الزمالي، عامر. (١٩٩٣م). *مدخل إلى القانون الدولي الإنساني*. ط١. تونس: المعهد العربي لحقوق الإنسان.

أبو زهرة، محمد. (د.ت). *أبو حنيفة حياته وعصره وآراؤه وفقهه*. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي.

السيد سابق. (١٩٧٧م). *فقه السنة*. ط٣. بيروت: دار الكتاب العربي.

سالم، السيد عبد العزيز. (١٩٦٧م). *طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي*. (د.ط). بيروت: دار المعارف.

سالم، السيد عبد العزيز. (١٩٨٢م). *تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي*. (د.ط). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

السباعي، مصطفى. (١٩٩٩م). *من روائع حضارتنا* . ط١. القاهرة: دار الوراق للنشر والتوزيع.

السخاوي، شمس الدين. (١٩٩٩م). *الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن* حجر. تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد. ط١. (د.م): (د.ن).

السخاوي، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان. (١٩٣٦م). *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. (د.ط). القاهرة: (د.ن).

السخاوي، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان. (١٩٧٩م). *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. ط١. مصر، دار إحياء الكتب العربية.

السخاوي، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان. (١٩٩٢م). *التبر المسبوك*. ط١. بيروت: دار الجيل.

السخاوي، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان. (١٩٩٥م). *وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام*. تحقيق: بشار معروف. (د.م): مؤسسة الرسالة.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. (١٤٢٦هـ). *فتح المغيث بشرح ألفية الحديث*. تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير. (د.ط). السعودية: دار المناهج.

سرور، محمد جمال الدين. (١٩٩٣م). *دولة الظاهر بيبرس فى مصر*. ط١. القاهرة: دار الفكر العربى للطباعة والنشر.

ابن سعد، محمد بن منيع البصري الزهري أبو عبد الله. (د.ت). *الطبقات الكبرى*. (د.ط). بيروت: دار صادر.

سلامة، أمين. (٢٠١٣م). *الأساطير اليونانية والرومانية*. ط١. القاهرة: (د.ن).

سليم، محمود. (١٩٦٥م). *موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي*. ط٢. القاهرة: مكتبة الآداب.

السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٣٩٦هـ). *طبقات المفسرين*. تحقيق: على محمد عمر. ط ١. القاهرة: مكتبة وهبة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٦٩م). *تنوير الحوالك شرح موطأ مالك*. (د.ط). القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٠م). *الأشباه والنظائر*. ط١. القاهرة: دار الكتب العلمية.

الشافعي، محمد بن إدريس. (١٩٩٠م). *الأم*. (د.ط). دمشق: دار المعرفة.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم. (٢٠٠٢م). *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ط١. القاهرة: دار الكتب العلمية.

ابن الشحنة، القاضي ابي الفضل محمد. (١٩٨٤م). *الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب*. تقديم: عبدالله محمد الدرويش. ط١. القاهرة: دار الكتاب العربي.

ابن شداد. عز الدين محمد بن على بن إبراهيم. (١٩٩٢م). *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تاريخ لبنان والأردن وفلسطين*. تحقيق: سامي الدهان. (د.ط). دمشق: منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية.

شكري، محمد عزيز. (د.ت). *تاريخ القانون الدولي الانساني وطبيعته، دراسات في القانون الدولي الإنساني*. (د.ط). (د.م): دار المستقبل العربي، منشورات اللجنة الدولية للصليب الاحمر الدولي، د.ن.

الشلالدة، محمد نهاد. (٢٠٠٥م). *القانون الدولي الإنساني*. (د.ط). القدس: مكتبة دار الفكر.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر. (٢٠١٠م). *الملل والنحل*. (د.ط). دمشق: مؤسسة الحلبي.

الشوكاني، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله. (١٤١٤هـ). *فتح القدير*. ط١. دمشق: دار ابن كثير.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (١٩٩٣م). *نيل الأوطار*. تحقيق: عصام الدين الصبابطي. ط١. القاهرة: دار الحديث.

الشيباني، محمد بن الحسن. (١٩٩٧م). *شرح السير الكبير*. تحقيق: محمد حسن محمد حسن الشافعي. ط١. القاهرة: دار الكتب العلمية.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (١٩٩٨م). *أعيان العصر وأعوان النصر*. تحقيق: فالح احمد البكور. ط ١. بيروت: دار الفكر.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (٢٠٠٠م). *الوافي بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرناؤوطي وتركي مصطفى. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد. (١٩٨٨م). *الأيوبيون بعد صلاح الدين*. ط١. القاهرة: دار المعرفة للطباعة والنشر.

الصنعاني، أحمد بن القاسم العنسي اليماني. (١٣٦٦هـ). *التاج المذهب شرح متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار*. ط١. القاهرة: الحلبي.

الصنعاني، أحمد بن قاسم العنسي اليماني. (١٩٩٣م). *التاج المذهب لأحكام المذهبشرح*. ط١. اليمن: مكتبة اليمن الكبرى.

الصوري، وليم. (١٩٩١م). *تاريخ الحروب الصليبية*. ترجمة: حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الصياد: فؤاد عبد المعطي. (١٩٨٠م). *المغول في التاريخ*. (د.ط). (د.م). دار النهضة العربية ١٩٨٠م.

الصيرفي، علي بن داود. (١٩٧١م). *نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان*. تحقيق: حسن حبشي. (د.ط). القاهرة: مطبعة دار الكتب.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. (د.ت). *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي السلفي. ط١. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر. (د.ت). *تاريخ الرسل والملوك*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: طبع دار المعارف بمصر.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر.(د.ت).*تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (٢٠٠١م). *تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. (٢٠٠١م). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط١. دمشق: دار هجر للطباعة.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا. (١٩٩٧م). *الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية*. تحقيق: عبد القادر محمد مايو. ط١. بيروت: دار القلم العربي.

عاشور: سعيد عبدالفتاح. (١٩٧٦م). *العصر المماليكي في مصر والشام*. ط١. القاهرة: دار النهضة العربية.

عاشور: سعيد عبدالفتاح. (١٩٨٢م). *الحركة الصليبية*. ط٤. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

عاشور: سعيد عبدالفتاح. (١٩٩٦م). *الايوبيين والمماليك في مصر والشام*. ط١. القاهرة: دار النهضة العربية.

عامر، عبد اللطيف. (د.ت). *أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية*. (د.ط). لبنان: دار الكتب.

العبادي، عيد ضيف. (١٩٨٤م). *مقدمة كتاب الفروسية والمناصب الحربية*. ط١. بغداد: دار الحرية للطباعة.

شافع بن علي. (١٩٨٩م). حسن *المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية*. ط٢. تحقيق: عبد العزيز الخويطر. الرياض: (د.ن).

ابن عبد البر، يوسف عبد الله محمد أبو عمر. (١٩٩٢م). *الإستيعاب في معرفة الأصحاب*. تحقيق: محمد علي البجاوي. ط١. بيروت: دار الجيل.

ابن عبد البر. يوسف بن عبد الله. (١٩٦٦م). *الدرر في اختصار المغازي والسير*. تحقيق: شوقي ضيف. ط١. مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

عبد الحليم: رجب محمد. (د.ت). *انتشار الإسلام بين المغول*. (د.ط). القاهرة: دار النهضة العربية.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري. (١٩٩٦م). *الروضة البهية الزاهرة في خطط المعربية*. تحقيق: أيمن فؤاد سيد. ط١. القاهرة: (د.ن).

ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري. (١٩٦١م). *تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور قلاوون*. تحقيق: مراد كامل. (د.ط). القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر.

عبد الوهاب، محمد. (١٩٩٦م). *الدرر السنية في الأجوبة النجدية*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. ط٦. (د.م): (د.ن).

ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي أبو الفرج. (١٩٩٢م). *تاريخ مختصر الدول*. تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي. ط٣. بيروت: دار الشرق.

عثمان، سهيل. (١٩٢٨م). *معجم الأساطير اليونانية والرومانية*. (د.ط). دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

العثيمين، محمد بن صالح. (٢٠٠٢م). *الشرح الممتع على زاد المستقنع*. تحقيق: عمر بن سليمان الحفيان. ط١. الرياض: دار ابن الجوزي.

عدوان، أحمد. (١٩٨٥م). *المماليك وعلاقاتهم الخارجية ٦٤٨-٧٨٣ هـ/١٢٥١-١٣٨١م*. (د.ط). السعودية: دار الصحراء للنشر والتوزيع.

العريني، السيد الباز. (د.ت). *المماليك*. ط١. بيروت: دار النهضة العربية.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (١٩٨٦م). *تقريب التهذيب*. تحقيق: محمد عوامة. ط١. سوريا: دار الرشيد.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر. (١٣٧٩هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (٢٠٠٣م). *بلوغ المرام من أدلة الأحكام*. تحقيق: سمير بن أمين الزهيري. ط٧. الرياض: دار الفلق.

شافع بن علي. (١٩٩٨م). *الفضل المأثور في سير السلطان الملك المنصور*. تحقيق: عمر بن عبد السلام تدمري. ط١. بيروت: المكتبة العصرية.

عطية الله، أحمد. (١٩٦٨م). *القاموس السياسي*. ط٣. القاهرة: دار النهضه العربية.

العقاد، عباس (١٩٤١م). *عبقرية عمر*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

العقاد، عباس محمود. (١٩٧١م). *موسوعة العقاد الإسلامية*. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي.

عكاشة، علي. (١٩٩١م). *اليونان والرومان*. (د.ط). الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع.

علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي. (١٩٨٦م). *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*. ط٢. القاهرة: دار الكتب العلمية.

ابن العماد، عبد الحميد بن أحمد بن محمد العكري. (١٤٠٦هـ). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط. ط١. دمشق: دار ابن كثير.

ابن العميد، المكين جرجس. (د.ت). *أخبار الأيوبيين*. ط١. القاهرة: مكتبة الثقافة الفرنسية.

عنان، محمد عبدالله. (١٩٦٩م). *مصر الإسلامية*. ط١. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عيد، احمد. (١٩٩٦م). *جغرافيا التوراة في جزيرة الفراعنة*. ترجمة وتحقيق: أحمد الصاوى. (د.م): (د.ن).

العيسى، سالم. (٢٠٠٧م). *تاريخ الغساسنة: نسبهم، حروبهم، تنقلاتهم، ديانتهم، ثقافتهم*. ط١. دمشق: (د.ن).

العيني، محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين. (٢٠٠٢م). *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*. تحقيق: شكري إيمان عمر. ط١. القاهرة: مكتبة مدبولي.

العيني، محمود بن أحمد بن موسى. (د.ت). *شرح الكنز للعيني*. (د.ط). الكويت: مكتبة وزارة الأوقاف.

الغرناطي، ابن جزي الكلبي. (د.ت). *قوانين الأحكام الشرعية*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

الغرناطي، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني. (١٤٢٤هـ). *الإحاطة في أخبار غرناطة*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الغرناطي، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري. (١٩٩٤م). *التاج والإكليل لمختصر خليل*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الغزي، محمد بن محمد نجم الدين. (١٩٩٧م). *الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة*. تحقيق: خليل منصور. ط١. القاهرة: دار الكتب المنصورة.

غنيم، حامد. (١٩٧٢م). *الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية*. ط١. القاهرة: (د.ن).

الفار، عبد الواحد محمد. (١٩٩٤م). *القانون الدولي العام*. ط١. القاهرة: دار النهضة العربية.

أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين على (١٣٣١م). *المختصر في أخبار البشر*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن الفراء، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف المعروف. (١٩٧٢م). *رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة*. تحقيق: صلاح الدين المنجد. ط٢. بيروت: دار الكتاب الجديد.

ابن الفرات، ناصر الدين بن محمد بن عبد الرحيم. (١٩٧٠م). *تاريخ ابن الفرات*. تحقيق: حسن محمد الشماع. (د.ط). القاهرة: (د.ن).

فرحان، عبد الكريم. (١٩٧٩م). *أسرى الحرب عبر التاريخ*. ط١. بيروت: دار طيبة.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد. (د.ت). *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. (د.ط). القاهرة: دار التراث للطبع والنشر.

فرغلي: محمد. (١٩٩٦م). *كتاب الحركة التاريخية*. ط١. القاهرة: دار العلم للملايين.

أبو الفضل الهمداني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم. (١٩٥٨م). تكملة تاريخ الطبري. تحقيق: ألبرت يوسف كنعنان. ط ١. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي. (١٩٩٨م). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب التراث (د.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

فيليب، حتى. (١٩٦٥م). *تاريخ العرب*. ترجمة: إدوارد جرجي، وجبرائيل جبور. (د.ط). بيروت: (د.ن).

قاسم، عبده قاسم. (١٩٩٥م). *الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري*. ط١. بيروت: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

القرشي، عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم. (١٩٦٤م). *فتوح أفريقيا والأندلس*. تحقيق: عبدالله أنيس الطباع. ط١. بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني.

القرطبي، محمد بن أحمد أبي بكر بن فرج القرطبي أبو عبد الله. (١٩٥٢م). *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد عبد العليم البرديني. ط٢. القاهرة، دار الكتاب المصري.

القلقشندى، احمد بن علي. (١٩٨٥م). *مآثر الانافة في معالم الخلافة*. تحقيق: عبد الستار احمد فراج. ط ٢. الكويت: مطبعة حكومة.

القلقشندي، أحمد بن علي. (د.ت). *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*. (د.ط). القاهرة: دار الكتب المصرية بالقاهرة.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء. (١٤١٠هـ). *تفسير القرآن الكريم*. ط١. بيروت: دار الفكر..

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء. (١٩٨٨م). *البداية والنهاية فيالتاريخ*. تحقيق: علي شيري. ط١. بيروت: مكتبة المعارف.

الكلبي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج. (١٩٨٠م). *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. تحقيق: بشار عواد معروف. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

لابدوس، إيرا. (١٩٨٧م). *مدن إسلامية في عهد المماليك*. ترجمة: علي ماضي. بيروت: الأهلية للنشر.

ليف، ستيفن رنسيمان. (١٩٩٧م). *تاريخ الحروب الصليبية*. ترجمة: السيد الباز العريني. ط١. بيروت: دار النهضة العربية.

ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني أبو عبد الله. (د.ت). *السنن = سنن ابن ماجه*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط١. (د.م): دار الرسالة العالمية.

المالكي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن. (١٩٩٢م). *مواهب الجليل في شرح مختصر خليل*. ط٣. (د.م): دار الفكر.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري أبو الحسن. (١٩٨٥م). *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي. (١٩٩٤م). *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)*. تحقيق: جمال الدين الشيال. ط٢. القاهرة: (د.ن).

فريد بك، محمد فريد بك. (١٤٠٣هـ). *تاريخ الدولة العلية العثمانية*. تحقيق: إحسان حقي. ط٢. بيروت: دار النفائس.

مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي. (١٩٩٤م). *المدونة الكبرى*. ط١. القاهرة: دار الكتب العلمية.

المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عذاري. (١٩٨٣م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*. ط٣. بيروت: دار الثقافة.

مصلح، حسن أحمد. (١٩٨٩م). *أسرى الحرب والتزاماتهم في القانون الدولي*. ط١. بغداد. (د.ن).

المطوي: محمد العمروس. (١٩٨٢م). *الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*. ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

أبورافع السلامي. محمد بن رافع السلامي تقي الدين. (١٩٨٢م). *الوفيات*. تحقيق: صالح مهدي عباس، وبشار عواد معروف، ط١. القاهرة: مؤسسة الرسالة.

معلوف، أمين. (٢٠١٠م). *الحروب الصليبية كما رآها العرب*. ط١. دمشق: دار الفارابي للنشر والتوزيع.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (١٩٩١م). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. ط٣. القاهرة: مكتبة مدبولي القاهرة.

المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد. (١٩٦٨م). *المغني*. (د.ط). القاهرة: مكتبة القاهرة.

المقدسي، ابي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل. (١٩٩٧م). *عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية*. تحقيق: إبراهيم الزيبق. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

المقدسي، المطهر بن طاهر. (١٩١٦م). *البدء والتاريخ*. ط١. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي. (١٩٩٧م). *السلوك لمعرفة دول الملوك*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي. (١٩٩٧م). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية*. تحقيق: محمد زينهم، ومديحه الشرقاوي. ط١. القاهرة: مكتبة مدبولي.

االعاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي. (١٩٩٨م). *سمط النجوم العوالي*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

المنصوري، بيبرس. (د.ت). *مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية*. (د.ط). بيروت: الدار المصرية اللبنانية.

ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري. (د.ت). *لسان العرب*. ط١. بيروت: دار صادر.

ابن النحاس، أبي زكريا أحمد بن ابراهيم بن محمد الدمشقي. (٢٠٠٢م). *مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام (في الجهاد وفضائله)*. تحقيق: إدريس محمد علي ومحمد خالد إسطنبولي. ط٣. القاهرة: دار البشائر الإسلامية.

الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (د.ت). *ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين*. ط٣. الهند: مكتبة الإيمان.

نقلي، آسيا سليمان. (٢٠٠٢م). *الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية*. ط١. القاهرة: مكتبة العبيكان.

النويري، شهاب الدين أحمد. (د.ت). *نهاية الإرب في فنون الأدب*. (د.ط). القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

النيسابوري، مسلم بن حجاج. (٢٠٠٦م). *صحيح مسلم*. تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة. ط١. (د.م): دار طيبة.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. (١٩٥٥م). *سيرة ابن هشام*. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي. ط٢. القاهرة: (د.ن).

الهمذاني، رشيد الدين فضل الله. (د.ت). *جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيز خان*. ط١. بيروت: دار النهضة العربية.

الهندي، إحسان. (١٩٩٣م). *أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام*. ط١. دمشق: (د.ن).

الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر. (١٩٨٣م). *تحفة المحتاج في شرح المنهاج*. (د.ط). مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس. (د.ت).*تاريخ ابن الوردي*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. (١٤٢٧هـ). *الموسوعة الفقهية الكويتية*. ط٢. الكويت: دار السلاسل.

أبو الوفاء، عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم. (١٩٩٣م). *الجواهر المضية في طبقات الحنفية*. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ط٢. دمشق: دار هجر.

اليافعي، حسن بن ابراهيم بن محمد. (د.ت). *جامع التواريخ المصرية في ذكر الملوك والخلفاء والسلاطين الإسلامية*. (د.ط). القاهرة: معهد المخطوطات العربية.

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. (١٤٢٢هـ). *البلدان*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد. (١٩٩٢م). *ذيل مرآة الزمان*. ط٢. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. .